

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران 2
كلية العلوم الإجتماعية
أطروحة

لـنيل شهادة دكتوراه علوم
تخصص فلسفة الموسومة بـ:

التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية جون ديوي أنموذجا

إشراف الأستاذ الدكتور:

سواريت بن عمر

من إعداد الطالب:

بن صابر محمد

تشكيلة أعضاء لجنة المناقشة :

إسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الإنتماء
الزاوي الحسين	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 2
سواريت بن عمر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 2
بوشيبة محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة وهران 2
إبراهيم أحمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة مستغانم
بلبولة مصطفى	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة الشلف
قسول تايث	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

الموسم الجامعي: 2018 - 2019

إهداء

إلى قرة عيني والدي الكريمين

إلى رفيقت حياتي زوجتي

إلى زهرة قلبي وثمره فؤادي

إبنتي نورية وزكية وإبني إبراهيم الخليل

إلى كل العائلة وكل محبي المعرفة

محمد

شكر

الحمد والشكر لله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث المتواضع والصلاة على أشرف خلق الله نبينا وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أتقدم بشكري الخاص إلى أستاذي الكريم المشرف الدكتور **سواريت بن عمر** الذي كان سببا في ميلاد هذا البحث وساعدني منذ لحظاته الأولى، وأكب علي رعاية فكرية مميزة وتقديم التوجيهات والملاحظات القيمة، له مني كل التقدير والإمتنان والمحبة.

كما أقدم شكري إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة، إلى كل أساتذة الفلسفة بجامعة وهران، وأستاذ اللغة الإنجليزية صابر جمال بجامعة مستغانم الذي ساعدني في الترجمة كما أشكر صديقي وأخي الأستاذ إبراهيم أحمد، وأشكر الأستاذ الصديق بوشيبة محمد.

أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة و إثراء هذا الجهد والعمل الفكري وتقديم التوجيهات القيمة التي تنير مساري العملي والأكاديمي مستقبلا.

إلى كل الزملاء والأصدقاء الذين عرفتهم، لهم مني كل التقدير والإخلاص والوفاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

"وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "

الآية 13 سورة لقمان

مقدمة

شهد المجتمع البشري تغيرات عبر مراحل تاريخية مختلفة مر بها بدءا بمجتمع الصيد مرورا بمجتمع زراعي وآخر صناعي، إلى غاية مجتمع المعرفة والمعلوماتية وفي كل مرحلة يهتم المفكرين بتقديم نموذج للفرد ينسجم مع واقعه ومع متطلبات عصره، لهذا نجد إهتمام الفلاسفة واضحا منذ القدم بالتربية باعتبارها وسيلة لإعداد مجتمع راقي تتناسب أفكاره مع التغيرات الحاصلة فيه، فالدراسة التربوية تتأسس على موضوعات فلسفية ترتبط بالحياة الإنسانية وتختبرها وتظهر نتائجها على أرض الواقع.

تعتبر التربية موضوعا شغل حيزا معتبرا من تفكير الفلاسفة عامة وجون ديوي John Dewey خاصة، وزادت أهميتها أكثر في زمن أصبح من الضروري أن يكون لكل حضارة قيم تربوية، تراعي خصوصياتها ماضيا وحاضرا ومستقبلا تأخذ بها إلى التقدم وتجعلها قادرة على مجابهة تحديات العصر.

يكشف الفحص الدقيق لتاريخ الفلسفة عن حقيقة هامة وهي أن الفلسفة روح التربية، ومهما كان نوعها فهي تعكس واقعها المعيش. والتفكير الفلسفي بإعتباره تأملا فكريا شاملا يهدف إلى فهم الواقع وتفسيره مثلما يسعى إلى تغييره بهدف الإرتقاء بالطبيعة الإنسانية، ولا يكون ذلك ممكنا إلا بروية تربوية جادة فالمتتبع لمراحل تاريخ الفكر الفلسفي من حقه اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة مرورا بالمذاهب الفلسفية الوسيطة إسلامية ومسيحية، وما تلاها من إتجاهات فلسفية حديثة أبرزت بشكل خاص تماهي الأفكار التربوية مع الأوضاع الفكرية والسياسية والعلمية بشكل أساسي.

يتضح أن كل نظرة في التربية هي جزء من النظرية الفلسفية لكل فيلسوف من هنا يمكننا أن نتساءل: ألم يؤسس أفلاطون Platon مدينته الفاضلة التي تعكس الواقع الذي يعيشه بدعوته إلى إعداد الناس بما يحافظ على التفاوت الطبقي بين العبد والسيد؟

ألا تتجلى في دعوته الفلسفية هذه نظريته التربوية التي لا تخرج عن الطابع العام لفلسفته المثالية؟ ألم يسعى رجال الدين من أمثال أوغسطين Augustine والغزالي AlGhazaliz إلى تربية الناس على مكارم الأخلاق؟ أليست هذه النظرة التربوية من نتاج الطابع العام للفلسفة في العصر الوسيط؟ ألم تعكس فلسفة كانط Kant رؤيته التربوية حينما يدعو إلى بناء قواعد أخلاقية عامة يلتزم بها المربون والمتعلمون؟ ألم تكن فلسفة سارتر Sartre التي تعكس معاناة الإنسان من القلق والتمزق الذي خلفته الحرب العالمية دعوة لبناء شخصية واعية بحريتها من خلال المواقف التي تحياها وتعانيها؟

ظهرت البراغماتية كتيار فلسفي على الأرض الأمريكية وهي إمتداد للبراغماتية الإنجليزية التي تحمل لواء التجربة الكلاسيكية، وقد برزت الفلسفة البراغماتية مع أهم روادها الثلاث ساندرس بيرس sandres Pearce ووليم جيمس William James و جون ديوي John Dewey وقد تطورت وإحتلت صدارة مميزة ومكانة هامة في أمريكا خاصة وفي العالم عامة، رغم حداثة تجربتها مقارنة مع الفلسفة الأوروبية مما جعلها تحقق إنتشارا كبيرا بفضل طروحاتها المتميزة والجديدة.

لقد غيرت الفلسفة البراغماتية وجهة النظر من الماضي إلى المستقبل وبدلا من أن تهتم بتحليل الأشياء والمعرفة مثل ما فعلت الفلسفة التجريبية الإنجليزية، جعلت إهتمامها ينصرف نحو ربط المعرفة بعالم التجربة لا من حيث الأصل بل من حيث النتائج التي تحققها الفكرة في الواقع. تهتم البراغماتية بالبحث الفلسفي نفسه إنها لا تحمل معتقدات ثابتة وترتبط بالواقع التجريبي والموجودات مستقلة عن العقل المدرك إنها قريبة الصلة بالفلسفة الوضعية، وعبر عن هذا بيرس بوصفه أن البراغماتية نوع من الوضعية بمعناه الواسع الشامل، لأنها إنصرفت عن التصورات الميتافيزيقية المجردة فهي قريبة إلى الفلسفة التحليلية لأنها تهتم بمعرفة ما هو زائف وحقيقي إنها

طريقة تنهي المنازعات الميتافيزيقية، ولا تعتمد على العقل دون العودة إلى التجربة التي تعطينا النتائج.

عرف الواقع الأمريكي تحولا سياسيا و إجتماعيا مع بروز الثورة الأمريكية وظهور الساسة المفكرين من أمثال توماس جيفرسون thomas Jefferson الذي أمن بأفكار الثورات التنويرية في أوروبا، القائمة على الحرية والمساواة ودعا إلى تغيير المجتمع الأمريكي وفق تلك القيم، لقد أمن ديوي بما نادى به جيفرسون وإقتنع بضرورة وضع فلسفة فعالة لبناء منظومة تربوية جديدة تتماشى وفق مبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة والحرية.

تعيش المجتمعات على واقع ما يسمى فساد الأخلاق والتربية بسبب العديد من القضايا، كالتطور التكنولوجي وتفشي العنف والإجرام والتطرف الديني والإرهاب، وقد جاءت الفلسفة البراغماتية لتعبر عن وضعية الإنسان الأمريكي الذي يعيش دوامة الحضارة المعاصرة، لقد برزت كفلسفة علمية من الروح المادية للقرن العشرين حيث نشأت كمذهب عملي نفعي في أمريكا، رأسمالية الإتجاه لأنها تقوم على مبدأ المنافسة الفردية الحرة التي قاعدتها العمل المنتج النافع.

تعبر الفلسفة البراغماتية عن روح التربية التقدمية حيث ينطلق ديوي من الواقع الأمريكي محاولا تقديم إصلاح أعمق في شتى مجالاته، هذا المشروع يستوجب التأكيد على إصلاح الفرد ويتحقق ذلك بالتربية، وتغيير نمطها التقليدي إلى ما يواكب التحول الذي شهدته الحياة في مختلف ميادينها. فكان ديوي في طليعة المربين البراغماتيين المعاصرين في الكلام عن التربية فكان إعلانه محاربة كل نظرة عدائية للعلم والتقنية بداية للإصلاح التربوي بطريقة علمية منظمة. و صاحب هذا إستقراره الفكري والفلسفي على التوجه البراغماتي بعد مراحل متباينة غلبت عليها في بدايتها النزعة

المثالية، ثم إنتقلت إلى التجريبية لينتهي إلى تبني البراغماتية كمذهب عام والأداتية كتوجه متميز. وعلى هذا التوجه أقام أفكاره التربوية ومناهجه الإصلاحية، فكانت البراغماتية و الوسيلية هي القاعدة الفلسفية الأساسية للتربية التقدمية التي رفع لواءها.

إن أفكار ديوي التربوية صنعت ثورة حقيقية في العالم وقد كانت عنوانا لفلسفته وقد إطلع على الكثير من النظريات التربوية، ووقف منها موقف الناقد والمثمن حيث أخذ منها ما يخدم مشروعه متجاوزا عيوبها بأسلوب أداتي متميز. من هنا بدأ إهتمامنا بالبحث في التربية إنطلاقا مما قدمته هذه الشخصية المتميزة بغرض الوصول إلى نظرة متكاملة حول طبيعة التربية، ولقد حرصنا على تجسيد هذا الإهتمام في بحثنا الأكاديمي الذي وسمناه بعنوان "التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية عند جون ديوي".

فإهتمامنا بهذا الموضوع هو رغبة منا في جمع أفكاره المتعلقة بالتربية عامة والتربية الدينية خاصة، والبحث فيها بحثا علميا من خلال مؤلفاته التي حوت تلك الأفكار، وتوزعت عليها للوقوف على العلاقة بين رؤاه الفلسفية وإنتاجه التربوي الضخم. لقد رأينا في الكثير من المحاولات الأكاديمية التي درس أصحابها ديوي إجماعا على أن الإسهام التربوي أهم ما ميز هذه الشخصية، مع أن هذه الأعمال لم تبرز بما هو كفاية فلسفته التربوية، رغم تركيزها على رؤاه السياسية والإجتماعية والجمالية.

تبقى التربية عصب الحياة وعنوانا لتطور أي دولة عبر العصور، فحصول النظام التربوي هو إنتاج ثقافي وحضاري وعلمي وأخلاقي وديني، لقد تميز ديوي عن الفلاسفة والتربويين وأصبح مرجعية عالمية هامة في الميدان التربوي، هذا ما حفزنا ودفعنا إلى تبنيه كموضوع دراسة تعبر عن إشكالية البحث في صياغتها التالية:

الإشكالية:

هل جون ديوي يؤكد في مشروعه التربوي على العنصر الديني أم العكس؟ فإذا كان بالإيجاب أين يتجلى ذلك و إذا كان العكس ما البدائل التي يقدمها لسد فراغ هذه التربية الروحية الضرورية للمتعلم، أم المدرسة التي يدعو إليها ديوي هي مدرسة لائكيه محضة تقصي الدين تماما، أم هناك مجال للدين في المدرسة يمثله الإيمان أو الجانب الروحي؟ لكن ما معالم هذه التربية في جانبها العملي و بماذا عوضه جون ديوي بالفن أم بالتقنية أم بالمشروع؟

هذه الأسئلة تأسست لنبحث في الإجابة عنها فكان عنوان رسالتنا التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية عند جون ديوي، والفرضية الرئيسية هل توجد تربية دينية نلتمسها في مؤلفاته؟

الفرضيات:

تتطلق هذه الدراسة من فرضية جوهرية مفادها، أن الفلسفة البراغماتية جسدت دورا كبيرا ومؤثرا في الفكر الأمريكي المعاصر بأبعاده الدينية والتربوية والإيديولوجية والثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، ليصبح إحدى الركائز الأساسية السائدة في أمريكا، كما أن هناك فرضيات تنبثق عن هذا الإفتراض العلمي هي:

ترتبط التربية الدينية بالسعادة الإنسانية وهدفها التعلم كما تمثل الخير ليعرفه الفرد و يتجنب الشر، و فلسفة التربية عند جون ديوي جوهر البراغماتية و ضمنها أسس ديوي للفلسفة والتربية.

التربية الدينية عند ديوي ركيزة أساسية للتعليم في المدرسة و يتأكد المربي من الصدق ومن الحق عند المتعلم بتجريب خبراته، و يبقى من الواجب أن يتعلم الفرد لحاضره أم لمستقبله ويرتبط هذا بطبيعة الطبيعة البشرية للمتعلم.

يساهم الدين في تربية الفرد تربية صحيحة لكن الإعتقاد كافي للتربية أم الإيمان هو الذي يحقق ذلك، إذا لم يحقق الدين هدف التربية فهناك البدائل التي تحقق ذلك كالديمقراطية أو المجتمع أو المدرسة هي التي تحقق مشروع التربية الدينية. تبقى التربية الدينية عند ديوي شيء ثانوي لا يحقق الهدف في الحياة الإنسانية.

تصميم البحث:

لتحقيق متطلبات بحثنا قسمنا الأطروحة إلى مقدمة و ثلاثة فصول كل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث، وبما أن موضوعنا يتناول التربية الدينية عند جون ديوي بدأ لنا ضروريا أن نعنون الفصل الأول بالتربية الدينية من الماهية إلى الجينالوجيا والمرجعية ونضع المبحث الأول بعنوان مدخل مفاهيمي ، أما المبحث الثاني خصصناه لكونولوجيا التربية الدينية في الفكر الفلسفي، وفي المبحث الثالث ذكرنا المرجعية الفلسفية الإجتماعية الأنجلوساكسونية.

أما الفصل الثاني عنوانه الميتافيزيقا والتربية الدينية في الفلسفة البراغماتية وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، جعلنا عنوان المبحث الأول: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما قبل جون ديوي وفي المبحث الثاني بحثنا الأسس والمنطلقات التربوية الديوية بين الواقع والمستقبل أما المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى الميتافيزيقا والتربية الدينية ما بعد جون ديوي .

وفي الفصل الثالث تحدثنا عن دراسة نقدية بعنوان إستقبال جون ديوي في الوطن العربي دراسة نقدية، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث خصصنا المبحث الأول لنقد

نظرية ديوي في التربية الدينية وتطرقنا في المبحث الثاني إلى مكانة نظريته في أمريكا الثقافة والمؤسسات أما المبحث الثالث طرحنا فيه إستقبال العالم العربي لنظرية ديوي التلقي والأفق، وختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا لها تساعدنا في التربية.

المناهج المتبعة:

لإثبات الفرضيات التي وضعناها ولتحقيق الأهداف التي رسمناها رأينا أن نلتزم منهجا دقيقا في إصدار الأحكام أو الأفكار، وهذا إعتادا على النصوص الثابتة والأصلية لجون ديوي وذلك ليتسنى لنا التحليل والبناء بشكل ممنهج، ومصادقية لبحثنا في هذه الأطروحة، وظفنا المنهج التحليلي النقدي لضبط المصطلحات الهامة وقراءة النصوص وتحليل الأفكار وتقييم ونقد أفكار ديوي الفلسفية والتربوية.

دون إهمال اللحظات التاريخية المهمة التي من خلالها طبقنا ومارسنا المنهج التاريخي عندما تتبعنا مصادر وتسلسل الأفكار التربوية عبر الحقب التاريخية. كما قمنا بالمقارنة والمماثلة بين القضايا التي بحثها جون ديوي ومشكلة التربية الحديثة.

الدراسات السابقة:

إننا ونحن نبحث عن الدراسات السابقة لموضوع أطروحتنا: "التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية عند جون ديوي" لم نجد دراسات دقيقة حول هذا الموضوع ولكن وجدنا دراسات حول التربية عامة. لكننا نعتقد أن موضوعنا إستمرار لمشاريع تبحث في طبيعة ومسار وأفاق التربية في الفلسفة البراغماتية، حيث نستفيد من مختلف الباحثين في الميدان التربوي من أمثال :

-Doctorat de philosophie: Nikos Maroupas, pragmatisme: une philosophie anarchiste? Une généalogie: Proudhon, Bakounine, James, Dewey, thèse dirigée par Robert Damien, Université Paris France, novembre 2015.

في الوطن العربي:

- دكتوراه بعنوان: الأسس الفلسفية للنظرية التربوية عند جون ديوي، تقديم حجلوي لطفي محمد، إشراف التريكي فتحي الطاهر، جامعة تونس، سنة 2011.
 - دكتوراه بعنوان: الفكر التربوي لدى جون ديوي ومحمد خطيب، دراسة وصفية دلالية مقارنة، تقديم زكريا عبد الله الشرع، إشراف إيتسام محمد فهد، جامعة بغداد، العراق، سنة 2004.
 - دكتوراه بعنوان: أثر الفكر التربوي البراغماتي في الفكر التربوي العربي المعاصر، تقديم منصور عصام محمد، جامعة حلوان، مصر، سنة 2004.
 - دكتوراه بعنوان: أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي وابن رشد وابن خلدون، دراسة تحليلية مقارنة مع الفكر التربوي الحديث، تقديم عبد المنعم حسن، كلية الدراسات التربوية العليا، عمان، الأردن، سنة 2007.
 - دكتوراه بعنوان: الفلسفة الأمريكية بين الليبرالية والبراغماتية تشارل بيرس نموذجاً، تقديم حيرش سمية، إشراف د أحمد العلوي، جامعة وهران 2 الجزائر، سنة 2011.
 - ماجستير بعنوان: الحرية في التربية عند جون ديوي، تقديم الشيخ خضر إشراف جلال غربول، جامعة دمشق، سوريا، سنة 2008.
 - ماجستير بعنوان: فلسفة التربية روسو وديوي، دراسة مقارنة، تقديم مصطفى هالة محمد خوجلي، إشراف عبده مصطفى، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 2004.
 - ماجستير بعنوان: البراغماتية، تقديم الطالب عبد الهادي علي، إشراف أ. م فاتنة جميل حمدي، بجامعة بغداد، العراق، سنة 1997.
- في الجزائر تم عرض دراسات قام بها المرحوم الأستاذ الدكتور البخاري حمادة وهناك أطروحات، متنوعة للدكتوراه في مجال الموضوع في أقسام لا تقتصر على الفلسفة بل تتجاوزها إلى أقسام علم النفس وعلم الاجتماع.

صعوبات البحث:

الصعوبات التي واجهتنا في رحلتنا الفكرية أصبحت من الأمور البديهية والمعروفة لدى الكثير من الباحثين، إلا أنها تختلف باختلاف الموضوعات، وواجهتنا بعض الصعوبات نذكر منها على سبيل الحصر، مشكلة الترجمة للنصوص والمصادر الأصلية باللغة الإنجليزية وإخترنا أكثر المصادر التي تحقق غرض الموضوع، لاسيما وأن معظم المصادر تناولت التربية فقط ولم تعرض التربية الدينية، كما تطلب منا أن نفحص عدد لا يستهان به من المراجع المترجمة، حيث أن بعضها لا يفي بغرض موضوعنا. بالإضافة إلى المراجع العربية التي لم تتطرق إلى هذا الفكر بشكل خاص وكذلك ندرة الدراسات السابقة فيما يخص التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية، رغم كل هذا حاولنا بذل الكثير من المجهودات المادية والمعنوية من أجل تحقيق هدف البحث وغرضه.

أفاق ومستجدات البحث:

الإهتمام الشخصي بالتربية دفعنا إلى البحث عن آراء علماء التربية وأصولها ومن أهم روادها جون ديوي وفلسفته التربوية، التي إنتقلت إلى كامل الفكر التربوي العالمي، وكوني باحث جزائري أطمح أن يكون وطني في مصاف الدول المتقدمة في مجال التربية والتعليم، وكوني عملت بسلك التعليم كمعلم في الطور الابتدائي والمناهج والبرامج التربوية التي تعتبر محفز أو عائق للمعلم، وبالتالي تعود على المتعلم كونه يمثل الفئة المستهدفة، كما أطمح أن يساهم هذا البحث في وضع إستراتيجية لمشروع التربية الدينية العربية لأجيالنا.

الفصل الأول

التربية الدينية من الماهية

إلى الجينئالوجيا والمرجعية

الفصل الأول: التربية الدينية بين الماهية و الكرنولوجيا والمرجعية

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

المبحث الثاني: كرنولوجيا التربية الدينية في الفكر الفلسفي

المبحث الثالث: المرجعية الفلسفية الإجتماعية الأنجلوساكسونية

توطئة:

التربية تحصل داخل العائلة فهي التي تعلم الفرد مختلف الخبرات وشؤون الحياة والتكيف معها، ومع كثرة الأسر ظهرت القبائل والعشائر التي ساعدت على تربية أطفالها خاصة في العقائد والطقوس الدينية.

ومع تطور الحياة البشرية أصبحت الأسرة عاجزة لوحدها عن تربية الأطفال فدفعت الحاجة إلى بناء مدارس تربوية تعليمية تساهم في العملية التربوية للطفل، لأنه خاضع باستمرار مند ولادته لعمليات كثيرة ومختلفة، فهو ينتقل من كائن بيولوجي إلى كائن إجتماعي هكذا تبقى التربية ضرورية للوجود الإنساني وهي قديمة قدم الوجود الإنساني ولم يخل أي مجتمع منها عبر العصور.

فموضوع التربية هو الإنسان وهذا ما جعل الفلاسفة ورجال التربية يهتمون بدراسة الإنسان ونفسه وبيئته الإجتماعية، نجد في أمريكا بعض المفكرين والفلاسفة والمربين أقروا بأهمية قيام فلسفة إجتماعية تربوية تستند إلى أسس علمية ديمقراطية لمواجهة المشكلات الإجتماعية.

لقد إكتسبت الفلسفة في فكرجون ديوي John Dewey قيمة معرفية وعملية يقول: "الفلسفة هي النظرية العامة للتربية."¹ أي أن الفلسفة تحقق نتائج عملية في التربية تعود بالمنفعة على الفرد وعلى المجتمع والدولة. أمن ديوي أن التربية هي الحياة نفسها وتستمر لأن المجتمع دائم التغيير، والعملية التربوية غاية لأنها تهدف إلى الإرتقاء بالفرد وتعتبر وسيلة لأنها عبارة عن أسلوب للعمل من أجل إرتقاء الإنسان. سنحاول في هذا الفصل إلى تحديد أهم المفاهيم الجوهرية عابرين تاريخ التربية الدينية عبر العصور الفكرية مبرزين مرجعية ديوي في التأسيس لمنهجه التربوي.

¹- نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، سنة 2004، ص41

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

أولاً: التربية (education , educatio)

أ- **التعريف اللغوي:** التربية مشتقة من اللاتينية educatio تعني فعل educare يعني يغذي أو يربي ويحمي كائن ما إنها عملية تسعى لجعل الطفل رجلاً كاملاً.¹

التربية لغة هي الرعاية والنمو والنشوء يقال رباه: نماه ورباه: نمى قواه الجسدية أما تربي فتنشأ وتغذى وتتقف²، ويقال: وربيته تربية وتربيته أي غدوته قال هذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه³، قوله تعالى: " ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين "⁴.

ب- **التعريف الإصطلاحي:** التربية تبليغ الشيء إلى كماله أو هي كما قال المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً، نقول: ربيت الولد إذا قويت ملكاته ونميت قدراته، وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة ونقول: "تربي الرجل إذا أحكمته التجارب ونشأ نفسه بنفسه".⁵

كما عرف البعض التربية أنها " العمليات التي يتفاعل معها الإنسان المتعلم من أجل النهوض بقواه الفطرية العقلية والإدراكية والإنفعالية والاجتماعية والحركية وإكسابه الخبرة المعرفية والقيمية، لمواجهة الحياة والتكيف معها والقيام بالأدوار

¹ -Larousse Grand dictionnaire de La philosophie, sous la direction de Michel Blay, CNRS édition vuf, imprimé en Italie par LTV la tipogravica Varese,2003,p320.

² -إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الشروق بيروت، ط4، ص326

³ -إبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب ت، ج3، ص1574

⁴ - القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية18

⁵ -جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، سنة1982، ص266

الإجتماعية بما يتلائم مع المواطنة السليمة والوعي بشروط تقدم المجتمع والتوازن مع معطيات الحياة".¹

ج- التعريف الفلسفي:

التربية لها طريقتان الأول أن يربى الطفل بواسطة المربي والثانية أن يربي نفسه بنفسه، فإذا إتخذت التربية بالطريق الأول كانت عملاً موجهاً يتم في بيئة معينة وفقاً لفلسفة معينة، وإذا أخذت بالطريق الثاني كانت عملاً ذاتياً خاص بالطفل يربى فيه النشاط الحر والفروقات الفردية وتسمى بالتربية التقدمية *éducation progressive* هي حركة إصلاحية مبنية على المذاهب النفسية والإجتماعية إتصلت بالفلسفة الدرائعية الديوية.²

يعرف غوبلو *Goblot* "التربية أنها مسار يقوم على تطوير وظيفة أو عدة وظائف تطورا تدرجيا بالدربة وعلى تجويدها وإتقانها.³ يقصد أن التربية عملية وظيفية تتفاعل مع الوقت.

يقول ديوي: "في عالم التربية يصبح الطفل الشمس التي على محورها تدور نظم التعليم والطفل وحده في مبادئ التربية هو مركز الجاذبية."⁴ أي أن الطفل محور العملية التربوية، ويعرف ديوي في قاموس التربية إنها تنشأ عن إشتراك الفرد في الوعي الإجتماعي المجنس البشري، وهذا السبيل ينشأ لواعيا وقت الميلاد تقريبا ويستمر على نحو موصول في تشكيل قوى الفرد مشربا وعيه، مكونا عاداته، مدربا

¹- محمد محمود الخوالدة، مقدمة في التربية، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط1، سنة 2003، ص73

²- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص267.

³- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلد الثالث منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1، سنة 1996، ص322

⁴- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، ص11

أفكاره، مثيرا مشاعره وإنفعالاته. يرى ديوي أن التربية بالنسبة للحياة الإجتماعية كالتغذية والتنازل والتكاثر بالنسبة للحياة الفسيولوجية سواء بسواء.¹

يعرف إبراهيم مدكور في معجمه الفلسفي التربية هي تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف.²

يعرف عالم الاجتماع إميل دوركايم Emile Durkheim كلمة تربية دخلت إلى اللغة الفرنسية بفضل علماء عصر النهضة، حينما أوردها روبرت إستيان Robert Estienne في قاموسه اللاتيني الفرنسي عام 1549، بمعنى التغذية nourriture ثم يذكر فولكيé foulquié في معجمه التربية أن الفعل اللاتيني Educare يشير إلى معنى التنشئة Elever تستخدم كذلك لغير الإنسان، وخاصة في مجال تربية بعض الحيوانات أما كلمة pédagogie فإنها مكونة من مقطعين يونانيين الأول ped وأصله pais أو pedos بمعنى طفل والمقطع الثاني Agogé بمعنى القيادة والتوجيه أي بيداغوجيا تعني توجيه الأطفال وقيادتهم.³

يقول ريبول أوليفي Reboul Olivier في كتابه La philosophie de L'éducation: "لا تستهدف التربية إلا تشكيل الإنسان، سواء بواسطة مدرسة الأحاسيس أي العائلة أو بواسطة التدريس وليس التعليم إلا هذا الجزء من التدريس الذي يستهدف تثقيف الإنسان بتكوين حكمه".⁴

¹- رالف ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، سنة 1974، ص55، ص56.

²- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة 1983، ص49

³- Dictionnaire de la langue pédagogique, p, FOULQUIE, P.O.F. 1971, P34

⁴- Reboul Olivier, La philosophie de l'éducation, édition PUF, paris, 1971, p31

يبقى مفهوم التربية يقصد الطفل كونه محور العملية التربوية التعليمية، لأنه يمثل رجل المستقبل الذي يتطلب عليه أن يرتقي إلى مستوى علمي أخلاقي راقٍ يساهم في بناء صرح المجتمع في جميع المجالات، ويرفع من مستوى الإزدهار والتطور العلمي والمعرفي لدفع التربية والتعليم في البلاد.

ثانياً: الدين (religion, religio)

أ- **التعريف اللغوي:** كلمة لاتينية religio وتعني الإحساس بالخوف وتأنيب الضمير أمام الألهة، وكلمة الدين religare تعني الربط الجامع بين البشر والألهة.¹

يشترك سيشررون Cicérone الدين من كلمة relire وتعني revoir avec soin بمعنى تجديد الرؤية بدقة ويعرفه: "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله".²

يعرف الدين لغة حسب الموسوعة العربية العالمية: "الملك والحكم والتدبير من دانه دنيا أي ملكه وحكمه وحاسبه وقهره".³

يعرفه جورج طرابشي في معجم الفلاسفة: "الدين يطلق على مجموعة من الأفكار والعقائد، التي توضح بحسب معتيقها الغاية من الحياة أو هو الاعتقاد المرتبط بالإلهيات".⁴ ويعرفه الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعة الفلسفة: "الدين لغة هو العادة والشأن بمعنى آخر طاعة المرء وإلتزامه لما يعتنقه من فكر ومبادئ عند العرب فالدين يشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له".⁵

¹- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلد الثالث منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1، سنة 1996، ص1205

²- المعجم نفسه، ص1203

³- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط2، ص586

⁴- طرابش جورج، معجم الفلسفة، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، ص230

⁵- عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، سنة 1984، ص169

يعرفه الدكتور مصطفى حسبية في المعجم الفلسفي: "الدين من دان، خضع ودل وهو طاعة المرء وإتزامه لما يعتنقه من أفكار ومبادئ".¹

ب- التعريف الإصطلاحى: الدين في الإصطلاح العام يعني ما يعتنقه الإنسان ويعتقد هو يدين به من أمور الغيب والشهادة. فهناك ثلاثة أديان سماوية الإسلام اليهودية المسيحية وأديان وثنية مثل: الكونفوشية، الهندوسية، البودية الزراديشية. ويطلق الدين على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملة وهنا نفرق بين الدين الذي ينسب إلى الله والملة تنسب إلى الرسول والمذهب ينسب إلى المجتهد.²

عرفه الإسلاميون أنه وضع إلهي سائق لدوي العقول السليمة بإختيارهم إلى الصلاح والفلاح في المآل، فالدين بمقتضى هذا الإصطلاح هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الإعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات.³

الدين ما شرعه الله لعباده من أحكام يقول أبو البقاء في كليته: "الدين وضع إلهي سائق لدوي العقول بإختبارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيا كان أو قالبيا، أي معنويا أو ماديا كالإعتقاد والعلم والصلاة".⁴

يقول الدكتور إبراهيم مذكور في المعجم الفلسفي: "الدين مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة يسد حاجة الفرد والمجتمع أساسه الوجدان وللعقل مجال فيه".⁵

¹- مصطفى حسبية، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، سنة 2009، ص 4223

²- طرابش جورج، معجم الفلسفة، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، دس، ص 230

³- المعجم نفسه، 223

⁴- عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، سنة 1984، ص 170

⁵- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة 1983، ص 67

يمكن القول أن علماء الدين إتفقوا على أنه شرع الله إلى العباد لدعوتهم إلى التوحيد ومعرفة الخالق، فمهمة الإنسان في الأرض هي العبادة في قوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"¹.

ج- التعريف الفلسفي:

يقول بيير لاروس Pierre la rousse في معجمه: "إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى التي أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية وإن الغريزة الدينية لا تختفي بل ولا تضعف ولا تبدل إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد."²

يعرف عالم الاجتماع إيميل دوركايم Emile Durkheim الدين عاملا هاما في حياة المجتمع إذ يغير أشكاله طبقا لمرحلة التطور التي بلغها المجتمع، سيبقى الدين ما بقي الإنسان لأن المجتمع مآله في الدين ذاته."³ كما يرى أنه منظومة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمر مقدسة أي منفصلة محرمة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحد يدعى جامعا لكل الذين ينتمون إليه."⁴

يعرفه سيجموند فرويد Freud Sigmund أن الدين هذيان وأنه يشوه الواقع ويزجر العقل ولا يحقق السعادة التي يبتغيها الإنسان يقول: "إن الدين يضر بلعبة التكيف والانتخاب تلك إذ يفرض على الجميع وعلى نسق واحد، طرقه الخاصة للوصول إلى السعادة وللغفوز بالمناعة ضد الألم. وتقوم خطته على تخفيض قيمة الحياة

¹ القرآن الكريم ، سورة الداريات ، الآية 56.

² -Nouveau la rousse encyclopédique dictionnaire en 2 volumes, kondratiev, zythum, imprimé en Italie, anné2003, p1322

³ صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، سنة1982، ص201

⁴ م روزنتال، ب يودين ، الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابشي

دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة1984، ص202

وعلى تشويه صورة العالم الواقعي تشويهاً بالغاً، وهذا نهج يتخذ مسلمة له زجر العقل وتخويله. وبهذا الثمن يفلح الدين، بالبأسه أتباعه بالقوة ثوب طفولة نفسية ويزجهم جميعاً في هذيان جماعي".¹ يحاول فرويد Freud أن يجعل الدين حالة سيكولوجية ذاتية بعيداً عن المجتمع.

ثالثاً: فلسفة الدين (philosophie de la religion)

أ-التعريف اللغوي: فلسفة الدين تجمع بين لغة الفلسفة ولغة الدين لتعبر عن لغة واحدة، فهي فرع من فروع الفلسفة تهتم بالمجال الديني وقضايا الإله ووجوده والميتافيزيقا والعلاقة بين العلم والدين.

ب-التعريف الإصطلاحي: تعني التفكير الفلسفي حول الدين فهي ليست جزءاً من التعاليم الدينية، ولا ينبغي أن تعالج من وجهة نظر دينية بل هي فرع من فروع الفلسفة تدرس مواضيع مختلفة تهتم بالدين.

يتحدد المعنى الإصطلاحي عند محمد عثمان الخشت في أطروحته للدكتوراه بعنوان "المعقول واللامعقول في الأديان بين العقلانية النقدية والعقلانية المنحازة" في سنة 1993 وقد نشرت في مصر سنة 2006.

تتخذ فلسفة الدين تعاريف ومعاني متعددة وتبعا لمعناها الجوهرية فهي التفكير في الحديث الديني وتهتم بالأسئلة الدينية الكبرى، ومعنى العبادة والإله والإيمان والتعليمات الأخلاقية".²

¹- الموسوعة الفلسفية، نفسها، ص316

²- جان غرونديان، فلسفة الدين، ترجمة وتعليق عبد الله المتوكل، مؤسسة مؤمنون للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان

ط1، سنة 2017، ص30

ج- التعريف الفلسفي:

تعني فلسفة الدين التفكير الفلسفي حول الدين فهي ليست جزءاً من التعاليم الدينية ولا ينبغي أن تعالج من وجهة نظر دينية، بل هي فرع من فروع الفلسفة يدرس المفاهيم والمنظومات الإعتقادية الدينية ويدرس ظواهر التجربة الدينية وأعمال العبادة.

لقد حصر بعض الفلاسفة فلسفة الدين في موضوع دين الأبناء مثل أفلاطون Platon و أرسطو Aristote أن يفترض، إلا الألهة تقليدهما الديني والقدسي أوغسطين Augustin أن يبيلور إلا عقيدة مسيحية، في حين نجد ابن ميمون Maimonide في كتابه "دلالة الحائرين guide des égarés" وابن رشد Averroès حاولا التوفيق بين الفلسفة ودينهما اليهودية والإسلام.¹

نجد فلسفة الدين عند الفلاسفة المسلمين في الأدبيات الإسلامية الحديثة وتعني العلم الشامل للفلسفة الإسلامية، والتوجهات والإتجاهات المشائية والإشراقية والصدرائية وما توصلت إليه الشخصيات البارزة في الحكمة الإسلامية.

يرى جون هيك John Hick في كتابه "فلسفة الدين" تدرس المفاهيم والمنظومات الإعتقادية الدينية، كما تدرس ظواهر التجربة الدينية وأعمال العبادة والتأمل التي تركز عليها وتنشأ منها هذه المنظومات الإعتقادية". كما يشير إلى تعريفات مختلفة للدين منها الدين إعراف بشري بوجود قوة فوق بشرية، مسيطرة هي الإله أو الآلهة الذين يستحقون الطاعة والعبادة.²

تفهم فلسفة الدين لأنها تركز إهتمامها على سؤال محصور مثل ماهية الدين أو الله أو الخلود، كما تفهم بوصفها تحليلاً أو كشفاً وتوضيحاً للأسس الفلسفية للدين بصفة عامة

¹- جان غروندان، المرجع نفسه، ص32

²- جون هيك، فلسفة الدين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكيمة، بيروت، لبنان، ط1، سنة2010، ص3

يقول كولاكفسكي Kolakowski: " ما يسميه التقليد الأنجلوساكسوني فلسفة الدين يغطي بصفة عامة، المجال المعروف منذ القرون الوسطى بإسم اللاهوت الطبيعي، أي الفحص العقلاني للقضايا اللاهوتية دون الإحالة إلى سلطة الوحي".¹

يعرف أوليفر ليان Oliver le aman إن فلسفة الدين لديها إرتباط شديد الخصوصية بما هو شخصي، وقد إتخذ الكثير من المفكرين موقفا خاصا من الدين وربما هم يرون أن فلسفة الدين تكتسب لديهم أهمية أكثر من مجرد الأهمية النظرية.²

رابعا- الإيمان: FOI, FAITH FIDICIA

أ- **التعريف اللغوي:** مشتق من الكلمة اللاتينية FIDICIA وتعني التصديق، يقال أمن بالشيء صدق وضده التكذيب يقال أمن به قوم وكذب به قوم. ويعني الانتماء الروحي القوي شديد القوة ذاتيا مثل الإنتماء الذي يكون اليقين لكنه غير قابل للتوثيل بالبرهان مرادف إعتقاد CROYANCE هذا المعنى هو أكثر ترددا عندما تكون هذه الكلمة معارضة بنحو عام لكلمة SAVIOR علم معرفة وعندما يتعلق الأمر بالإيمان الذهني خاصة يكون العقل RAISON هو اللفظ المقابل عمليا.³

تعريف الجرجاني : "الإيمان في الشرع إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي وإعتقاده وتصديقه، فمن إعتقد وشهد وعمل فهو مؤمن غير شاك ولا مرتاب ومن إعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق".

¹- Leszek Kolakowski, **philosophie de la religion**, traduit de l'anglais par, Jean Paul Landais, fayard, France, 10-18, 1985, p16.

²- أوليفر ليان، **مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين**، ترجمة مصطفى محمود محمد، سلسلة عالم المعرفة الكويت، دط، سنة 2004، ص 65

³- لالاند، أندري، **الموسوعة الفلسفية**، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلد الثالث، Z R منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1، سنة 1996، ص 436.

والأصل في الإيمان في صدق الأمانة وهي النية التي يعتقد بها الإنسان فيما يظهر بلسانه من الإيمان ولذلك قيل الإيمان أمانة ولا دين لمن لا أمانة له¹.

ب- التعريف الإصطلاحي: التصديق بالقلب، تقول أمنت بالشيء أي صدقته وإعتدته، فالإيمان هو الثقة المطلقة بشخص أو بقول مضمون الصدق نقول : أمن بالشخص أو بالقول وتثق به وأمن بما جاء في العهد، فالإيمان بهذا المعنى هو الثقة والطمأنينة معا، ومن معاني الإيمان تسليم النفس بالشيء تسليما راسخا لا تقل قوته من الناحية الذاتية عن قوة اليقين². المعنى العام للإيمان هو إعتقاد راسخ لا يقل عن اليقين ولكن لا يمكنه نقله عن طريق البرهان، يعتمد أساسا على الثقة وطمأنينة القلب أكثر مما يعتمد على الحجج العقلية، والإيمان إدراك شيء ما على أنه صادق دون برهان.

ج- التعريف الفلسفي: يرى ديوي أن المسؤولية التي تقع على عاتقنا هي حفظ ونقل وتنقيح وتوسيع وتمديد تراث القيم التي تلقيناها، بحيث أن أولئك الذين يأتون بعدنا يأخذونها عنا، وهي أكثر تماسكا وصلابة وأوفر أمانا وصونا وأحكاما وأفسح مدخلا وأوسع إشتراكية وشمولا مما تلقيناها. هنا تكمن كل العناصر اللازمة لعقيدة دينية لا تقتصر على ملة أو نحلة أو شيعة أو طبقة أو جنس، ولقد كان مثل هذا الإيمان المشترك دائما هو الإيمان المضممر بطريقة ضمنية كعقيدة مشتركة بين الناس جميعا. أنا أصف هذا الإيمان بأنه توحيد للذات عن طريق الولاء لغايات مثالية شاملة يعرضها الخيال وتستجيب لها الإرادة الإنسانية بإعتبارها تستأهل الإستئثار برغباتنا وإيثارها وإختيارها على ما عداها³.

¹ - صليبا، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، سنة1987، ص20

² - إبراهيم، مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة1983، ص29

³ - رالف. ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمدعلي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر

دط، سنة 1974، ص43

الإيمان مبني على أسباب شخصية ذاتية والأفعال الإيمانية هي الأفعال التي تعبر عن الإعتقاد وهي:

- الفعل الإرادي الذي يوافق به على صحة قضية غير بديهية أو على صدق قول لم يقم عليه البرهان

- التعبير عن الإيمان الديني باللسان أو العبادات أو الطاعات

- الإعتراف العلني بقبول رأي أو فكرة أو مبدأ.¹

في القرن السابع عشر كان يفرق بين الإيمان الإلهي (الإيمان الديني) وبين الإيمان البشري (أي عملية الإعتقاد بشهادة البشر).

يقول م بلوندل Blondel: "يفض الإيمان إلى أكثر العلوم واقعية" و يقول باسكال Pascal: "الإيمان ليس ضد المعقول ولا هو غير معقول فهو لا ينكر العلم ولا يتجاهله إنه يرتكز على العقل.²

خامسا: البراغماتية (pragmatism, pragmata)

أ- التعريف اللغوي: البراغماتية كلمة مشتقة من كلمة يونانية pragmata ومعناها

الفعل وقال أنها مشتقة من الفعل براسو prasso أو براتين prattein أي العمل.

يشير لالاند Lalande في قاموسه الفلسفي إلى صفة دريبي درائعي عملي وبراغماتيكي بمعنى أنها صفة مأخوذة من براغما، أي فعل ومعنى الدريبي مزدوج ما يختص بالعمل النجاح الحياة سواء في مقابل المعرفة الفطرية أو في مقابل الواجب الأخلاقي هذا ما أشار إليه الفيلسوف الفرنسي موريس بلوندل Maurice blondel ليدل به على

¹ - صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ص 187

² - لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، نفسها، ص 436

علم الفعل، إذن من ناحية الإشتقاق كلمة براغماتية كلمة يونانية الأصل وتعني الفعل سواء بإستعمالها كإسم أو كصفة.¹

ب- التعريف الإصطلاحي: نجد الدلالة الإصطلاحية في قول جون ديوي: "إني أؤكد على سبيل الجزم أن لفظ براغماتي لا يعني إلا قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الإعتبارات التأملية إلى نتائجها." وقد أشار إليها في موضع آخر بقوله: "البراغماتية كإتجاه يمثل موقف بيرس pierce في تسميته: العادة المخبرية للذهن laboratory habit of mind وقد إمتدت لتشمل كل ميدان يمكن للبحث أن يثمر فيه ويعطي نتائج.²

فالبراغماتية هي مذهب ظهر في أواخر القرن التاسع عشر مع بيرس وجيمس وتعني أن المعرفة مجرد دريعة إلى العمل، وأن الصدق تابع للخبرة وأن مقياس الصواب في المعرفة والعمل إنما هو الإستفادة، وتستخدم البراغماتية النتائج على أنها إختبارات لأبد منها للدلالة على صدق القضايا. ومعيار صدق الأفكار في قيمة عواقبها عملا والمعرفة أذات لخدمة مطالب الحياة وصدق قضية يكمن في أنها تكون مفيدة.³

فهو مذهب فلسفي يقر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية، ومعنى ذلك أنه لا يوجد في العقل معرفة أولية تستنبط منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي.⁴

¹- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، نفسها، ص1012

²- محمد جديدي، فلسفة الخبرة جون ديوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 سنة2004، ص18

³- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص152

⁴- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات المجلد الثاني منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، سنة2001، ص 203

ج- التعريف الفلسفي:

أشار ديوي في مقاله "نمو البراغماتية الأمريكية the development of american إلى بيرس كونه أول من إستخدمها، وهذا حينما فرق بين كلمتي "براغماتي" و"عملي" مستعيراً إياها من الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط Emmanuel Kant حين ميز بين ما هو براغماتي، وما هو عملي وجاء هذا في كتابه "ميتافيزيقا الأخلاق" لما جعل ما ينطق به على القوانين الأخلاقية عملياً وما ينطبق على قواعد الفن البراغماتياً.

يقول وليم جيمس William James: "القيمة البراغماتية لوحدة العالم هي أن كل الشبكات المحددة المعينة موجودة فعلاً (مادة - فكر) وقائمة عملياً (تجربة) وراهنه في واقع الأمر حادثة." عند اليونان كلمة حقيقي فعال قابل لإستعمالات نافعة في مقابل ما هو فارغ كلام فارغ حسب بعض مؤرخي الفلسفة فإن أصحاب الحركة البراغماتية قد دمجوا لفظين يونانيين معا براغما "الأشياء المصنوعة" وبراغما "الفعل".¹

سادساً: المجتمع (société, society)

أ- التعريف اللغوي: مصطلح المجتمع society مشتق من الكلمة اللاتينية societas والتي تعني مجتمع مشتقة بدورها من كلمة socius الذي يعني الصديق، الرفيق وصيغة الصفة هي socialis وقد أستخدم لوصف رباط أو تفاعل بين الأطراف المؤتلفة أو المدنية.

وقد كتب آدم سميت Adam sémite: "أن المجتمع مكان الإجتماع ويطلق على جماعة من الناس، قد يعيش فيه رجال مختلفين من جميع الأعراق والشعور بفائدة

¹- محمد جديدي، فلسفة الخبرة جون ديوي، مرجع سابق، ص32

وبدون حب وتعاطف".¹ فالمجتمع مشتق من الفعل إجتمع ضد تفرق وهو موضع إجتماع الناس.

ب-التعريف الإصطلاحي: المجتمع مجموعة أفراد تربطهم علاقات منظمة وخدمات متبادلة، ومصالح مشتركة وتسودهم روح عامة وتقاليد مشتركة يخضعون لها جميعا فالمجتمع سلطان على أفراده كالأسرة والأمة.² فالمجتمع مجموعة أفراد تربطهم رابطة ما معروفة في حياتهم وفي علاقاتهم مع البعض.

هو سبيل من الترابط والمعاشرة والمشاركة والتقارن بطرق معينة بحيث أن الأفكار والإنفعالات والقيم تنتقل وتنفذ في عمومية مشتركة مصدرا وسريانا وتطبيقا.

كلمة مجتمع واحدة لكنها أشياء كثيرة لا حد لها ولا حصر، فهي تشمل كل الطرائق والوسائل التي يشارك الناس خبراتهم بواسطتها في تعايشهم وترابطهم وإقامتهم لمصالح مشتركة وأهداف وغايات مبتغاة.³

ويعرف المجتمع في المعجم الوسيط هو موضع الإجتماع والجماعة من الناس ويعرف في معجم اللغة العربية من الفعل إجتمع القوم تحت لواء الإتحاد والإتفاق والقوانين المشتركة.

ج- التعريف الفلسفي: يعرف المجتمع الإنساني في الفلسفة أنه مجموعة الأفراد تربطهما علاقات قوية تجسدت في شكل مؤسسات، أصبحت في الغالب محمية بواسطة أليات الضبط والنظام ويتكون من مجموعات أفراد وجماعات تربطهم روابط مختلفة.

¹- حنان مالكي، المدرسة والحراك الإجتماعي، جامعة محمد خضر، بسكرة، الجزائر، ج1 ، ط1، دس، ص348.

²- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، ص178

³- رالف ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية، ص187

يعرفه "جورج هيلاري George Hillarie": عبارة عن مجموعة من الناس يشتركون في تفاعل إجتماعي، وتوجد بعض الروابط المشتركة بينهم وتكون المجتمع أربعة عناصر هي الجماعة، التفاعل، الروابط، المكان والزمان.

يعرف شارلز بييج Charles big في كتابه المجتمع هو نسق مكون من العرف المنوع والإجراءات المرسومة، ومن السلطة والمعونة المتبادلة ومن كثير من التجمعات والأقسام وشتى وجوه ضبط السلوك الإنساني والحريات، هذا النسق المعقد الدائم التغير يسمى المجتمع، إنه نسيج العلاقات الإجتماعية.

أما دوركايم Durkheim يرى أن المجتمع لا يمكن أن يستمر إلا إذا وجدت درجة كافية من التجانس والتربية، فالمجتمع هو قبل كل شيء ضمير وهو ضمير المجموعة الذي يجب إيصاله إلى الطفل و يتكون المجتمع من:

- النظم الإجتماعية

- الظواهر الإجتماعية فهي أنماط متكررة من السلوك الجماعي يشعر بها أفراد المجتمع

- قوى عقلية أو تيارات فكرية ثقافية تتحكم في السلوك أو الفعل الإجتماعي.

سابعاً: المدرسة (Ecole, School)

أ- **التعريف اللغوي:** كلمة لاتينية مشتقة من الكلمة Scuola وتعني فرقة تجتمع في مكان وسميت باليونانية Schule وهو مكان تجمع الكهنة والفلاسفة المصريون حسب أرسطو.¹

¹- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، ص315

ب- التعريف الإصطلاحي: المدرسة إحدى الهيئات الرسمية في المجتمع والتي تربي وتنشئ الأبناء وتعمل على رفع قدراتهم ومهاراتهم في جميع المجالات، فهي تعمل بمساعدة الأسرة في التنشئة الاجتماعية للفرد وزرع القيم الإنسانية.

كلمة مدرسة مشتقة من جذر ثلاثي (د ر س) يعني التعلم أو التعليم، وتعني بالمعنى الدقيق، جماعة فلاسفة لا تجمعهم عقيدة مشتركة وحسب بل يجمعهم أيضا تنظيم مكان إجتماع رئيس، وتدل كلمة مدرسة على الفلسفة المدرسية السكولائية كان هذا التعبير متداولاً كثيراً في القرن السابع عشر وهو يميل اليوم إلى السقوط في مطاوي الإهمال والنسيان.¹ فالمدرسة جماعة الفلاسفة أو المفكرين تقول بمذهب مشترك وتنتمي إلى مكان معين وتخضع لرئيس أو رؤساء متلاحقين على نحو ما كانت عليه المدارس الفلسفية اليونانية كالمشائية والرواقية.

ج- التعريف الفلسفي: المدرسة تطلق على جماعة من الباحثين تعتنق مذهباً أو تأخذ على الأقل بقدر من الآراء المشتركة بين أصحابها كمدرسة الكوفة والبصرة. أخرج المدارس الفلسفية اليونانية الكبرى، قامت على أيدي البطالسة في القرن الثالث قبل الميلاد وإستمرت إلى القرن السادس بعد الميلاد حين فتح العرب مصر، إمتازت بنزعة أدبية على يد إقليدس euclidean ثم غلبت عليها نزعة دينية فلسفية تحاول التوفيق بين المذاهب المختلفة وممثليها أفلوطين plotinus.²

¹- الموسوعة نفسها، ص 316

²- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي ، ص 180

فالمدرسة ما يتعلم فيها لا يشكل إلا جزءا يسيرا من التربية وهو جزء سطحي تعليمنا لا يربي وإضطرت المدارس إستجابة للظروف والأحوال الواقعية، أن تكون غير طائفية في المدن، ومن ثم إضطرت إلى تحاشي القضايا الهامة حول علاقات العلم المعاصر والمعرفة التاريخية مقامها بالقياس إلى العقائد الدينية التقليدية.¹

يعرفها بعض علماء التربية فرديناند بويسون fredained boissonne: "المدرسة مؤسسة إجتماعية ضرورية، تكمن أهميتها في إبقاء عملية التواصل بين الأسرة والدولة بهدف إعداد جيل جديد يندمج في الحياة الإجتماعية.

ويعرفها فريدريك هاستين Frédéric Hasting: "نظام معقد يعتمد على السلوك المنظم الذي يحقق مجموعة من الوظائف والمهام في إطار معين من النظام الإجتماعي يعرفها ريموند بدون Raimond bidon: "نظام إجتماعي يقوم بمجموعة من الوظائف مثل وظيفة الإدماج ووظيفة الحراك الإجتماعي، وهذا النظام التعليمي يضم مجموعة من الأشخاص يتميزون بالمعرفة، وهدفه إخراج جيل جديد على كفاءة عالية والعمل على إستمرارية هذا النظام."²

تبقى المدرسة مؤسسة نظامية إجتماعية تربوية تسعى لتربية الطفل تربية علمية سليمة يكون فيها شخصية متزنة، يندمج ضمن علاقات إجتماعية تنمي روح المعرفة والتربية حتى يكون فرد صالح في المجتمع يساهم في بناء الصرح العلمي والمعرفي والتربوي.

¹- رالف ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية، ص189

²- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، سلسلة الكتب الثقافية الشهرية يصدرها المجلس

الثقافي للفنون والآداب، الكويت، العدد190، سنة1995، ص213

المبحث الثاني: كرنولوجيا التربية الدينية في الفكر الفلسفي

توطئة:

تعتبر التربية من المواضيع الثقافية الإنسانية، ودراسة تاريخها هو دراسة الأحداث والأشخاص والعلاقات الزمنية والمكانية ويهتم بإبراز الحركات الإجتماعية وتطورها عبر التاريخ. لهذا تضعنا المحطات التاريخية لتطور الفكر التربوي أمام تنوع نظريات تربوية هامة ساهمت في تكوين ثقافة المفكر التربوي جون ديوي John Dewey.

وسنحاول عرض تاريخانية التربية عبر تسلسل الحقب الزمنية حتى يتسنى لنا تكوين نظرة شاملة عن تطور الفكر التربوي الإنساني، بداية وجب علينا عرض أساليب التربية البدائية والتي نجحت في تصريف بعض أمور حياتهم، حيث كانت التربية عند البدائيين يحكمها المعتقدات والطقوس الغريبة وإيمانهم بخضوع الإنسان لعالم أعلى وبوجود أرواح بعضها خيرية وأخرى شريرة، فسادة التربية الخلقية الدينية في ثقافة المجتمع البدائي.

التربية الدينية عند الحضارات الشرقية القديمة:

بدأت التربية قديما في القبائل البدائية بتلقين الآباء والأمهات إلى صغارهم وتعلمهم من سلوكات الكبار، فالحياة مدرستهم والخبرة معلمهم وحواسم أدوات تعلمهم، إنها بيئة أصلية هدفها خدمة الفرد والمجتمع.

بدأت المدارس بشكلها النظامي بعد ظهور الكتابة والرسومات على الحجر، ثم إنتقلت خاصة مع السلطات الكهنوتية لأن الكتابة كانت يتميز بها رجال الدين، لقد أنشأ

السومريون المدارس لتعليم القراءة والكتابة حوالي (3000 ق.م) وكان معظم المعلمين رجال الدين وكهنة المعبد، والمتعلمين من الطبقات العليا يكررون ما يكتبون.

التربية الدينية الصينية:

وجدت المدارس في بلاد الصين قبل (5000 سنة) وكانت توجد أركان المعابد يتعلم فيها الأطفال الكتابة ومبادئ الحساب ويدرسون التاريخ والفلسفة والدين. وبما أن التربية تخضع للدولة كانت تهيئ لها الموظفين الذين يعينون حسب شهاداتهم ويمتحنون في كلية (هان لين بوان) هي أكاديمية إمبراطورية من عشرة آلاف حجرة كل طالب يمتحن في حجرة لمدة 13 يوما في الأخلاق والفلسفة والأدب ثم يعين الناجحون في مناصب عليا في الدولة.¹

مثلت التربية الصينية ثلاثة ديانات منها الكونفوشيوسية، الطاوية، البوذية وقد نسبة الديانة الكونفوشيوسية نسبة إلى زعيمها "كونفوشيوس Confucius" يرى أن المجتمع لا يصلح إلا بالأخلاق التي فسدت من ضعف الإيمان القديم، وانتشار الشك في تحديد الصواب والخطأ يقول: "إن العالم في حرب لأن الدول التي يتألف منها فاسدة الحكم والسبب في فساد حكمها، أن الشرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعي الطبيعي الذي تقيمه الأسرة."²

الذي وضع خمسة مجلدات عرفت بإسم "كتب القانون الخمسة" التي كانت تدعوا تعاليمها إلى إحترام الدين والأخلاق ومبادئها وعلم ما وراء الطبيعة. والديانة الطاوية تسمى الطريق الحق مؤسسها "لاوتسي lautsy" الذي كانت تعاليمه تهدف إلى إنسجام الجسم مع الروح والإنسان والطبيعة لتحقيق حياة سعيدة.

¹ - أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، سنة1986، ص75، ص76

² - المرجع نفسه، ص72

وأخيرا الديانة البوذية نسبة إلى مؤسسها "بوداBuda" وإهتمت بالميتافيزيقا ودعت إلى خلاص النفوس، وتنص على بعض التعاليم فالوجود في نظرهم شقاء ويسبب الشقاء رغبات أنانية يمكن تدميرها بواسطة القول الحق والسلوك القويم.

ولم تكن مكانة للتربية والتعليم في الصين حيث انفصل الدين عن الدولة، ولم تكن هناك مدارس حكومية بل مدارس صغيرة في قرى يعلم فيها المعلم "كونجKong" ويتقاضى راتب من أولياء التلاميذ يعلمهم الكتب الدينية، وخدمة النظام القائم وعندما يبلغون سن 20 يخضعون لإمتحانات تحت إشراف الحكومة ولجان من كبار العلماء.¹ إذن لم يكن ببلاد الصين نظام تعليمي حكومي وغالبا ما كانت تأخذ المدرسة مكانها في المعابد، وكان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة وكان غرض التربية عامة هو خدمة النظام القائم.

التربية الدينية الهندية:

يمثل الدين دورا في الحياة التربوية عند الهنود حيث كان المجتمع عبارة عن طبقات منها:

- طبقة البراهمانيين أو الكهنة هم أعلى طبقة في المجتمع تشرع وتحكم
- طبقة المحاربين يمثلون الجيش وشؤون الحكومة
- طبقة الصناع يهتمون بالجانب المهني والزراعي والتجاري
- طبقة العبيد يقيمون بخدمة البيوت وخدمات الآخرين
- طبقة المنبوذين يمثلون أسرى الحرب من السكان الأصليين الذين تحولوا إلى عبيد وتنقسم التربية في الهند إلى قسمين: التربية البراهمانية والتربية البوذية.

¹- المرجع السابق، ص46، ص47

أ- التربية البراهمانية هدفها ديني يركز على الحياة الآخرة والتحكم بالعقل والإرادة كما تمثل دورا ثقافي هو تبصير الفرد بالنظام الاجتماعي المقدس. لقد مثل الدين دورا هام في التربية عند الهند القديمة حيث سيطر رجال الدين من البراهمان على التعليم والتربية للمحافظة على النصوص المقدسة، وكان المعلم حريصا على التعاليم الدينية لنصوص "الفيدا" وهو كتاب يحتوي على أناشيد وطقوس للضحايا والقرايين والتعاويد السحرية وكثيرا من الآلهة، ويتكون من أربعة أجزاء كل جزء يستغرق 12 سنة لتعلمه.

وقد إقتصرت هذا التعليم على طبقة البراهمان والمحاربين وبتالي كان النظام غاية للتربية وليس وسياتها، ومن بين مدارس البراهمان مدرسة الجوروس وتعني الكاهن أي المعلم الوحيد في المدرسة. ومدرسة الباريشادو وتعني جماعة المتقنين ذوي المكانة الدينية والتربوية القادرين على تفسير كتاب الفيدا، كما أن هؤلاء المعلمين لا يتقاضون أجرا على تعليمهم لأنهم مثاليين لا يطعمون لهم عقيدة راسخة وأنفس طاهرة.

ب- التربية البودية تتفق مع التربية البراهمانية في الإهتمام بالمثل العليا الدينية والأخلاقية، لكنها تختلف معها في تقديم القرايين والضحايا والهدايا ورفضها لنظام الطبقات كونه نظاما اجتماعيا غير عادل.

هكذا فإن البودية كانت ثورة على البراهمانية، فالرهبان البوديون يرون أن الحياة والمثالية في التنسك والزهد والعزلة حتى يتغلب الإنسان على شهواته. وقد إحتكرت طبقة البراهمة التعليم على مواضيع الدين والتربية الأخلاقية وتعلم الحساب والكتابة وتميز التعلم عندهم بالتركيز على التربية الروحية والتحكم في الجسد.¹

¹ - المرجع السابق، ص 45

لقد ضل التعليم العام في الهند القديمة مجانياً، فحرمت الكتب المقدسة على المدرسين أخذ أجر لقاء عملهم، فلا تختلف التربية البودية على البراهمة إلا في إختلافات عن الدين والإيديولوجية الإجتماعية، وتتفان على الإهتمام بالمثل العليا الدينية والخلقية.¹

التربية الدينية عند المصريين القدماء:

إعتمدوا على تربية وتكوين الأفراد تكويناً عملياً وتزويدهم بقدرات ثقافية ومهنية، والجمع بين المجال الديني والديني وهذا الأخير يساعدهم في ضمان معيشتهم أما الديني فيخصص لخدمة الآلهة والحكام والكهنة.

لقد إعتد المجتمع المصري القديم على التربية الدينية وإعتقدوا أن الأرواح تعود لتسكن الأجساد فوضعوا فكرة التحنيط، وبنوا الأهرام ليحفظوا الجثث وأمنوا بالكثير من الآلهة "رع" إله الشمس "أمون" إله الطبيعة و"أوزيريس" إله النيل.

جسد المصريون القدماء من خلال التربية فلسفتهم حيث جعلوا الإيمان بالدين وخلود الروح والأسرار المقدسة، ثم الإهتمام بالعلوم التطبيقية كالحساب والطب والفن.

نشأت المدارس في كنف المعابد حيث تعلم المسؤولون على أرشيف القصر الكتابة واللغة والطقوس الدينية، وقد إهتموا بالعلم وسيطرت على التربية طبقة الكهنة وقسموا المجتمع إلى ثلاث طبقات: طبقة الكهان ورجال العلم، طبقة المحاربون، طبقة الفلاحون والتجار والعمال، وعرفت التربية عند المصريين تقسيم إلى مراحل تعليم الأطفال في المعابد كما أن أطفال الطبقة الحاكمة تحض بالتربية خاصة.²

¹ - المرجع نفسه، ص88

² - المرجع السابق، ص54

كان النظام في المدارس قاسيا والطلبة الذين يريدون دراسة اللاهوت والمسائل الدينية كانوا يلتحقون بمدارس المعابد بعد سبعة عشر سنة، وتتوقف مدة الدراسة على الوظيفة الكهنوتية التي يختارها، وقد سيطرت السلطات الرسمية والدينية على المدارس هكذا كانت التربية المصرية حافظة للثقافة الدينية وعاملة على إستمرار بقائها.¹

التربية الدينية عند اليهود:

إهتم المجتمع اليهودي بالتربية الدينية كقوة أبقت على عاداتهم وإعتقاداتهم حية على مر العصور، رغم كل الظروف القاسية التي عاشوها وكان الطفل يتعلم القواعد الخلقية والمعتقدات الدينية ويصبح الرجل الكامل في مكانة النبي الفاضل والذي يبلغ المثل الأعلى الذي سنه الإله يقول في التوراة " كونوا قديسين مثلما أنا قديس أنا ربكم الخالد". كان التعليم الخلقى والديني والتربية القومية من أهم أهداف التربية عند اليهود فكان كتاب التوراة من أهم الكتب التي تعلم عند الأطفال وكان المعلم يهتم بنصوص الدينية والنصائح الأخلاقية.²

التربية الدينية عند الرومان:

لم تكن هناك مدارس في روما لكن كانت الحياة فيها تمثل مدرسة كبيرة تتعلم فيها التربية، حيث أن سن السابعة كان الطفل يتلقى فيها التعاليم الخلقية وقواعد السلوك من أمه ثم يخرج الولد مع والده يلاحظه، ويتابعه فيما يقوم به من أعمال أي يربيه على طريقته أما البنات فكن يتعلمن على أمهاتهن في الشؤون المنزلية والإجتماعية والدينية ويعرفن واجباتهن. تميزت هذه الفترة المبكرة في حياة الرومان بغلبة الطابع

¹- المرجع نفسه، ص112

²- المرجع نفسه، ص50

الديني الذي صنع كل مظاهر الحياة الذي أثر على تربية الأفراد فعاشوا وتعلموا فضائل وعادات خلقية دينية سليمة.¹

التربية الدينية عند اليونان:

تعتبر التربية موضوع نقاش فلسفي ثري كونها تهدف إلى تحقيق مواطن صالح وقد إهتم فلاسفة اليونان بذلك حيث نجده في مواطن مختلفة، فالتقاليد الأرستقراطية القديمة في التربية لها تأثيرها وقد عرض الشاعر الهزلي "كارستوفان" "Carstoffen" ألوانا من أخلاق اليونانيين كالشجاعة والفضيلة.²

أعطت التربية اليونانية الفرد حرية الفكر والإبتكار وكانت التربية تنطلق من الأسرة ويتعلم الطفل في المنزل الأخلاق والتعاليم الدينية، ثم في سن السابعة إلى الثامنة عشر يربى تربية رياضية قاسية ومن الثامنة عشر إلى الثلاثون يتدرب على التربية الحربية وبعدها يصبح مواطن له حق المواطنة.

لقد حاول السفسطائيين حل مشكلات مجتمعهم من خلال التربية فمهمة المدرسة لا تقتصر على نقل التراث الثقافي، بل على حاجيات الإنسان المتزايدة لأنه مقياس الأشياء كلها، وكانوا يعملون مقابل أجره المال ومن أشهرهم "بروتاغوراس Protagoras" كان يتجول في المدن يلقي الدروس والخطب فكان معلم ومربي.

سعت الإتجاهات الجديدة التي جاء بها السفسطائيين إلى تغيير نمط التعلم في المدارس الإبتدائية، فأصبحت التربية تعتمد على تعلم التلميذ الحديث والجدل والحرية في السلوك وفن الحوار، كما أن السفسطائيون هم أول من إبتكر فكرة التعليم مقابل

¹ - المرجع نفسه، 187

² - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة، دار القلم، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، ب ت، ص 50

الأجرة فقد حققوا أمولا طائلة لكنهم خلقوا نوع من الإنحلال الخلقي وتفكك الروابط الأسرية.¹

لقد حقق اليونان تقدم تربوي وتعلمي إختلف فيه الأثينيون الذين إهتموا بالتربية العقلية وتكوين المواطن الصالح، وتهدف التربية الأثينية إلى أن يتعلم الفرد في حياته العمل بالحكمة وقد أعطى الأثينيون نموذجا للديمقراطية على المستوى النظري والعملي كما هدفت التربية إلى تكوين المواطن الأثيني الكامل جسما وعقلا وخلقاً.

يذهب الطفل إلى المدرسة في سن السابعة فيتعلم في مدرسة الموسيقى الشعر والأغاني الوطنية، كما يتعلم القراءة والكتابة والتربية الخلقية وكان يرافق الطفل إلى المدرسة شيخ كبير هو الذي يقيم أخلاق التلميذ ويراقب سلوكه وعاداته في الحديث والمشى والمجلس والمأكل ومعاملته مع الناس.

إستغلت التربية في إسبرطا الأفراد لخدمة الدولة كل الإستغلال فالفرد تابع لنظام فهو مدافعا وحاميا. وتعد البنات جسما وخلقيا لتكون زوجة تقدم للدولة محاربين أقوياء، إذن هيمنت الدولة تماما على التربية وحققت ما أردته من أهداف خلق المواطنين القادرين على حمايتها والدفاع عنها، وكانت من نتيجة هذه التربية العسكرية التسلطية أن المواطن الإسبرطي لم يتعود على الإعتماد على النفس ومواجهة المشكلات وقد تسببت هذه التربية في إنهيار الحريات العامة والرأي العام. لقد إهتم الإسبرطيون في تربيتهم بالجانب العسكري والتدريبات الجسدية.

مع ظهور عصر التجديد التربوي مع كبار الفلاسفة اليونان بداية مع "سقراط Socrate الذي إقتنع بأن العلم هو العلم بالنفس يقول: "إعرف نفسك بنفسك" فكان يفضل تعليم الشباب وإصلاحهم وقد إعتد منهج التهكم والتوليد الذي يضع الفرد

¹ - أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، ص133

في وضعية الجهل ثم يساعده لإكتشاف الحقيقة.¹ لقد صنف كأعظم مفكري أتيينا في القرن الخامس، إهتم بالتربية فهي حاجة ضرورية تلازم الإنسان في حياته فهو موضوعها الجوهرية والروحية.

فالعقل عامل مشترك عند جميع الناس وهو أذات المعرفة فالحقائق الخارجية ثابتة لأن الناس يرونها، بالعقل الذي لا يختلف إدراكه في شخص عن آخر وهذا الرأي هو الذي نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية Idéalisme فالعمل الأخلاقي عند سقراط يرتبط بالمعرفة، فالفضيلة والعلم شيء واحد ويحققان الخير أما الشر مصدره الجهل يقول سقراط: "إن الأخلاق هي أسمى وأعلى وأجل هدف للتربية."²

برزت التربية أكثر مع "أفلاطون Platon" و"أرسطو Aristote" غلبت على آراء التربية عند "أفلاطون" نظرت له لعلم النفس الذي يصف الروح البشرية وآرائه عن المجتمع والفرد وعلاقتهم، وقد قسم النفس إلى ثلاث أنواع النفس العاقلة يحكمها العقل والنفس الغاضبة وموضعها الصدر والنفس الشهوانية وموضعها البطن. فالعقل هو الذي يساعدنا في معرفة الخير والشر والتفكير هو الدافع والمؤدي لكل معرفة. نظر أفلاطون إلى التربية نظرة سيكولوجية إجتماعية حيث أعطى نظام خاص لتدريب الفرد قسمه إلى خمس مراحل تربوية:

- من الميلاد إلى السابعة عشر وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين، يربي الأطفال بعينين عن الوالدين في الحضانة العامة على يد أخصائيين يتعلمون اللعب والرياضة، أما القسم الثاني يتعلم الأطفال فيه القراءة والكتابة ويتدربون على التذوق الموسيقي.

- من السابعة عشر إلى العشرين يدرّب الفرد تدريبات عسكرية وجسمية عنيفة

¹ - المرجع نفسه، ص51

² - المرجع نفسه، ص131

- من العشرين إلى الثلاثين يدرس فيها الشباب العلوم كالحساب والهندسة والفلك
 - من الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين دراسة الخير وطبيعة العالم
 - من الخامسة والثلاثين إلى الخمسين فيها يعين الناجحون في مناصب حكومية عليا
- يؤكد أفلاطون على الأخلاق في التربية فهي تربية للجسم والعقل وهي تساعد الإنسان على كبح الشهوات وتدفعه إلى طريق الخير والحق، وتعتمد الأخلاق عند أفلاطون على إيمان الناس بإله محدد لا بقوة عليا مهيمنة، أي بالدين يشجع على عمل الخير ويبتعد عن الشر، لهذا فالثواب والعقاب يعده أفلاطون بحتمية خلود النفس حتى يطمئن المثيب أعماله ويخاف المذنب شر أفعاله لقد مزج أفلاطون التربية الرياضية بالجسم والموسيقى بالروح وهي عملية مستمرة فيها جانب عملي واقعي.

التربية أذات أساسية تظهر من خلالها قوى النفس أي ملكات الناس وقدراتهم ومنه تشمل طبقات المجتمع المختلفة، وقد حرص أفلاطون في منهجه التربوي على الإبتعاد عن الأساطير والقصص الكاذبة في تربية الأطفال، كقصص صراع الألهة وأن الشر صادر عنها بل يجب ترتيبهم على التشبه بالأعمال الخيرية للألهة والتشبه بهم.¹ وهكذا نعلمهم الصدق ويدعوا في التربية الأدبية أن يتعلم الحراس الفضائل التي تجعلهم يتقنون وظائفهم.

أما "أرسطو" يرى أن الإنسان يشعر باللذة فعل الفضيلة أي أنه مستعد للخير فالفرد بإرادته وعقله يعين الفضيلة بعد تحكيم جميع الظروف يقول: "إن بعض الإنفعالات كالحسد والغيرة وبعض الأفعال كالسرقة والقتل أثم مذمومة".²

¹- أفلاطون، الجمهورية، تقديم الجيلالي اليابس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، سنة 1990، ص 85

²- أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1986، ص 167

يتفق أرسطو مع أفلاطون في أن تربية الرجل الحر تركز على عاملين بدنيين أولهما جسم صحيح سليم وثانيهما تكوين عادات مناسبة. ويرى أن التربية عن طريق تكوين العادات الصالحة يجب أن تسبق تربية العقل وعن طريق العادات ترسخ قيم الحياة النبيلة في عقول الصغار منذ طفولتهم.

فالتربية يجب أن تخدم النظام السياسي القائم، وأن تتفق مع طبيعة المتعلمين فالتربية من مهام الدولة تنتهي في سن الحادية والعشرين ويقسمها إلى أربعة مراحل من الطفولة إلى الخامسة ثم من الخامسة إلى السابعة ثم من السابعة إلى المراهقة ثم من المراهقة إلى الحادية والعشرين. يؤمن أرسطو بأن التربية علم مبني على مبادئ عامة ذات صبغة عالمية معترف بها لهذا فهو يركز على تربية الدولة للأطفال.¹

إعتبر التربية تكون الفرد الصالح والذي يساهم في بناء الدولة، حيث يتناول الطفل منذ الولادة ويركز على الإهتمام به يقول: " أن أصلح الأغذية وأنسبها للأجسام هي الأغذية التي تكثر فيها الألبان ويندر فيها إستخدام الخمر لما يجر من أضرار."² لهذا يؤكد أرسطو على تربية الطفل في الأسرة إلى غاية سن السابعة، ويحرص على توفير الألعاب المناسبة لسنهم وإجتئاب الجلوس مع مجالس الكبار، ويدعو إلى التوسط والإعتدال في التعلم فمثلا في الرياضة يجب أن لا تكون مرهقة للجسم والعقل يقول: " حتى لا يكون تعب الجسد عائقا للعقل وتعب العقل عائقا للجسد."³

يرى أن الموسيقى غايتها تهذيب الأخلاق واللعب والترويح عن النفس وهي جزء من الثقافة ويحدد أرسطو أنواع الموسيقى التي نستعملها في التربية يقول: " أن

¹ - أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، ص167

² - أرسطو، في السياسة، نقله من اليونانية وعلق عليه أوغسطينس برباه البولسي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع

بيروت ، لبنان، ط2، سنة1980، ص426

³ - المرجع نفسه، ص429

نستخدم في التربية أكثر الأنعام ملائمة للأداب.¹ يرى أيضا أن تكون التربية حسب النمو الجسدي والنفسي مع التركيز على عوامل التعلم (الطبع، العادة، العقل) ولهذا يهتم بمسألة الزواج والتأكيد على إنجاب أبناء أصحاء ويشترط السن والصحة بين الزوجين.

لقد جسد أرسطو التربية الواقعية في إطار المواطنة أي الإهتمام بالتربية الأرستقراطية التي تستهدف المواطن الحر. ما يمكن قوله أن التربية الدينية في المجتمع اليوناني لم يكن لها مكانة حتى أنها أقصت الدين من المجتمع، وغلب عليها التربية العلمية المتنوعة وبرزت فيها أيضا التربية المثالية. وعكس اليونان نجد الرومان إهتموا بالدين وكان له أثر كبير وحاولوا تجسيد التربية الدينية وتدريب الفرد على الحياة العملية وخاصة العسكرية، وأشهر المربيين "كونتليان Cantilien" و"سيشرون Cicero" التربية كانت تهتم بالمواطن الحر.

التربية الدينية المسيحية:

أخذت التربية الدينية المسيحية أشكالها المحددة في العصور الوسطى حوالي القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر، وعرفت الكنيسة إختلافات واسعة خاصة في المسائل الدينية على يد القديس "أوغسطين Augustine" حيث إرتكزت دعائم المسيحية على الإيمان بمقدسات الجوانب الروحية عند الإنسان، كالتواضع ورد الشر بالخير ومحبة الآخرين، وقد حاولت الديانة المسيحية الجمع بين القدسية والكمال البشري حيث هيمنت على التربية المسيحية في قرونها الأولى، وإهتمت بالأخلاق فرجل الدين هو المعلم أما المحتوى فهو الكتاب المقدس، مع تعاليم المسيحية وهدفت التربية إلى نمو خلقي روحاني وعرفت المسيحية أنواع من المدارس منها:

¹-المرجع نفسه، ص343

- مدارس تعليم المبادئ المسيحية كانت تتخذ الكنائس مقرها وكانت تسعى إلى تهذيب العقل والأخلاق مع الإهتمام بالموسيقى

- مدارس الحوار الديني إعتمدت على القساوسة المسيحيين وزعماء الكنيسة في التربية الدينية

- مدارس الكاتدرائية يدرس فيها رجال الدين وزادت إتساعا بعد إعلان المسيحية دينا رسميا في روما

لقد إصطبغت التربية المسيحية بالصبغة الدينية بهدف إصلاح المجتمع وتخليصه من الوثنية وكان هذا بمساعد الأسرة، ثم الكنيسة وتهيئة الأطفال لتقبل الأفكار ومع دخول الإمبراطور "جوستيان Justin" الديانة المسيحية فساهم في نشر الثقافة والتربية ومن سمات التربية المسيحية، الإيمان بالعالم الآخر وتأكيد القيمة العليا للأمور الروحية، كما أنها تربية دينية عملت على إعداد الفرد ليكون مسيحيا مؤمنا بتعاليم الدين، كما وضعتها الكنيسة كما أنها تربية أخلاقية إهتمت بالحياة الزهد وكبح الشهوات وإبتعدت المنهج الصوفي ونادت بالمساواة في الحقوق، هكذا سيطرت التربية الدينية في العصور الوسطى.¹

يمكن القول أن المجتمع الأثيني الذي تأسست فيه التربية لم تكن ديمقراطية أي تكافؤ الفرص التعليمية للجميع فلم ينظر الأثينيون، وجيرانهم الإسبرطيون ومن قبلهم الهنود البراهمة ومن بعدهم الرومان وأروبا والعصور الوسطى، لم ينظروا إلى التربية على أنها حق لكل الناس حق كأشعة الشمس والهواء.

فكانت التربية حقا إستمتاعيا وزينة للمواطن الأثيني الذكر الحر، أما العبيد فليس لهم الحق في ذلك لهذا نقول أن الإغريق مدينون للشرق بالكثير، فإن مصر أمدتهم

¹- أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، مرجع سابق، ص76

بالأسس العلمية وأفكارها والثقافة الهندية والفارسية صدرت للإغريق المفاهيم الدينية يقول "أوتو ويلمان Otto Wilman": "لقد لعب الشرق دورا كبيرا في تنمية الثقافة الإغريقية، كما أنه من المؤكد أن أشكال العبادات والأساطير والأقوال الحكيمة والقصص والأغاني إستوردها الإغريق من الشرق".¹

التربية الدينية العربية بين الجاهلية والإسلام:

إنقسم المجتمع العربي إلى بدو وحضر وإختلفوا في عصبيتهم إلى عرب الشمال ولم يتركوا شيئا مكتوبا، أما عرب الجنوب أكثرهم تحضرا وكانت لهم حياة إجتماعية وسياسية خاصة بهم وعرب وسط الجزيرة في الحجاز، فكانت لهم حضارة ولهم عادات وأخلاق مثل الكرم والشجاعة وأخرى غير مقبولة مثل عبادة الأصنام وشرب الخمر وأود البنات.

وتعتبر الأسرة أهم وسائل التربية ويتعلم الطفل فيها كيف يكسب قوته وعيشه من الفلاحة والمهن، أما التربية عند الحضرة تنقسم إلى ابتدائية وعالية، ويدرس الطفل في الابتدائية الهجاء والحساب وقواعد اللغة، أما الطلاب في القسم العالي يتعلمون الرياضيات والطب وعلم الفلك والأدب والتاريخ. جاء الإسلام في صحراء وقبائل البدو في مكة المكرمة على فاتح الأنبياء وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأول سورة أنزلت في القرآن الكريم تحت على القراءة وبطلب العلم في سورة العلق في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: "إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ ۝٣ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٤ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٥ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٦ صدق الله العظيم".²

¹ - كروزيه، موريس وآخرون، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات

ط4، بيروت، لبنان، سنة1998، ص156

² - القرآن الكريم، سورة العلق، رواية ورش، موفم للنشر، الجزائر، سنة2010، الآية1،2،3،4، ص599

عرف في بلاد العرب قبل ظهور الإسلام إنتشار الجهل والخرفات، ويروى أن عدد القرشيين الذين كانوا يكتبون عندما جاء الإسلام لم يتجاوز عددهم سبعة عشر رجلا وهناك نوعان من الكتاتيب نوع يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، والنوع الثاني يتعلم فيه القرآن الكريم والدين، كما عرفت الدراسة في المساجد ثلاث مراحل:

المرحلة الابتدائية يحفظ القرآن فيها ودراسته ومرحلة ثانوية يدرس فيها مدرسين متخصصين و يحفظ القرآن كاملا أما المرحلة العالية النهائية تدرس فيها أمهات الكتب ويتعلمون فيها القراءة والتفسير والبلاغة والإعراب ولم يكن هناك حد للسن في مرحلة دراسية، ثم جاءت بعدها المدارس التي تعتمد على أنظمة وقوانين، وقد أعتبر عام 459 حدا فاصلا لمعاهد العلم، حيث إفتتحت المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك، وكان الإمام أبو حامد الغزالي أبرز من عمل فيها وعبد الرحمن ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع.¹

تهتم التربية الدينية بالحياة الإنسانية فهي تعتمد على عبادة إلهية خالصة وتتفع الإنسان في حياته وتعاملاته اليومية، فالإسلام ينادي بإنسانية الإنسان فلم يرفعه إلى مقام الألوهية ولم ينزله إلى مكانة الحيوان، وله عقل يتميز به عن باقي المخلوقات وله حقوق في التعلم والعيش والعبادة. إنه دين الإنسان الذي يشمل الأخلاق فردا وأسرة ومجتمعا كما أن حاجة التدين التي هي غريزة ثابتة في الإنسان تؤدي إلى سعادته في حياته.

أ- التربية الدينية عند ابن مسكوية (932، 1030م): يحدد هدف التربية في التحلي بالفضائل وتحقيقها ومعرفة خصائص النفس وتحديد قواها، كما أن خير الإنسان وسعادته في عقله وقدرته على تحقيق الفضائل وتجنب الرذائل وعليه فالتربية والأخلاق

¹ - سلطان محمود السيد، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، السعودية، دط، سنة 1403هـ-

لا تكون إلا من خلال المجتمع. ويلخص ابن مسكوية التربية¹: - في ضرورة غرس مبادئ الدين والأخلاق الفاضلة في نفس الصبي - تعويد الطفل العادات والآداب الإجتماعية الحسنة والسماح له باللعب - توفير البيئة الطبيعية والإجتماعية المناسبة للتربية.

ب- التربية الدينية عند ابن سينا (980، 1037م):

ذكر ابن سينا ثلاث مراحل تعليمية هي مرحلة الروضة ومرحلة التعليم الأول ومرحلة التعليم العالي، فمرحلة الحضانه يتم فيها التعلم عن طريق الألعاب والموسيقى والتربية الخلقية، أما المرحلة الأولى تخصص لحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة والتربية الدينية. في المرحلة العليا يكون التخصص وتختلف المناهج باختلاف نوع الدراسة منطوق ، علوم، رياضيات.

يذكر ابن سينا صفات المعلم حيث يقول: " أن يكون عاقلاً ذا دين بصير برياضة الأخلاق حاذقاً ماهراً بتخريج الصبيات وقوراً رزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف... لبيبا ذو مروة ونظافة ونزاهة... عارفاً بأداب المجالسة وأداب المؤاكلة والمحادثه والمعاشرة." ² يمكن تلخيص مبادئ التربية عند ابن سينا في:

- الإهتمام بالطفل إجتماعياً وصحياً ونفسياً

- دور الأسرة في غرس المبادئ الأخلاقية والإجتماعية

- التعليم الديني واللغوي ثم التوجيه

- أهمية التعلم الجماعي والتعاون بين الأطفال

¹- ابن مسكوية أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، ط1 سنة1966، ص15

²- محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند العلماء المسلمين، دارغريب، ط4، القاهرة، مصر، سنة2004، ص474

هكذا تركزت المعرفة في المجتمع الإسلامي على العبادات والتربية الدينية التي تؤدي إلى تطهير النفس والسمو بها عن الرذائل والشور، وتقرب الإنسان من خالقه ويهذب الصبي عن طريق تعليمه الدين ومعرفته للإلتزامات الأخلاقية، وتسوقه مستقبلا إلى القبول بالمسؤولية عن حياته.

فالتربية الدينية تعتبر عملية تحصل عن طريق تزويد الفرد بالتعاليم التربوية الصحيحة بعيد عن الإكراه، وبتالي يحقق السعادة الدنيوية التي يسعى دائما للبحث عنها وإيجادها في مواطن مختلفة، ويكفي أن نعرف أن الدافع من بعثة الأنبياء عليهم السلام يقوم أساسا على تربية الناس تربية دينية تساعدهم في حياتهم وتجعلهم على صلة بخالقهم، والطموح إلى تحقيق سعادة أبدية التي تعتبر هدف كل إنسان.

يتطلب تربية المجتمع على قيم الإسلام ومبادئه العمل بالدين الذي يقر بفكرة التوحيد والإيمان بالغيب، ومنذ جاء الإسلام تغيرت كل القيم في المجتمع وأصبح يعيش تحت لواء الإنسانية ويدعو إلى التربية والتعليم وتغيير سلوكيات الإنسان، فالإسلام دعوة عالمية والتربية ضرورة دينية فالمسلم ليس مطالب بالتعلم وإنما بالتربية التي بها يكسب ثقة الآخرين.

هذا ما جعل بالدولة الإسلامية تزدهر وتتطور وترقى وتؤثر في الدول الغربية ولعل خير دليل ما قاله "جورج سارتون George Sarton": "كان لا بد من ظهور ابن الهيثم وابن سينا والبيروني وغيرهم من أعلام العرب لكي يتسنى ظهور جاليليو وكوبرنيك".¹

¹ - جورج سارتون، تاريخ العلم، نقلا عن عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين في تطور علم الفلك، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1985، ص 152

التربية الدينية الحديثة:

بدأت الثورة الدينية في ألمانيا حيث كان الأساقفة الألمان يدفعون مبالغ كبيرة للخزانة البابوية ليحصلوا على تأييد البابا، بالمقابل نجد أن بعض القادة الألمان لا يعجبهم هذا الأمر فنجد كتاب "تمجيد السداجة" لإيرازموس Erasmus الذي يسخر فيه من البابا.

في عام 1520 كتب "مارتن لوتر Marten Luther" أستاذ بجامعة وتبرج كتاب An address to the German Nobility طلب فيه من الحاكم الألمان إصلاح الكنيسة والسماح لرجال الدين بالزواج لكنه أصدر "البابا ليو العاشر" أمر بالقبض عليه وبعدها اندلعت الثورة الدينية وأصحاب الكنيسة عليها، وتوقفوا عن الصلوات الدينية التي يعتز بها الكاثوليك وقد وقف " لوتر Luther " إلى جانب الحكام ضد المواطنين ونصح بإستعمال القوة وإستمرت الحروب الداخلية مائة عام في ألمانيا.

وقد ظهرت الحركة البروتستانتية في سويسرا بزعامة "زونجلي Zuingli" و"كلفن Calvin"، وظهرت حركة تمرد دينية إمتدت إلى فرنسا حيث بإسم "الهيجنوت Huguenots" وفي إنجلترا بالمتطهرين Puritains وفي إسكتلندا بالبرسبيترين Presbyterians ثم هاجرت الحركة الكلفنية إلى أمريكا، وقد كان لحركة الإصلاح الديني أثرها في التربية الإجتماعية على أروبا.¹

غابت على التربية الناحية الشكلية نتيجة لسيطرة الجامعات اللاهوتية من لوثرية وكلفنية، وظهرت عقائد مختلفة ومتازعة وتأثرت التربية بهذه الإنقسامات الشكلية وتتجلى مبادئ التربية البروتستانية في:

¹- أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، ص 364

- الإهتمام بالمواد الإنسانية كاللغات الكلاسيكية التي تتيح للدارس قراءة الكتاب المقدس بلغته

- تأسيس نظام من المدارس على فكرة التربية العامة التي يعتمدها البروتستانتية في فهم تعاليم الإنجيل وهذا يفرض عليه دخول المدرسة التي أصبحت وظيفتها مهمة

- تهتم التربية عند البروتستانتين إلى فهم المعتقدات الدينية وحب الكنيسة لهذا كان محور الدراسة هو الدين واللغة

- إحترام التلاميذ لسلطة الكنيسة هكذا تنموا لديهم تربية دينية¹

إتسمت التربية في فجر عصر النهضة بالتربية الإنسانية وإعتمدت على تعليم اللغتين اليونانية واللاتينية، ومن أهم هذه المدارس "الجمنازيم" التي إهتمت باللغة والقراءة وتعليم المصطلحات الدينية، ومن أهم المربيين في القرن الخامس عشر "إيراسموس الألماني" حيث يقول: "إن خير واسطة لإصلاح معاهد التعليم هي الإكتفاء بما كتبه الأقدمون وبما ورود في الأسفار الدينية". كما يرى "مارتن لوتر" إنه لا غنى عن المدارس سواء كانت تقدم هذه المدارس خيرا أم شرا جنة أم جحيماً.² لأننا بحاجة إلى أخلاق وتربية دينية في المجتمع وليس إلى مدرسة تعلم أولادنا الأداب.

التربية الدينية في القرن السابع عشر:

كانت التربية واقعية أدبية فنية في القرن الخامس عشر ومع القرن السادس عشر أصبحت تربية دينية إجتماعية سياسية، وفي القرن السابع عشر إتجهت التربية العملية إلى خدمة الإنسان أمثال "موتيني Moutiné" و"فرنسيس بيكون Francis Bacon" و

¹ - أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، مرجع سابق، ص387

² - خالد محمد أبو شعيرة، المدخل إلى علم التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، عمان ، الأردن

مع "جون لوك John Locke" أصبحت تربية واقعية حسية، لأن قيمة التربية محصورة في سير التعليم والنضج العقلي، الذي يرافقه وليس في المادة التي يدرسها الطالب وهذا عصر الإصلاح الديني.

التربية الدينية في القرن الثامن عشر:

تميزت التربية في القرن الثامن عشر بنزعتها التقدمية الإصلاحية وظهرت الروح الفلسفية التي ربطت النظريات التربوية بقوانين الفكر الإنساني، وأصبحت نزعة تربوية قومية إنسانية وظهرت حركة التنوير خاصة مع "فولتير Voltaire" الذي إنتقد الكنيسة والعقائد الدينية. في النصف الثاني من هذا القرن ظهرت النزعة الطبيعية مع "جون جاك روسو John Jacques Rousseau" الذي رأى أن الغاية من التربية هي تنمية مواهب الطفل وإستعداداته الطبيعية وعرفت بإسم "التربية السلبية" فلا يتدخل المعلم في تربية الطفل قبل سن الثانية عشر.¹

التربية الدينية في القرن التاسع عشر:

زادت أهمية التربية وشرعت في ممارسة الحياة الفعلية ولم تعد تابعة للكنيسة ونفضت غبار المدرسة القديمة، ومن بين روادها "هربرت سبنسر Herbert Spencer" مع كتابه الذي وضعه بعنوان "التربية الفكرية والخلقية الجسدية" و"شلاير ماخر Schiller mâcher" في كتابه "مذاهب في التربية"، وقد إهتم الإنجليز بالنزعة التجريبية وطابعها العلمي أما الألمان فإعتمدوا على الطبيعة الإنسانية، وإهتموا بالتربية القومية وشجعوا القول أن التربية الدينية ليست من إختصاص المدرسة بل هي من وظائف الأسرة والكنيسة.²

¹ - المرجع السابق ، ص79

² - المرجع نفسه، ص82

التربية الدينية المعاصرة:

أصبحت التربية من أهم وسائل التنمية الشاملة وإحدى وسائل التطور والتقدم وقد تغيرت وجهة نظر التربية والمدرسة التقليدية، فأصبحت تتادي بدور الطفل أساس في العملية التربوية، وبعد إنتشار وسائل الإتصال الحديثة وتقنياته المتطورة والعلوم تجاوزت التربية القديمة إلى تربية عصرية تتماشى وفق مفاهيم العلم والدين والمجتمع. يمكن القول أننا لا نستطيع العيش خارج معتقدات نؤمن بها ونمشي على خطاها وخلف كل تصرف تكمن فكرة، ولهذا فالتربية الدينية متصلة مباشرة مع الإنسان منذ صغره فالمربي تحدد سلوكه وجهة معينة عن التربية.

أسس جون ديوي منهجه التربوي من مرجعية تربوية أنجلوساكسونية، فما أبرز الأعلام التربويين في العالم الأنجلوساكسوني؟ وما علاقة ديوي التربوية بهم؟ وما أهم الآراء الجديدة في الساحة التربوية؟ كيف أسسوا تربية دينية جعلتهم يغيرون مجتمعاتهم؟

المبحث الثالث: المرجعية الفلسفية الإجتماعية الأنجلوساكسونية

توطئة:

شهد تاريخ التربية عبر العصور حقب مختلفة فقد إهتم الصينيون القدماء بالتربية الأخلاقية واليونانيون بالتربية العقلية، وإهتم الرومان بالتربية الجسمية وركزت المسيحية في العصور الوسطى على الأمور الروحية والتربية الدينية، وإهتم الفكر الإسلامي بالتربية في أمور الدين والدنيا، أما العصر الحديث فقد أصبحت التربية منهج علمي قائم على الملاحظة والتجريب والبحث والدراسة، فالمدرسة جزء من المجتمع تساهم في بناء الفرد.

مند القدم صرف الفلاسفة جهودهم للتربية والتعليم بإعتبارهما ميدان لتطبيق أفكارهم الفلسفية سواء في إصلاح أوضاع مجتمعاتهم السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية وقد إنعكست هذه الفلسفة على أفكار جون ديوي التربوية، ليلتقي مع كبار ورواد التربية من فلاسفة عصر النهضة في العالم الأنجلوساكسوني. من هنا نتساءل ما المرجعية الدينية والنفسية والإجتماعية والسياسية التي إستمد منها ديوي أفكاره لتطوير مشروعه التربوي؟

المرجعية الفلسفية والاجتماعية لجون ديوي:

خضعت التربية للكنيسة خلال العصور الوسطى وقد أثر أستاذ اللاهوت الألماني "لوثر مارتن Martin Luther" على التربية، فهدفها مساعدة الفرد على فهم التزاماته الاجتماعية لتحقيق مجتمع مسيحي سليم يعرف كل واجباته الدينية. يؤكد لوثر على دور المدرس فعمله مقدس لأنه يساهم في نشر المسيحية في المجتمع، إن النظام المدرسي يخلق لنا أنجح التلاميذ الذين يلتحقوا بالجامعات ثم يختار من بينهم الفائزين للإشراف على المناصب الهامة في الدولة.¹

يرى لوثر أن وظيفة التربية تهتم بالفرد من الناحية الدينية والعقلية ويتفق مع أفلاطون في أهمية الموسيقى للإنفعالات الإنسان، حيث يرى أن الموسيقى هبة من الله وتأتي بعد الدين وتساعد على أن يصبح الفرد صالحا.

ويوضح التربية المسيحية في قوله: "إنني أرغب في عديد من الشعراء واللغويين ولكن لا لمصلحة اللغة اللاتينية وأشعارها، ونحوها وبيانها وإنما لتكون دراستهم للأدب القديمة طريقا للوصول إلى الصدق المقدس الذي يهديهم سواء السبيل."²

في مقام آخر نجده يذكر مكانة المدرس حيث يقول: "إننا لن نجزي هذا الشخص المثابر المدرس أو المهذب الجزء الأوفى، فأبي مقدار من المال لن يوفى له دينه الذي في أعناقنا هكذا قال غير المتدين أرسطو، ومع هذا فنحن نعامل المدرسين بكل إحتقار وكأنهم فئة لا قيمة لها ولا إعتبار ثم ندعى دائما أننا مسيحيون مؤمنون."³

¹ - محمد لبيب النجيجي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، سنة1981، ص65

² - أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، سنة1986، ص380

³ - المرجع نفسه، ص384

على ضوء كلام لوثر نفهم أنه ربط التربية الدينية بالمدرس الذي يساهم في بناء الكنيسة وتحضير أجيال واعية، فهي تربية دينية عميقة كونها تبدأ في مراحل التربية الأولى للأطفال فترسخ في عقيدتهم تربية تحمل في جوهرها طابعا دينيا تفيدنا في الحياة. إهتم لوثر بدور الأسرة كمؤسسة تربوية في إثارة المعاني الخلقية والدينية وممارستها على هدى من الكتاب المقدس، وقد ساعد هذا في تحقيق بعض مبادئ البروتستانت والحرص على قراءة الكتاب المقدس وأداء الشعائر الدينية والصلوات.

وأمام هجمات البروتستانت ردت عليهم الحركة الكاثوليكية وقامت نزعات دموية سالت فيها دماء كثيرة تحت شعار مجد الرب ومملكة المسيح، وأقيمت المحاكم الرومانية لتحكم على الكاثوليك بالهرطقة والضلال الديني والشعوذة وسب الدين، وفي هذا الوضع عقد البابا مجمعا في "ترانت Trent" سنة 1543 من أجل تحديد العقيدة الكاثوليكية وأنشأت جمعيات دينية تحت إسم "الجيوزويت Jesuit" و"جماعة الخطباء Oratoriens" و"الإخوان المسيحيين Christian Brether" وقد أقامت جماعة الجيوزويت قانون وجوب إحترام السلطة القانونية تحت شعار الكل للمجد الأعلى للرب. كما أسست معاهد تربوية تهتم بالجانب الديني كعنصر فعال في التربية لجميع فئات المجتمع وإنقسم المدرسين في المدارس الجيوزويت إلى أساتذة، المساعدون المدرسون الطلبة المعلمون، أما التلاميذ يلتحقون في سن العاشرة بالمدارس وسميت أيضا بالكليات الدنيا يدرس فيها لمدة خمسة سنوات ثم الكليات العليا أي الجامعات. وقد إنتشرت مدارس الجيوزويت في أنحاء العالم الغربي، وذكر "ماكورميك Macormick" أنه وصل عدد الطلبة في منتصف القرن الثامن عشر إلى 210 ألف طالبا وقد ساهم "البابا بيوس السابع" في تطورها وإنتشارها.¹

¹-عبدالله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، سنة 1973، ص297

لقد أكد البروتستانت على أهمية الكتاب المقدس كمصدر للإيمان وأساس للعقيدة والسلطة الدينية والخلقية، وفي المقابل رفض البروتستانتون دعاوي البابا ورجال الكنيسة الكاثوليكية بأنهم المفوضون لشرح العقيدة المسيحية، لكنهما إتفقى على أن العالم من خلق الإله، وهناك عالمان عالم طبيعي وعالم روحي، يقول لوثر: "أنتم لستم بحاجة إلى رجال الدين لكي تفهموا دينكم، أو لكي تفسروا الكتاب المقدس، فالمؤمن له علاقة مباشرة مع ربه وليس بحاجة إلى وسيط، لقد إنتهى عهد الوسطاء والسماسة الذين يتاجرون بالدين والدين الحق منهم براء، إنهم يزيدون الشعب جهلاً وفقراً، فلا نعترف إلا بالإنجيل".¹

كما أن الهدف الأول في تربية الإنسان هو معرفته للقوانين والأحكام الإلهية، كما أن التعلم ضروري يساعد في معرفة الأفكار الفطرية التي توجد في الفرد.

لقد وصف لوثر أن العلوم زوجة الشيطان وأنها أعدى أعداء الإله وقف بعض الفلاسفة ضد العلوم كونها تسيء إلى الدين واللاهوت والأخلاق والميتافيزيقا يقول "جورج باركلي George Barkly": "أن المادة لا توجد منفصلة عن كينونتها المدركة، وأن عقل الله الذي يلاحظ كل شيء هو القادر على إستمرار الوجود الظاهري للأشياء المادية".²

غير بعيد عن المشهد الديني الألماني نجد الفيلسوف الإنجليزي "فرنسيس بيكون Francis Bacon" الذي يرى أن تربية الفرد تكون بطريقة علمية، وهذا ينشأ لنا نظام إجتماعي جديد كما أن المدارس، إذا نشرت المعرفة فإن هذا يؤدي إلى حل المشكلات

¹ - هشام صالح، مقال من الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد 14252، الثلاثاء 05/12/2017

<https://aawsat.com>

² - المرجع السابق ، ص 389

فالتربية نحققها بقوة المعرفة وهي التي تحسن أحوال الناس فالتربية تؤسس على المعرفة العلمية.

يقول أن المعرفة قوة أي المعرفة ينبغي أن تتمر في أعمال وأن العلم ينبغي أن يكون قابلاً للتطبيق في الحياة الإنسانية كالميدان الصناعة، وعلى الناس أن يحسنوا ظروف حياتهم فهو واجب مقدس عليهم.

فالعلم في رأيي يكون يثمر أعمالاً ويغير الحياة، بمعنى أن العلم الذي يدرس في معاهد العلم الموجودة ليس علماً، وأنه لا بد من حدوث ثورة شاملة في نظرة المجتمع إلى العلم وإلى وظيفته وطريقة تحصيله.¹

إحتل بيكون مكانة فكرية فقد أعتبر رائد التبشير لروح الحياة الحديثة، كانت حكمته الماثورة "المعرفة قوة" وإعتبر المعرفة ليست حقيقية لأنها لا تحقق القوة فهي معرفة زائفة. صنف التعليم إلى ثلاث موضوعات رئيسية الموضوعات الرومانسية التعليم الأدبي نتيجة إحياء اللغات القديمة حضي بمكانة ثقافية مرموقة في عصر النهضة.²

وموضوعات خيالية وغير واقعية وعجيبية شوهدت المعرفة، وموضوعات مثيرة للجدل والخلافات والصراع، وقد إعتبر موضوعات العلم التشبيه بالسحر التي إنتشرت في أوروبا في القرن السادس عشر بالتعليم الغريب وقد كانت سبباً في إفساد الأمور الخيرة والحسنة أسوأ أنواع الشر.

¹ - محمد عبد الرحمن بيسار، تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، منشورات المكتبة العصرية، مصر، ط3 سنة 1980، ص30

² -جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، أحمد الأنصاري ومراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، ط1 مصر، القاهرة، سنة 2010، ص59

يقول ديوي: " لم أكن أعلم حين قال وليم جيمس إن البراغماتية إسم جديد لطريقة قديمة في التفكير، إنه كان يقصد بالتحديد فرنسيس بيكون الذي يعتبر أول من بشر بالمفهوم البراغماتي للمعرفة."¹

من قول ديوي تتضح العلاقة المعرفية البراغماتية التي إستمدتها من بيكون، ويمكن القول لقد فشل تيار الأفكار التي نتجت من تعريف بيكون للمعرفة بأنها قوة في الحصول على التحرر الكامل، والإنطلاق والتعبير عن نفسه فكان الغموض الذي شمل الفلسفة الحديثة نتاج محاولة الجمع بين شيئين يستحيل الربط بينهما منطقيا وأخلاقيا.

لقد أثرت أفكار بيكون في المربي التشيكي الأصل* جون كومينوس John cuminos الذي يرى أن طرق المعرفة هي الحواس والعقل والكشف الإلهي وتحقيق التوازن بينهم يمنعنا من الوقوع في الخطأ.

يميل كومينوس إلى الإهتمام بالتربية الدينية كونه كان بروتستانتي، فتشكلت لديه عقيدة تربوية فلسفية وظهرت جلية في مؤلفه " المرشد العظيم Great Didactic" الذي كتبه عام 1632 وقد تكلم عن القوة الأساسية في العملية التربوية خاصة في الفصل الثاني يرى أن الحياة مستمرة والإنسان هو صورة الله في الأرض.

¹ - جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، ص68

* - جون كومينوس John cuminos مصلح وتربوي دوعقل موسوعي، ولد في مورافيا Moravia سنة 1592 بجمهورية التشيك الحالية، درس في جامعة هايدلبرغ بألمانيا تأثر بفلسفته عدد من كبار المربين ومنهم فروبل froebel الذي بنى عليها كثيرا من آرائه حول التربية في مرحلة الطفولة المبكرة. له عدت مؤلفات منها بوابة اللغات الميسرة gate of languages unloched سنة 1631 هو كتاب لتعليم اللغة اللاتينية. وتوفي في مدينة أمستردام بهولندا سنة1670.

لكي يقوم الإنسان بدوره العاقل في هذا العالم فعليه أن يلم بالمعرفة كلها، ولكي يكون سيد الكائنات فيجب أن توهب له القوة على نفسه وعلى الأشياء، ولكي يعد لرسالته الدينية يشير إلى التربية التي يهدف إلى المعرفة والفضيلة والتقوى. والتي يحققها الفرد في حياته ضمن مجتمع صالح يتربى تربية دينية صالحة تعود على المجتمع بالمنفعة. قسم كومنيوس مراحل التربية إلى أربعة مراحل:

- مرحلة الأم تبدأ خلال الستة سنوات الأولى يتعلم فيها الكلام

- المرحلة الابتدائية وتسمى مدرسة اللغة القومية من سن الستة إلى الإثني عشر يتعلم فيها الطفل اللغة القومية والحساب والدين

- المدرسة اللاتينية من الإثني عشر إلى الثامنة عشر يتعلم الطفل فيها أربعة لغات هي اللغة القومية، اللاتينية، الإغريقية، العبرية

- من الثامنة عشر إلى أربعة والعشرين يدخل في الدراسة الجامعية تعطى الفرصة للفرد حتى يبرهم عن إرادته ويطورها.¹

كما أن نجاح العملية التربوية يكون بخطوات ذكرها كومنيوس منها: إذا بدأت في سن مبكر قبل أن يفسد العقل، إذا كان العقل مستعداً لها، إذا كانت من العام إلى الخاص ومن السهل إلى الصعب، إذا لم يدرس التلميذ مواد كثيرة، معرفة فائدة التعلم وإستعمال الحواس لقد حاول كومنيوس خلق طريقة علمية تربوية تهدف إلى تحقيق تربية دينية.

وضع فلسفة تربوية جديدة عرفت بإسم "المعرفة الكلية universal knowledge" بناها على خبرته الطويلة في مجال التعليم. كان من أشد المعارضين لطبيعة التعليم النظرية التي سادت عصره، وقامت على حفظ المعلومات وإستدكارها.

¹ - أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، ص406

كما رفض مقولة أن الأطفال راشدون صغار التي كانت شائعة بين معظم التربويين المعاصرين له.

وصف المدارس التي عاملتهم وفقها بـ مسالخ العقول slaughterhouses of minds دعى إلى ضرورة إلحاق جميع الأطفال بالمدرسة وتلقيهم تربية واحدة، وأن يفهم المعلم طبيعة الطفل المتعلم، وكيفية تطور عقله وتعلمه.

أكد على استخدام الأطفال حواسهم في التعليم وأكد على أن الفهم لا يتحقق إلا بإدراك كل الأشياء التي يسميها، هذا يعني أن العملية التربوية تنطلق من الملاحظة التي تساعد الطفل في إدراك النماذج والصور. هكذا يكون كومنيوس قد أولى تقنيات التعليم وتطبيقاتها في التربية وأرسى مبدأ الواقعية réalisme في التربية.

إستطاع أن يهيمن على الساحة التربوية بمؤلفاته التي صخرها لإصلاح النظام التربوي بداية مع أول كتاب مدرسي بعنوان فن التعليم الرائع the Great didactic المزود بالرسوم الإيضاحية لتعليم الأطفال اللغة اللاتينية، وكتاب العالم المرئي بالصور سنة 1658 وهو أول كتاب مصور للأطفال the visible world in pictures صمم بطريقة تشد إنتباه وتثير إهتمام الأطفال وتسهل عليهم التعلم.

وكتابه أيضا " مدرسة الطفولة the school of infancy ، هذه الكتب جعلته يكتسب سمعة مرموقة في الأوساط التربوية بمختلف البلدان الأوروبية، التي دعت إلى إصلاح شامل لنظمها المدرسية كالإنجلترا والسويد، فانتشرت أفكاره التجديدية وطرائقه التعليمية.

لقد أرغمت كومنيوس الظروف السياسية الصعبة التي واكبته على النزوح مع أتباع مذهبه البروتستنتي هربا من الإضطهاد الديني إبان الحرب خلال سنة (1618.1628) التي جار فيها جيش الإمبراطورية الرومانية المقدسة على المورافيين لكنهم إستطاعوا

أن يحافظوا على هويتهم المذهبية، بفضل زعامة كومنيوس الدينية عليهم أسقفا على الكنيسة المورافية، وقد ظهرت هذه الظروف في رسالته التربوية فدعى من خلالها إلى السلم والتفاهم الدولي ثم غادر بولندا بعد إندلاع الحرب سنة 1654.¹

تعتبر النظرية التربوية التي جاء بها كومنيوس خلال القرن السادس عشر إمتدادا للتربية الأمريكية التي جاء بها جون ديوي كونه أول من دعى، إلى ترك الطفل يتعلم عن طريق حواسه وخروجه من قاعات المدرسة، وهذه نظرة أكد عليها كومنيوس في أرائه للعملية التعليمية، خاصة وأنه أمن بترك حرية الطفل في إستخدام حواسه والإعتماد على الملاحظة وهذه الفكرة نجدها لاحقا مع الفكر التربوي الأمريكي عند ديوي.

في القرن السادس عشر ظهرت الثورات البرجوازية الأولى تحت راية النزعة الدينية الإصلاحية البروتستانتية، لقد كانت هذه الفترة من أكثر عصور الفوضى التي شهدتها إنجلترا في تاريخها، وضمن هذا التيار الفكري ظهرت الفلسفة التجريبية الإنجليزية مع "جون لوك John Locke" ظهرت أفكاره في عصر الحرب الأهلية الإنجليزية بين الملك والبرلمان، وقد تميزت تجريبية لوك أنها جمعت بين عمل العقل والتجربة من جهة والإيمان والوحي من جهة أخرى، لكن كيف أسس لوك منهجه التربوي الإنجليزي؟²

نشر لوك كتابه "بعض أفكار عن التربية some thoughts concerning education حيث ذكر فيه أنه يؤمن بضرورة التربية الجسمية والخلقية، وهو من أنصار المذهب التهذيبي، فالتربية لها ثلاثة أنواع تربية جسمية ترمي إلى تقوية الجسم

¹- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط2، دت، ص609

²- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص143

ونشاطه وتربية عقلية ترمي إلى تزويد العقل بالمعرفة وتربية خلقية ترمي إلى غرس الفضيلة في النفوس هكذا فإن هدف التربية تقوية الجسم والفضيلة والمعرفة.

تهدف التربية الأولى إلى تكوين العادات الصالحة ويتعلم الطفل من الأسرة والمعلم ويتعلم التسامح منذ طفولته وهذا بالتعليم الديني، وتكون التربية الخلقية سابقة عن التربية العقلية رغم كل هذا فقد أثرت آرائه على التربية الإنجليزية والأمريكية.

أصبحت التربية واقعية حسية لأن قيمة التربية محصورة في سير التعليم والنضج العقلي الذي يرافقه وليس في المادة التي يدرسها الطالب وهذا عصر الإصلاح الديني. يرى أن العقل الإنساني عندما يحمله الطفل إلى المدرسة يكون كصفحة البيضاء وتقوم المدرسة بملء جوانبه بالتراث الإنساني والخيرات البشرية، فالمعلم هو الذي يقوم بالعملية التربوية التعليمية.¹

لقد حاول لوك الدفاع عن الثورة الإنجليزية سنة 1688 بتعديل نظرية الإتفاق الإجتماعي وتغيير الحكومة، يرى أن جميع الناس يولدون أحرارا متساوين مستقلين والطفل يكون كالصفحة البيضاء فارغا لا يحمل شيء فالمدرسة هي التي تزوده بالخبرات التعليمية، وهكذا فقد حرمت الطفل من دوافعه وميوله ومن شخصيته الإنسانية المفعمة بالحركة والحياة.²

دافع لوك عن حرية الفرد وطالب باستقلالية التعليم عن الكنيسة وحتى من الحكومة وإشترط أن يكون التعليم بالمنازل، وأشار إلى طريقة التدريس في المدارس وبين شخصية الطفل فلا يجب أن تكون طريقة جافة بل مناسبة مع نموه، بحكم أن الطفل

¹ - محمد لبيب النجعي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1981، ص349

² - محمد لبيب النجعي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981، ص230

يحب اللعب لهذا وجب أن يتحول العمل في المدارس إلى اللعب حتى يتناسب مع طبيعة الطفل.

وينادي لوك بضرورة الإهتمام بالألعاب الرياضية لأنها تقوي الجسم وتنمي في الطفل القيم الخلقية والإجتماعية وتقوي الروابط بين الفرد والجماعة، فالتربية الخلقية تهذب وتنمي الجانب الخلقي الديني حتى يكون فردا نافع في المجتمع. إن أفكار لوك التربوية تدعو لإعداد الطفل لمواجهة الحياة، لهذا وجب علينا تربيته عقليا وجسديا وخلقيا ودينيا والإبتعاد عن طريقة حشو ذهن الطفل بالحقائق والمعلومات الجافة التي تبقى في عقله.

يرى لوك أن الخبرة أساس التربية وقدراتنا العقلية سوف لن تقودنا نحو الضلال في المسائل الأخلاقية والهدف الرئيسي من التعليم هو غرس الفضيلة لدى الطفل وبتالي يبقى التعليم عملية أخلاقية. كما أكد لوك على أن الخبرة بالرغم من محدوديتها تقدم لنا النور الذي يهتدي به الناس في حياتهم وسلوكاتهم، فقد فسر أفلاطون وأرسطو لمعنى الخبرة مطابقة تماما لما تغيبه الخبرة اليونانية بالفعل.¹

هذه الأفكار نجدها في النظرية التربوية عند ديوي الذي ينادي أيضا بمبدأ الخبرة ويركز على الجانب الأخلاقي، الذي يفضي إلى تربية دينية تتكون عند الفرد هذا ما يفسر لنا علاقة الفكر التربوي المرتبط بينهما. نشأة الفلسفة الطبيعية كرد فعل على المذهب الإنساني الذي ساد في عصر النهضة، فركز على دراسة الأدب الإغريقي والروماني، وتعود الأصول الأولى للفلسفة الطبيعية الحديثة للمؤسس الفيلسوف المربي المتميز جان جوك روسو jean jacques rousseau الذي يعتبر أول من أطل على

¹ - جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، مصدر سابق، ص 94

القرن الثامن عشر بنزعته التربوية الفلسفية والتي نادى من خلالها بضرورة إتباع الطبيعة في كل شيء.¹

من أهم التربويين بونفال Bonneval الذي إهتم بالتربية البدنية وإنتقد بعنف استخدام القماط، وطلب أن نربي حواس الأطفال وقد أكد على أن عمل المربي في السنوات الأولى على أن يبعد الإنطباعات السيئة عن خيال الطفل وأن يؤخر تعليم الحقائق الدينية. فظهر أثره على روسو لاحقاً خاصة في كتاب "إميل" سنة 1762 الذي جمع فيه كل الأفكار التربوية ومراحل نمو الطفل إلى غاية سن الخامسة والعشرين الذي ينتهي بزواجه ويصبح مسؤولاً عن التربية مستقبلاً.

ولد روسو في جنيف سنة 1712 من أب فرنسي وأم سويسرية كانت أديبة وفنانة متدوقة للجمال والموسيقى ومفتونة بالطبيعة والأدب الرومانسي، وقد توفيت بسبب ولادته فتركت هذه الحادثة جرحاً نفسياً عميقاً على حياة روسو وقد عبر عن هذا بألم شديد في قوله: "لقد كلفت أمي حياتها وكانت ولادتي هي أول سوء حظي في هذه الحياة".²

ورث عن أمه حب الجمال والروح الفنية وقوة العاطفة وقد قرأ لها كل الروايات التي تركتها، دخل في العاشرة إلى المدرسة لكن بسبب سرقة بعض حاجيات زميلة له عاقبه المعلم فترك المدرسة دون رجعة لها. أحب فن النقش على الخشب لكنه لم يدوم فيه طويلاً وعندما بلغ السن الثامن عشر تربي عند امرأة تسمى "دي وارنر die Warner" وعاش عشرة سنوات معها تعلم في هذه الفترة الفلسفة والموسيقى واللغة

¹ - صالح عبد العزيز، تطور النظرية التربوية، دار العلم، القاهرة، مصر، ط2، سنة 1964، ص 287

² - عمر محمد التومي الشباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1985

اللاتينية، ثم تزوج مع "تيريزاTheresa" في باريس أنجبت له خمسة أطفال، من أهم مؤلفاته "إميل" يعتبر هذا الكتاب إنجيل المربين توفي سنة1778.

وقد قرأ كتاب الجمهورية لأفلاطون الذي قال عنه " إنه أحسن كتاب في التربية" كما تأثر برسائل لوك في التربية، ونجد الفيلسوف الألماني " كانطKant " يقول عنه: "إني أعتبر روسو نيوتن النظام الأخلاقي، إذ إنه إكتشف العنصر الأخلاقي أهم عامل يكون وحدة الطبيعة الإنسانية، مثلما إكتشف نيوتن المبدأ الذي ربط بين جميع قوانين الطبيعة الفيزيقية"¹. لقد كتب هذا المؤلف نظرلتقدم سيدة إليه وطلبت منه أن يرشدها إلى الطريقة المثلى لتربية أبنائها، وقد إستجاب لها وكتب فيه الكيفية التي يربي فيها الطفل مند ولادته وحتى بلوغه العشرين وإحتوت الأجزاء الأربعة هذا الموضوع، أما الجزء الخامس تكلم فيه عن تربية"صوفيا" لتكون زوجة لإميل.²

يعتقد روسو أن الطفل يتجه بفعله هذا بدافع داخلي هدفه إثبات أن نفسه خيرة وترى الطبيعة أن التربية إعداد للحاضر وليس للمستقبل. تقوم النظرة الطبيعية للإنسان على مبدئين أولاً إن النفس الإنسانية خيرة وثانياً إن الحاضر أصل تطور المستقبل.

ورتبت الطبيعة على هذين المبدئين نتائج منها أن طبيعة الطفل خيرة ومن الضروري تركه يفعل ما يريد في حرية كاملة، وتقدم الإنسان المعرفة المناسبة له سواء كان طفلاً مراهقاً وراشداً. يرى روسو أن التربية الطبيعية هي التربية التي تسيرها القوانين الطبيعية وقد أبدى ثورة ضد المجتمع حيث يرى أن التربية التي تأتي عن طريق الناس تحاول إفساد الطفل.

¹ - محمد الفرحان جلوب، الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1،

سنة1999 ص118

² - المرجع نفسه، ص119

لقد أفصح روسو عن عقيدته الدينية في كتابه "إميل" في الجزء الرابع أنه يؤمن بمبدأ الدين الطبيعي Natural Religion كما أن المبادئ الأخلاقية تقوم على العاطفة فهي التي تحقق السعادة. وابتعد الأخلاق التي تبنى على العقل لأنها أخلاق صناعية نابغة من الحياة الإجتماعية، لكن ما التربية حسب روسو؟

يقترح روسو في كتابه "إميل" مفهوم التربية فيرى أنها لا تعدو أن تكون عادة كما أنها هي الحياة وهي ضرورية مادامت تستمر طول العمر وقد حدد مراحل التربية في كتابه:

- من الميلاد إلى خمسة سنوات هي عملية إعداد أولي للطفل الوالدين هما أساس التربية

- المرحلة الثانية من خمسة إلى إثنتي عشرة سنة تدريب الحواس وإحتكاكها بقوى الطبيعة وظواهرها (تربية حسية خالية من الجانب الروحي)

- المرحلة الثالثة من إثنتي عشرة إلى خمسة عشر حب الإستطلاع

- المرحلة الرابعة من خمسة عشر إلى عشرون سنة إعداد إميل للحياة مع الآخرين

هكذا فإن مشروع روسو التربوي في كتاب إميل ينتقل نموه من الجسمي إلى الحسي ثم التجريبي ثم العيش مع الآخرين يقول روسو: "أنا لا يعنيني أن يكون مصير تلميذي الإنضمام إلى الجيش أو الكنيسة أو الإنشغال بالقانون فالطبيعة تتدبه قبل كل شيء للحياة الإنسانية."¹

¹-جون جاك روسو، إميل أو التربية، ترجمة عادل زعيتير، القاهرة، مصر، دط، سنة1958، ص28

أي أن الطفل تبقى فيه صفة الإنسانية مهما عمل في أي قطاع كان وترسخ في طبعه، لا يهتم روسو بالجانب الدراسي حيث يقول: "بدلاً من جعل الطفل يرتبط بكتبه فإنني إذا ما وظفته في ورشة فإن يديه سوف تعملان لفائدة عقله، ويصبح فيلسوف وإن كان هو نفسه يتخيل عاملاً".¹ يعني روسو في قوله أن تجربة الطفل هي مصدر المعرفة.

يرى أن الطفل عندما يبلغ سن السادسة عشر يمكنه الولوج في التفكير الديني، فقبله يكون الطفل يتمتع بخيال مرهف يميل بطبعه إلى العبادة وهو يتصور الإله بفكرة مليئة بالأوهام. لذا وجب علينا الإنتظار لصالح الدين نفسه حتى ينضج عقل الطفل ويملك فكراً قويا على أن يدرك فكرة الإله إدراكاً حقيقياً خالصاً من كل قناع حسي وغشاوة مادية.

لقد أثر "روسو" في "ديوي" من خلال الفيلسوف الألماني "كانط Kant" حيث كانت أطروحة الدكتوراه التي وضعها ديوي بعنوان "علم النفس الكانطي" ومن المعلوم أن واحداً من مصادر كتاب كانط في التربية، هذا الكتاب نص فريد للفيلسوف الألماني في إستحواد لصفحات بالنص منتزعة من كتاب روسو "إميل" وهذا كان له الأثر الكبير على ديوي.

ما العلاقة التربوية بين روسو وكانط؟ وكيف أثرت أفكار كتاب إميل على كانط؟

¹ - المرجع نفسه، ص30

المرجعية التربوية الإنجليزية والألمانية:

تصور "كانط" التربية أنها عملية نقل للمعارف من الأجيال السابقة إلى الجيل الجديد بحيث تجعله مؤهلاً لأن يكون مربياً للجيل اللاحق. ذكر في مقدمة كتابه "في التربية" يرى أن التربية هي عملية تصنيع للإنسان وذلك لأنه لا يمكن أن يصير إنساناً إلا بالتربية فالغاية من التربية هي تربية الشخصية وتربية كائن يفعل بحرية ويحافظ على كيان نفسه¹. بمعنى الإنسان هو الذي يحقق مصيره بنفسه من خلال معرفة الإستعدادات الطبيعية ويتم ذلك من خلال أجيال، فالجيل الأول يترك تجاربه ومعارفه للجيل الثاني.

فالتربية لا تتم بالترويض لكن يجب على الأطفال أن يتعلموا كيف يفكرون والتربية الصحيحة تحتاج إلى مجهودات كثيرة، فالتربية عملية تنويرية وهي قسمين تربية خاصة وتكون في البيت عن طريق الأسرة وتربية عامة وتكون في المدرسة فالأول هدفها تكوين الأخلاق أما الثانية هدفها التعليم والتحصيل.

بيدوا أن كانط إستمد فكرته من قول أفلاطون: "التربية عملية تدريب أخلاقي والمجهود الإختياري، الذي يبدله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الصغير"، إنه يؤكد أن التربية علم الخير والشر. كلف كانط بتدريس التربية في جامعة كينجزبريدج Kings bridge لمدة أربعة فصول هذا الأمر جعله يؤلف كتاب "في التربية veber padagogik" سنة 1776 .

¹ عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كانط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان

كما درس متنا لكتاب^{1*} بازدوف "Basedous" بعنوان "المنهج methodenbuch" الذي وضع فيه الطريقة "العيانية intuitive" التي تعتمد على الصور والرسوم البيانية لتعليم الأطفال. إن أهم المبادئ الأساسية في منهاج التعليم عند بازدوف تقوم على:

- الإهتمام بالصحة وجذب الأولاد بالصور والتمارين العملية
- تجريد التربية الدينية من كل صبغة مذهبية بالإستناد إلى العقل الطبيعي والتفكير العقلي

- التقليل من الإعتماد على الإستظهار وإستخدام الذاكرة

لقد كان لبازدوف أثر كبير في قيام حركة تربوية قوية في ألمانيا وبعض بلاد أوروبا في القرن الثامن عشر وأنشأت عدة معاهد تربوية يقول بازدوف: "أن تحقيق الأخلاق في الأولاد لا يتم إلا عن طريق الدين، وأن أي مذهب أخلاقي آخر هو إما ناقص تماما أو يقوم على الرمال."²

بهذا كانت التربية عند بازدوف إعداد لحياة مشتركة وطنية سعيدة، أما عند كانط فالتربية هي تكوين الأخلاق، وقد أشار إلى معاملة بعض المعلمين مع التلاميذ من القسوة الشديدة في العقاب، بمدينة فرنكفورت على نهر الماين كان يستخدم مقعد العقاب Zuchtbank فكان الولد يطرح عليه وينهال عليه بالضرب، وكان عدد كبير من المعلمين في المدارس الثانوية من رجال الدين، وكل من حصل على درجات رفيعة في

*- بازدوف يوهان برنارد Basedous johan bernard تربوي ألماني ولد في همبورج سنة 1723 درس على يد ريمر REIMAR الفيلولوجي الكبير سنة 1744 درس اللاهوت البروتستانتى ثم نشر بعض الكتابات اللاهوتية سنة 1768 قام بإصلاح التربية والتعليم سنة 1770 ونشر أهم مؤلف له "المتن الأول في التربية" سنة 1774 توفي في مجدبورج سنة 1790.

²- عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كانط، ص 111

اللاهوت يعتبر معلما يقول "ويلهلم دلتاي Wilhelm daltay": "لم يكن العلم والتربية غير أمور ثانوية قليلة الأهمية ملحقة باللاهوت ومضايقة له، وكل من أتم دراساته اللاهوتية في الجامعة وألقى بعض المواعيد التافهة كان يعد بهذا مؤهلا لوظيفة التعليم".¹ كان معظم المعلمين خاضعين للمؤسسات الدينية *consistoires*.

يذهب بعض المفكرين إلى أن كتاب "إميل" لروسو له أثر كبير على كانط في كتابه "في التربية"، يبدأ روسو كتابه إميل بجملة شهيرة "كل شيء حسن وهو خارج من أيدي خالق الأشياء، وكل شيء يضمحل بين أيدي الإنسان".² إن التربية عند روسو تقوم على أربعة مبادئ الإنسان حر في حركاته وأفعاله وأعباه يجب علينا إبعاد الطفل عن الأسرة فهي تعطيه الحنان وعن المجتمع فهو يقوم على الظلم وعن الكتب لأنها تضر بالنفوس لأنها تفرض المعلومات وعن الدين قبل سن السادسة عشر.

هكذا ينادي روسو في هذا المبدأ أن نترك الطفل للطبيعة تتولى تربيته والمبدأ الثاني نعامل الطفل على أنه طفل يقول روسو: "دع الطفولة تتضج في الطفل".³

والمبدأ الثالث جعل الأولوية للضمير على العلم أي تنمية المشاعر الخيرة قبل تنمية الملكات العقلية، والمبدأ الرابع هو تدريب الطفل على التفكير العقلي أفضل من حشو المخ بالمعلومات. إذن تتبع التربية عند روسو من مساندة الطبيعة ولهذا يدعو إلى ترك الطفل على فطرته الخيرية على حريتها، أما كانط يرى أن الإنسان شرير بالطبع ويولد لدي إستعداد لكل أنواع الرذائل وفيه بكرة خير قابلة للتنمية، فالتربية تتولى محاربة الإستعدادات والميول الطبيعية في الطفل لأنها شريرة الأصل.

¹ - المرجع نفسه، ص114

² - المرجع نفسه، ص116

³ - المرجع نفسه، ص118

يتميز كانط بين المعلم *precepteur* وبين المربي *pedagogue* فالأول هو مجرد مدرس أما الثاني فهو مرشد يربي من أجل المدرسة والثاني يربي للحياة، ويرى أنه من الأنجع إنشاء المدارس التجريبية أولاً وبعد ذلك مدارس المعلمين، وهذا من الضروري القيام بالتجارب العديدة في حقل التربية.

هذا الرأي سيأخذه "هربرت Herbart" في القرن التاسع عشر، ويحدد كانط أهداف التربية في أربعة عناصر التهذيب، التقنيف، الفطنة، الأخلاق وهكذا إذا حققت التربية أغراضها يصبح الإنسان مهذباً ومتقفاً وماهراً وعلى خلق حسن.

يسأل كانط عن مدة التربية ويجب تكون حتى الوقت الذي شاءت فيه الطبيعية أن يقود نفسه بنفسه أي يتولى تربية غيره، وتبدأ الدراسة في سن السادسة وتنتهي في السادسة عشر يقضي المتعلم ثمانية سنوات في المدرسة الشعبية *volksschule* وإثنان في المدرسة التكميلية العامة *Allgemeine fortbildung sschule*.¹

تكلم كانط عن أنواع التربية فهناك تربية فيزيائية أي تربية للجسم وتربية عقلية أي تربية طبيعية وما دامت كذلك فإنها فيزيائية لكن ينقص الإنسان الأخلاق، ويؤكد على تعلم الطفل العمل ولا يجب أن نجيب عن أسئلة الطفل التي يطرحها لأنها مضرّة له لماذا هذا؟ وما الفائدة في هذا؟

هذا السؤال نجده عند روسو في الكتاب الثاني "إميل" حيث يقول: "ما فائدة هذا؟ تلك من الآن فصاعداً عبارته المقدسة."² فهو يقر بوجود إجراء حوار عقلي مع الأطفال قدر المستطاع ويؤيد كانط روسو في فكرة أن العقل والتعقل آخر ملكات النفس نضجا في الإنسان فلا ينبغي اللجوء إليهما مع الطفل لأن غايته الكمال الأخلاقي.

¹ - المرجع نفسه، ص 126

² - عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كانط، ص 136

يرى كانط أن التربية الأخلاقية يجب أن تقوم على قواعد أخلاقية maximen لا على الإنضباط disziplin الذي يمنع النقائص ويجب تزويد الطفل بمعاني ما هو خير وما هو شر لكن كيف ذلك؟ هل بالثواب والعقاب؟

يرفض كانط أن نجازي على الأفعال الحسنة ونعاقب على الأفعال السيئة وبهذا يتأثر بروسو كثيرا الذي يقول: " لا عقاب بعد إن الطبيعة يجب أن تكون للأطفال المعلمة الوحيدة وليس لهم أن يتلقوا دروسا إلا من مجرد التجربة."¹

يفضل كانط أن يكون العقاب أخلاقيا مثال إذا كذب الطفل لا نعاقبه بل نعامله باحتقار ونقول له لن نصدقك مستقبلا هذا العقاب أنسب.

يتساءل كانط في نهاية كتابه " في التربية" هل يمكن تعليم الطفل في وقت مبكر المعاني الدينية؟

طرح روسو هذا التساؤل في رسالته إلى "كرستوف دي بومون Christophe de Beaumont" رئيس أساقفة باريس يقول فيها: " أنت تأخذ علي أنني قلت وبينت أن كل طفل يؤمن بالله هو وثني أو مجسم، وترد أنت على هذا بقولك: " إنه لا يمكن إفتراض هذا ولا ذاك في طفل تلقى تربية مسيحية."²

يأخذ كانط ما ذهب إليه روسو ويقول: " إن المعاني الدينية تفترض دائما نوعا من اللاهوت فهل يمكن تعليم الشباب الذي لا يعرف العالم ولا يعرف نفسه ولا يعرف الواجب أن يفهم واجب مباشر نحو الإله."³

¹- المرجع نفسه، ص144

²-Lettre de J. J. Rousseau a Christophe de Beaumont. Oeuvres complètes,T, Vu, Ed, Dep,R, Auguis,p169.

³- المرجع السابق، ص106

يرى كانط أن خير وسيلة لتوضيح الإله عند الطفل أن نقارنه بالأب الذي يرعانا بهذا يفهم وحدة الناس جميعاً كأنهم أسرة واحدة. يتساءل كانط ما الدين؟

ثم يجيب قائلاً: "الدين هو القانون الموجود فينا بالقدر الذي به يستمد سلطانه علينا من مشرع وحاكم (قاض) إنه أخلاق مطبقة على معرفة الإله وإذا لم يرتبط الدين بالأخلاقية فإنه ليس إلا بحثاً عن النعم."¹ يصنف كانط الأخلاق هي الأولى وبعدها اللاهوت حتى يمكن أن نسميه الدين والأطفال لا يمكنهم فهم كل المعاني الدينية، فمفهوم الإله ومفهوم الواجب يكونان معا ولهذا ينبغي أن نعلمهم بعض المفاهيم الخاصة بالموجود الأعلى حتى إذا لا حظوا الكبار يلون ويدعون يستطيعون معرفة السبب.

يتفرع المذهب الأخلاقي عند كانط حول فكرة الإنسانية وعلى الأباء أن ينشؤوا أبنائهم على حب الإنسانية عامة مهما كان على حساب الأسرة أو الوطن.

مع نهاية القرن الثامن عشر ظهر أشهر المربين الحديثين المفكر السويسري الذي إرتبطت شخصيته بعمله التربوي* "بستالوتزي يوهان هنريش Pestalozzi Johann Heinrich" بعدما درس اللاهوت والقانون، أصبح مزارعاً يفكر في إنشاء مشروع زراعي في نويهوف Neuhof وقد فتح في مزرعته ملجأ للأطفال الفقراء سنة 1775 وأقام ملجأ الأيتام في ستانترز stanz سنة 1798. والمدارس الابتدائية في بورغدورف burgdorf سنة 1799 ومعهد إيفردون Verdun سنة 1805 هذه الأعمال

¹- المرجع نفسه، ص108

*- "بستالوتزي يوهان هنريش Pestalozzi Johann Heinrich" ولد في زيورخ بسويسرا سنة 1746 من أسرة إيطالية رحلت في القرن السادس عشر، ربته والدته بعد وفاة أبيه كان طالباً في الأكاديمية ودرس اللاهوت والقانون ثم أصبح مزارعاً، تزوج "أنا شولتس Anna schultess" في سن الثالثة والعشرين، سنة 1769 وخلال حرب فرنسا على سويسرا سنة 1798 وجد بعض الأيتام بدون ملجأ في كانتون، فأخذهم وحول دياراً مهجورة إلى مدرسة لهم. ألف كتابه الأول بالإنجليزية The Evening Hours of a Hermit الذي هو عبارة عن أمثال وتأملات، توفي في بورغ سنة 1827.

جعلته يدخل عالم التربية من بابه الواسع، كما حاول تطبيق مبادئ روسو على تربية ابنه مثل "إميل" وقد استطاع أن يصبح الأب المربي يقول بستالوتزي: "إن البيت هو أساس تربية الإنسانية."¹

نشر في عام 1781 كتابه الشهير "ليوناردو جيرترود" يقول عنه مؤلفه: "إنه كلمتي الأولى التي أطلقتها إلى قلوب الفقراء والمهجورين في بلدي." وكان الهدف من هذا الكتاب هو وضع تربية الشعب في أيدي الأمهات، وقد كان له علاقة مع الفيلسوف فيخته Fichte الذي بين له أوجه الوفاق بين آرائه ومذهب كانط Kant الفلسفي.

شغل بستالوتزي معلما في ملجأ الأيتام الذي كان يضم ثمانين تلميذا حيث كان يستمع إلى ما حفظه تلاميذه من الدروس من الساعة السادسة إلى الثامنة صباحا ومن الساعة إلى الثامنة مساء، أما باقي الوقت خصصه للعمل اليدوي أي وظيف التجربة في الميدان التربوي وهذا ما فعله ديوي لاحقا.

لقد كان حلم بستالوتزي في ستانتر أن ينقل إلى المدرسة ظروف الحياة البيئية وعلى رأسها الرغبة في أن يغدو أبا لمائة طفل يقول: "لقد كان من الضروري أن يرى طلابي على حاجبي وشفتي، منذ الفجر حتى الليل وفي كل لحظة من النهار أن عواظي كلها تنصب عليهم وأن سعادي سعادتهم وملذاتي ملذاتهم."²

نجد روجيه دوجان Roget de Guimps يقول: "لقد نشأت المدرسة الابتدائية في القرن التاسع عشر من مغامرة بستالوتزي في ستانتر." بمعنى كان له الفضل الكبير في ظهور المدارس الابتدائية في ألمانيا.

¹ - عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط1، ط5، سنة1973، سنة1984، ص406.

² - المرجع السابق، ص409

لقد إعترف بستالوتزي بما قدمه روسو في المجال التربوي يقول: "إن الروح الخيالية وغير العملية التي عندي أخذت بذلك الكتاب الخيالي وغير العملي، وأن الحرية التي نادى بها روسو أثارت في تشوقا لا يحد إلى أفاق من النشاط أرحب وأطلق".¹

هنا يقر بستالوتزي بكتاب روسو الشهير "إميل" ودوره في العملية التربوية، يمكن القول أنه كسب حب جميع أصدقاء التربية فقد إستطاع بعت إصلاح شامل على التربية الشعبية في ألمانيا ونجد الفيلسوف "فيخته Fichte يمدحه بقوله: "أني أتوقع بعت الأمة الألمانية من معهد بستالوتزي".²

يلح بستالوتزي على أهمية الأم في تربية أبنائها لأن علاقة الأطفال بها أساس التربية الأخلاقية والدينية، التي هي الأهم كما دعى إلى ديمقراطية التعليم ليشمل الفقراء وأوصى بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وتأسيسه لرياض الأطفال ووضع مناهجها، ونادى بمبادئ تربوية ما يزال معظمها يعد من خصائص المدرسة الحديثة ولذلك يعتبر من رواد هذه الحركة، كما نجد في أفكاره التربوية بنيت على محورين رئيسيين هما:

- تأكيده على الجانب النفسي حتى أنه يعتبر عند الكثيرين مؤسس النزعة النفسية في التربية

- تأكيده على الجانب العملي ذلك لأنه ربط نجاح التربية بتطبيقاتها العملية

تزامن هذا العصر مفكر تربوي سار على المنهج التربوي الذي وضعه بستالوتزي المربي الألماني "فريدريك هربارت Friedrich Herbart" الذي أدخل نظرية التداعي على التربية، درس فلسفة كانط في السادسة عشر من عمره وأثر فيه أيضا الفيلسوف

¹- المرجع نفسه، ص428

²- المرجع نفسه، ص430

فيخته Fichte عمل مربيا لدي أسرة سويسرية لاسيما الفكرة القائلة "إن النفس تخلق عالمها الخالص".¹ يرى أن الأطفال لا يصنعون عالمهم.

زار بستالوتزي سنة 1799 في معهد "برجدورف" حيث بقي أثر هذه الزيارة في فكره عمل أستاذ للفلسفة في جامعة كونجسبرغ Königsberg وشغل مكانة كانط قبل وفاته وقد كتب سنة 1816 كتابه "علم النفس". وقد تزامن عصره مع الفيلسوف الألماني "هيجل" Hegel الذي كان مسيطر على الساحة الفكرية، ألف كتاب "أخر" المختصر في مبادئ التربية".

تأثر هربارت Herbart بأفلاطون Platon وأرسطو Aristote في مذهب التداعي خاصة أنهما أقر أن ملكة العقل أعلى ملكة، وأن عليهما أن تراقب العمليات الدنيا كما نجد أفكار أخرى أثرت في هربارت بحيث أثر "جون لوك John Locke" و"لايبنتز Leibniz" الذي هاجم فكرة لوك والذي يرى أن جميع الأفكار تأتي من التجربة الحسية ولا وجود للأفكار الفطرية التي نادى بها ديكارت Descartes، لكن لايبنتز أقر أن العقل ليس منفعلا وأن نشاطه لا يتوقف حتى أثناء النوم.

لقد استخدم كلمة الإدراك السابق apperception ليبدل على الفهم الفعال لما نتلقاه وقد نهج هربارت نهجه وأشار إلى دمج الإحساس والأفكار الجديدة والسابقة. إن الأفكار في نظره قوى حركية نشيطة وفعالة، فالأفكار المتصلة باللون والشكل واللمس والطعم تتحد لتكون فكرة البرتقالة وسمى هربارت هذه العملية التشابك. يرى هربارت أن هدف التربية الفضيلة أي الأخلاق يقول: "إن كلمة فضيلة تعبر عن هدف التربية كله، فالفضيلة هي فكرة الحرية الداخلية كحال ثابتة من حالات النفس".² أي الفضيلة لها علاقة بالنفس والتربية لها ثلاث مراحل مرحلة القيادة ومرحلة التعليم ومرحلة

¹- المرجع نفسه، ص 450

²- المرجع نفسه، ص 460

التدريب، وقد تعلم هربارت من بستالوتزي أهمية المشاهدة بالصور والنماذج والتجربة المباشرة وعلى الأطفال أن يجربوا ويقرءوا ويستخدموا شتى الوسائل لبناء الأفكار عن طريق عملية الإدراك السابق. لقد أشار هربارت إلى فكرة الخطوات الشكلية التي قال بها "سيشرون" في كتابه "الخطابة" التي قسمها إلى خمسة خطوات حتى كوبرنيكوس copernicus وضع لمنهجه في الكشف العلمي خطوات مماثلة لسيشرون.

نجد أن ديوي Dewey في كتابه "كيف نفكر" how we think يبين خطوات عملية التفكير وهنا نجد مقارنة بينهما، فقد وضع هربارت خطواته وهي الوضوح الربط النظام الطريقة وديوي وضع خطوات مغايرة هي مواجهة مشكلة، جمع المعلومات وضع فرضية، تكوين نظرية، تحقيق نظرية.¹

يبرهن ديوي عن كيفية سير عملية التحقق في مثال ذكره في كتابه "كيف نفكر" يقول: "لنتصور أن شخصا ما ينتزه في غابة وفي سيره اعترضته حفرة سدة عليه الطريق (صعوبة) ينتظر إذا كان بإمكانه اجتيازها بقفزة (فكرة)، فيتفحصها بمعينة المكان (ملاحظة)، فيجدها واسعة جدا وزلقة (أحداث/معطيات). يرى أن بإمكانه عبورها من موضع آخر بتفحصها يمينا ويسارا (ملاحظة) لم يجد مكانا أضيّق، فيتترك هذا الإقتراح ويبحث عن حل آخر، تقع عينه على قطعة من الخشب (حدث/واقعة)، فيتبادر إلى ذهنه حملها ووضعها عرضا على الحفرة ليستخدمها كجسر (فكرة)، فإن انتقل إلى تنفيذ الإقتراح وحل الإشكال فقد بلغ غايته، وإلا بحث من جديد عن فكرة أخرى ملائمة لتجاوز الموقف المائل أمامه."²

¹ - المرجع نفسه، ص 473

² - John Dewey, **How we Think**, D-C-Heath and Company, Revised Edition, (New Yourk), 1933, p105.

هنا نلمس أن ديوي أقرب بكثير من خطوات كوبرنكوس، أما مخطط هربارت أقرب من خطوات سيشرون. لقد نادى هربارت بإنشاء جمهورية مدرسية وإدراك أن من واجب المدرسة أن تشجع الطلاب على التعبير الحر عن أفكارهم مهما تكن خاطئة ولم يتكلم هربارت عن التربية البدنية في مذهبه التربوي تماما كمذهب ديوي لاحقا.

وقد كان لمذهب هربارت إنبعاتا جديد في ألمانيا عام 1865 كما أخذ أثره الكبير يظهر في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعود الفضل إلى بعض المعلمين الأمريكيين الذين درسوا في جامعة بينا بألمانيا في القرن التاسع عشر.

فمن أهم المربين الذين صاروا على هذا المنهج التربوي في أوروبا خلال القرن الثامن عشر؟

يبرز المربي الألماني "فروبل frobel" متابعاً لخطوات بستالوتزي لكنه إرتبط إسمه برياض الأطفال، كان أبوه قس بروتستانتى فكان مند صغره متشعباً بالمشاعر الدينية المستسرة، وقد كان صوفياً يرى الإله في كل الأشياء.

كتب في 1826 مؤلفه الشهير "تربية الإنسان" لقد حاول تأسيس مشروع جديد إسمه "Helbal" الذي تخيله على شكل معهد يضم مدرسة الفنون والصناعة، ومدرسة أولية ومدرسة للأمهات وأخرى للأطفال الأيتام بين الثالثة والسادسة من العمر يقول: "لن أدعو هذه المدرسة مدرسة الأطفال، لأنني لا أقصد أن يوضع الأطفال الصغار في المدرسة بل أقصد أن يتاح لهم النمو الحر عن طريق المعاملة اللطيفة".¹ الهدف من هذا المعهد هو تربية الفكر وتكوين الروح العملية لإعداد فرد فعال في المجتمع ويحس براحة ضمن الجماعة في وسط إنساني.

¹- المرجع نفسه، ص441

يرى فروبل أن المدرسة هي روضة الأطفال kindergarten ينمو فيها الأطفال نموا طبيعيا كما تنمو الشجرة بين يدي بستاني خبير، وقد ركز أفكاره التربوية كمايلي:

- التربية هي عملية طبيعية

- الفرد جزء عضوي من الجماعة

- الطفل ينمو وفق قوانين طبيعية عفوية

- الكون كيان عضوي تنضوي عنه سائر الكائنات الجزئية

يمكن القول أن النشاط الذاتي من خلال المشاركة الإجتماعية هو أساس المبادئ النفسية، لأن مفهوم الفرد عند فروبل مفهوم تكويني فالطفل ينمو ويبلغ النضج ويمر بمراحل الطفولة، الصبا، الشباب، النضج. لقد حاول الفلاسفة الألمان مثل كانط أن يربطوا نظرياتهم في التربية بالطبيعة الإنسانية فقد نادى فيخته Fichte إلى ضرورة قيام تربية قومية تساعد على بعث الأمة الألمانية.

كما كتب "شلايرماخر Schleiermacher" كتاب إسمه "مذهب في التربية" حيث يقر فيه أن التربية ليست من إختصاص المدرسة وإنما هي من وظيفة الأسرة والكنيسة.

لقد حاول الفلاسفة الإنجليز أن يساهموا في بناء التربية من الجانب التجريبي ومن أهمهم هربرت سبنسر Herbert spencer الذي ألف كتابه الشهير "في التربية الفكرية والخلقية والجسمية". يؤكد على أن العلم مهم للتربية التي توجه بفكرة التطور وقد أقر أن خير طريقة في التربية هي التي تقترب من الطبيعة و بهذا فهو يعود إلى نظريات "روسو" و"بستالوتزي" التربوية.¹

¹ - المرجع نفسه، ص480

يرى سبنسر أن النظام الخلفي الحقيقي هو الذي يجعل الطفل في حال من الإرتباط بالطبيعة فهو يتعلم من أخطائه، فإذا قام الطفل بالفوضى في غرفته يجب عليه أن يصلح ما أفسد. لكن سبنسر يضيق بهذا المعنى التربية الخلقية ويقصرها على مجرد الحصر على المنفعة الذاتية.

لقد وصف سبنسر التربية الحديثة في عصره أنها تربية عقلية خالصة تهمل الجسد ورعايته لهذا فهو يؤكد على المحافظة للصحة لأنها أحد واجباتنا، ويمكن القول أنه هناك أخلاق جسدية. فإذا كان هذا حال التربية في عصره، فكيف تكون التربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين؟

تدعو الثورة التربوية الحديثة إلى تجاوز المدرسة وإغائها وتقديم تربية جديدة لا تتوقف عند مرحلة معينة بل تستمر، و بهذا سميت بالتربية الدائمة أو المستمرة *éducation éducation continuos, permanente* وهي تشمل المجتمع وليس الفرد وهكذا تسمى المجتمع المتعلم *educated society*.

تؤكد التربية الحديثة على أولوية التربية على التعليم بينما التربية التقليدية كانت تهتم بالتعليم أكثر من التربية. وتهتم التربية الحديثة بالفرد وتدرجه على الملاحظة والبحث والتفكير وتساعد الطفل على أن يصبح إنسان ذو شخصية مستقبلا وأن يكون "من هو" على حد تعبير الفيلسوف الألماني "نيتشه" ¹.

ترى التربية الحديثة أن التربية الخلقية لا تهدف إلى تكوين الفكر والذكاء بل تقوم على دعامتين أساسيتين الثقة والحب يقول "أوبير" *Aubir*: "عندما يحتفظ الكائن النامي

¹- المرجع نفسه، ص 506

خلال مرحلة نموه وفي نهايتها بثقة المربي وبمحبته له.¹ بمعنى أن الطفل تربطه علاقة محبة وثقة بمعلمه.

إن هدف التربية الحديثة تقديم تربية شاملة متنسقة وتكوين إنسانا كاملا، لقد ساهم ظهور علم النفس الطفل بخدمات جليلة للتربية حين درس مراحل الطفولة المختلفة ومن أشهر الفلاسفة "داروين Darwin" الذي خصص عام 1877 مقالا يدور حول الملاحظات التي أجراه على ابنه "دودي doddy"، أيضا ما فعله "كلاباريد claparede" الذي أطلق الثورة الكوبرنيكية في التربية يقول: "أن نجعل الطرائق والمناهج تدور حول الطفل بدلا من أن نجعل الطفل يدور حول مناهج سنة في معزل عنه."²

هذه الفكرة أكدها المربي الأمريكي "ديوي Dewey" خاصة في كتابه المدرسة والمجتمع the school and society الذي قال: "إن المدرسة التقليدية هي تلك التي يقع مركز ثقلها خارج الطفل، إنه في المعلم أو الكتاب." ثم يضيف قائلا: "علينا أن ننطلق من الطفل وأن نتخذه هاديا ومرشدا، فالطفل هو المنطلق وهو المحور وهو الغاية."³

بهذا القول يؤكد ديوي على أن محور التربية الحديثة هو الطفل وشعارها التربية لأجل الطفل ومن الطفل، لقد أشار "كلاباريد claparede" في كتابه "التربية الوظيفية" هل التربية حياة أو إعداد للحياة؟ هذا السؤال الجوهرى طرحه ديوي وكان أساسا لمشروعه

¹- مورييس شربل، موسوعة علماء التربية وعلم النفس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1991، ص39
^{*}- تشارلز روبرت داروين Charles robert Darwin عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي إنجليزي ولد سنة 1809 في مدينة شرو سبورى من عائلة علمية، إكتسب شهرته مع نظرية التطور إهتم بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم درس اللاهوت في الجامعة، قام بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطور نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي سنة 1838، أشهر مؤلفاته "أصل الأنواع Origin of species" توفي سنة 1882.

²- المرجع نفسه، ص511

³- المرجع نفسه، ص513

التربوي الذي قدمه في العالم الأمريكي الجديد وانتقل إلى أنحاء البلدان الأخرى، فالعمل هو مفتاح النجاح في كل المادين ولهذا إعتد على المنهج التجريبي والمنفعة (الفلسفة البراغماتية).

يجيب أن التربية هي الحياة وليست إعداد للحياة وهذا ما أكده ديوي الذي نادى بأن التعلم يكون عن طريق العمل *learning by doing* يقول: "إن الكائن الذي لا يعرف سلوكه سيدا غير الهوى، هيهات أن يملك أكثر من حرية موهونة خادعة، فهو مسير بقوى ليست له عليها أي سيطرة."¹

يرى ديوي أن الطفل ينشأ في جو موافق لمبادئ الديمقراطية يتماشى مع أساليب المؤسسات الجمهورية، والتربية الحديثة تعد الطفل للحياة الإجتماعية وخلق روح العمل الجماعي المشترك. لقد خلف كتاب داروين "أصل الأنواع" آثار كبيرة على المفكرين كونه جاء مفصلا لعملية التطور بواسطة "الانتخاب الطبيعي *Natural Sélection*" أو بقاء الأجناس المفضلة في تنازع البقاء.²

تعلم داروين من تجارب مربى الحيوانات أن المزاوجة بين الفصائل الجيدة تنتج أصنافا لها خصائص تكون أكثر تلائما مع البيئة وأقدر على البقاء والتنازع وخلص إلى أن الحياة يحكمها قانون الانتخاب الطبيعي وأنه يشبه الانتخاب الصناعي، إلا أنه يحدث بالصدفة ويتأكد بالوراثة ويشير إلى أن الأنواع الحية الموجودة هي الأنواع الأعلى التي تسلسلت من أنواع أدنى.

قرأ داروين كتاب "مقال عن مبادئ السكان" لمالتوس *Malthus* الذي ذكر فيه أن عدد السكان يتزايد بشكل أسرع من موارد الغذاء على الأرض، وبالتالي لابد من وجود

¹ - المرجع نفسه، ص525

² - ويل ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وأراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، سنة1988، ص456

عوامل إعاقة طبيعية أو إصطناعية لإيجاد التوازن بينها. فطبق داروين تلك النظرية على الحيوان والنبات قائلًا بتنازع الكائنات الحية على القوت وبالصراع في سبيل الجنس والبقاء.

ظهر التأثير الواضح لنظرية التطور البيولوجي لداروين على فلسفة ديوي حتى أنه عبر عن هذا التأثير عبر مؤلفاته حيث يقول: "إن كتاب أصل الأنواع يقدم لنا نموذجًا للتفكير أعد في نهاية الأمر لتحويل المعرفة ومعالجة الأخلاق والسياسة والدين".¹

وبذلك إصطبغت فلسفة ديوي بطابع تطوري واتخذ من التغيير سمة أساسية لجميع أرائه الفلسفية والأخلاقية، فالفلسفة لم تعد تبحث عن الثابت اللامتغير بل تخضع للتغيير يقول ديوي: "إن التغيير لا الثبات هو معيار حقيقة الوجود الآن، فالتغيير موجود في كل مكان والقوانين التي يعني بها رجال العلم قوانين حركة وتوالد وتقال".²

يعترف ديوي بثبات بعض الحاجات الضرورية للإنسان، وبوجود حاجات ثانوية لديه، إلا أن إيمانه بالتطور جعله يرفض مبدأ ثبات الطبيعة البشرية وأقر بتغييرها ولكن تغييرها يكون نوعًا ما بطيء بالمقارنة مع باقي التطورات التي تحدث في العالم.³

تعتبر البراغماتية القاعدة الفلسفية الأساسية للتربية التقدمية التي رفع لوائها ديوي فقد صنعت أفكاره التربوية ثورة حقيقية في عالم التربية والتعليم، وكان جهده له علاقة بمزيج متنوع من آراء الفلاسفة والمفكرين، الذين سبقوه وقد ساهمت قراءته لهذا الفكر المتنوع بتأسيس منهج فكري ومشروع تربوي إستطاع أن يرسخ لمدة زمنية طويلة منتشرا عبر أنحاء العالم مؤثرا في الكثير من الباحثين المعاصرين المنشغلين بالتربية.

¹ -John Dewey, **the influence of Philosophy**, Peter Smith, new York, 1910,p2.

² -جون ديوي، **التجديد في الفلسفة**، ترجمة أمين مرسى قنديل، مراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو

المصرية القاهرة، مصر، دط، دت، ص135

³ -John Dewey, **Problems of Men**, N.y, Philosophical Library, 1946,p184.

من هنا كان من واجبنا الإهتمام بالبحث في الأسس والمنطلقات الفكرية والإجتماعية التي ساهمت في ما قدمته هذه الشخصية المتميزة، بغرض الوصول إلى بلورة نظرة شاملة حول طبيعة المشروع التربوي، من خلال الجمع بين الجانب الفلسفي والتربوي عنده.

ما الأسس التي أقام عليها فلسفته التربوية؟ فيما تتجلى معالمها الجديدة؟ أين تظهر تطبيقاتها وأثارها؟ كيف يمكن أن نؤسس لتربية دينية داخل المشروع التربوي الديوي؟ ما علاقة الدين بالتربية؟ هل إقتنع ديوي بالدين كمحفز للتربية؟ أم عوضه ببديل آخر؟

الفصل الثاني

الميتافيزيقا و التربية الدينية

في الفلسفة البراغماتية

الفصل الثاني: الميتافيزيقا والتربية الدينية في الفلسفة البراغماتية

المبحث الأول: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما قبل جون ديوي

المبحث الثاني: الأسس والمنطلقات التربوية الديوية بين الواقع والمستقبل

المبحث الثالث: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما بعد جون ديوي

المبحث الأول: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما قبل جون ديوي

توطئة:

تساهم التربية في بناء المجتمع وتقدمه فالتفاوت بين الأفراد يرجع إلى الاختلاف في الثقافات التي يعيشونها ويتفاعلون معها، والتي تمثل هويتهم ولكل مجتمع طريقة في الحياة تجعله يختلف عن المجتمعات البشرية يرجع إلى ثقافة مجتمعه. إذن التربية عملية إجتماعية تختلف من مجتمع لآخر حسب الإيديولوجيات التي تشكل ثقافة وبتالي فهي شكل من أشكال الفلسفة العملية، وجميع الفلسفات قديمها وحديثها لا يمكن فهمها إلا بإرجاعها إلى نوع الثقافة التي كانت صدى لها.

نشأت التربية في أحضان الفلسفة وتطورت عبر سؤال كيف نربي؟ إجتماعيا ونفسيا إلى سؤال لماذا نربي؟ أي المسألة أصبحت تشمل القيم والأخلاق والدين، وهذا ما إتضح مع الفلسفات كالتربية المثالية عند أفلاطون Platon، والتربية الإسلامية عند الغزالي AlGhazali التربية الطبيعية عند روسو Rousseau والتربية الدرائعية مع ديوي Dewey. فإذا كانت التربية خبرة إنسانية والعملية التربوية نقل الخبرات الإنسانية من التربوية نقلها من جيل إلى جيل، فإن فلسفة التربية هي تطبيق النظرة الفلسفية والطريقة الفلسفية في ميدان الخبرة الإنسانية الذي نسميه التربية، فلسفة التربية تعمل على نقد العملية التربوية وتعديلها والعمل على إتساقها وتوضيحها.¹

برزت أهمية التربية مع الإهتمام الكبير للفلاسفة أمثال "أفلاطون" و"أرسطو" و"الغزالي" و"ابن خلدون" و"ديكارت" و"روسو" أهدافا وغايات متنوعة، تساهم في بناء التربية والتعليم وقد نظروا في ميدان بحثهم وحاولوا إيجاد حلول لمشاكل التربية

¹- راجع محمد لبيب النجيجي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981

والتعلم، إذن كيف أسس ديوي للتربية الدينية؟ ما منطلقاته لذلك؟ كيف ربط بين الواقع والمستقبل؟ كيف فهم البراغماتيين الميتافيزيقا؟ وأين تجلت المسألة الدينية في التربية؟

استمدت الفلسفة البراغماتية جذورها من الخط الرئيسي للفلسفة الإنجليزية بداية مع بيكون Bacon إلى لوك Locke وبركلي Barkly وهيوم Hume ثم بنتام Bentham وجون ستيوارت ميل John Stuart Mill، هذا الخط يعبر عنه بالمذهب التجريبي، الذي تغلغل في الجزر البريطانية ليشكل مدرسة قومية خلدت التجريبية إسمها في الدستور البريطاني عامة، والفلسفي خاصة في تبني صريح صراحة طرقها المنهجية المؤطرة ومسلماتها النظامية المحققة حتى تكون التجريبية الإنجليزية الصورة الأصدق والمعبر والمثل لكل التجريبيات.

لقد سيطرت الإمبراطورية البريطانية في نهاية القرن السابع عشر على جميع المستعمرات، وبينما دعم ذلك من الوضع الرسمي للكنيسة الإنجليكانية في بعض المناطق، إلا أن قانون التسامح البريطاني لعام 1689 ساعد في الحد من قوى التعصب الديني، وفي القرن الثامن عشر ظهرت قوتان مهمتان كان لكل منهما تأثير ضمني قوي على الثورة الأمريكية والحرية الدينية.

لعب الدين دورا مهما في التطور الإستعماري لهذه البلاد، وقد استمرت آثار هذا الدور في التأثير على الروابط الدينية والسياسية في أمريكا، وإرتبطت الدوافع الدينية بالدوافع الإقتصادية في إقامة الكثير من المستعمرات الأولى، وقد سيطر الفكر البيوريتاني على شكل الدين في هذه المستعمرات، وبعد هذا المذهب ظهرت حركتان دينيتان هما الصحوة الكبرى والدين العقلاني ساهما في دعم الثورة الأمريكية¹.

¹ - مايكل كوربت، جوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ج1، ترجمة عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، سنة 2001، ص25.

الميتافيزيقا والتربية عند بيرس:

*تشارل ساندرس بيرس Charles Sanders Pierce فيلسوف ومنطقي أمريكي إتجه إلى الفلسفة عن طريق قراءته شيلر Schiller، ثم سيطرت عليه فلسفة كانط kant حيث حفظ كتابه نقد العقل الخالص critique de la raison pure.

يقول بيرس " إنني الوحيد من البراغماتيين الذي دخلت ساحة الفلسفة من باب كانط إلا أن أفكاري كانت تكتسي بالنبرة الإنجليزية"¹. أعجب بيرس بالقاعدة الكانطية القائلة بأن "كل معرفة تبدأ مع التجربة"². من هنا فالمعرفة عنده تنطلق من التجربة فصاغ بيرس سنة 1878 قاعدته البراغماتية الشهيرة "تدبر الآثار التي يجوز أن يكون لها نتائج فعلية على الموضوع الذي نفكر فيه، وعندئذ تكون فكرتنا عن هذه الآثار هي كل فكرتنا عن آثاره المحسوسة". تندرج فلسفته البراغماتية على أن أي فكرة لن يكون لها أي معنى، إلا من خلال سلوك عملي ممكن تستطيع الفكرة أن تنظمه أو تؤدي إليه. يعتبر بيرس المؤسس الأول للفلسفة البراغماتية، حيث ظهر في مقاله الشهير "كيف نجعل أفكارنا واضحة How to make our ideas clear" الذي نشره سنة 1878 في مجلة Poupular Science Monthly³، وقد وحد بين النتائج العملية والإحساسات فالإلتزم موقف باركلي وفهم العلم على أنه توطيد العقيدة.

* شارل ساندرس بيرس charles sanders pierce في كامبردج بولاية ماساشوستس، فيلسوف أمريكي، ولد سنة 1839 كان له دور في نشر الفلسفة الذرائعية، كان أبوه أستاذ في علم الفلك والرياضيات بجامعة هارفرد، وعلى الرغم من أنه حصل على شهادة الكيمياء، فإنه لم يفلح في إمتلاك مكانة علمية بناء على لقبه الأكاديمي، إشتغل محاضرا في المنطقين 1879 و1884 بجامعة جون هوبكنز وفي عام 1887 إنتقل مع زوجته الثانية إلى بنسلفانيا حيث بقي إلى ان توفي سنة 1914.

¹ - جيران ديلودال، الفلسفة الأمريكية، جورج كتورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2009 ص205

² - المرجع نفسه، ص223

³ -Serge Hutin,La philosophie Anglaise et Américain,2Ed,preses universitaire de France,Saint Germain,Paris,1963,p99

وضع بيرس ثلاثة مناهج براغماتية: منهج الثبات، منهج السلطة، المنهج العلمي الذي تحول إلى قاعدة عنده. يقول وايتهد Whitehead عنه "الأصالة مصدر جوهر فكره".¹ يعتقد بيرس أن التجربة والمعمل هما الفاصل الرئيسي في الحكم على صدق الفكرة أو كذبها، فالفكرة تكون ناجحة حين تكون صادقة وتحقق نتائجها في الواقع تتفعنا. إن هذا النفع دليل على صدقها فلا فرق بين الفكرة الصحيحة والمفيدة.

يعتبر بيرس Pierce مؤسس الفلسفة البراغماتية الأمريكية الذي أتم دراسته بجامعة هارفرد، حصل على درجة الماجستير 1862 إهتم بدراسة مناهج البحث العلمي والفلسفة والمنطق فكان له فضل كبير في تطوير المنطق المعاصر. ينظر إلى الفلسفة من وجهة علمية تجريبية وليست من وجهة ميتافيزيقية، يرى بيرس أن مشكلة المعنى ترتبط دائماً بالإنطباعات الحسية التي نتزود بها عن الأشياء ، التي هي موضوعات الإدراك يقول: "الفكرة التي لها معنى هي عبارة عن خطة تؤدي إلى سلوك معين"² فالعقل وحده غير كافي والحس يوصلنا إلى معرفة صحيحة، والحق مرتبط بالواقع والفكرة التي تتمثل في كلمة واحدة أو مجموعة من الكلمات أي في عبارة، ليس لها من الصحة شيء مالم تخرج إلى الواقع وتعبّر عنه.

يمكن القول أن بيرس يذهب إلى أن الفكرة يكون لها معنى من خلال أي سلوك عملي ممكن حيث تستطيع الفكرة أن تنظمه، أو تؤدي إليه وليس أن تؤدي الفكرة بالضرورة إلى تحقيق هدف حسي مباشر بل يكفي أن تعطي سلوكنا معنى.

مشكلة الاعتقاد belief إحتلت مكانة مهمة في فلسفة بيرس العلمية وهي لا تتفصل عن مشكلة المعنى فهي مكملتها، يقصد بيرس بالإعتقاد إنشاء عادة سلوكية

¹ - خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 سنة 2007، ص 57.

² - محمود زكي نحيب، حياة الفكر في العالم الجديد، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1987، ص152

معينة والإعتقادات المختلفة تمتاز باختلاف أساليب الفعل، التي تؤدي إلى ظهورها ويكون الإعتقاد إعتقاداً حقيقياً، إذا كان دالاً على أنماط من السلوك العملي حيال الشيء الذي يتعلق به ذلك الإعتقاد، أما الذي لا يترتب عليه سلوك معين فهو إعتقاد ليس له معنى ومثال هذا إعتقادي حول الشيء لا يمكن أن أراه أو أحمله أو ألمسه ولا ينعكس عليه الضوء الساقط¹.

ترتبط مشكلة الإعتقاد بمشكلة الشك الذي يحدث إذا كان هناك خلاف بين السلوك الفعلي والسلوك المتوقع، أما إذا جاء السلوك الذي توقعناه هو نفس السلوك الذي أديناه ظل إعتقادنا الذي أدى إلى السلوك قائماً، ولا يكون هناك ما يدعو للشك في صحة هذا الإعتقاد.

يرى بيرس أن الإعتقاد هو تحول فكر قلق إلى فكر مستقر وكأنه فعالية يقول: "الإعتقاد إنه النعمة النصفية التي تختم جملة موسيقية في سمفونية حياتنا الفكرية"². ويقصد بنعمة الفكر الذي يولد فكر آخر وقد حدد بيرس ثلاث خواص للإعتقاد:

- أنه شيء نحن على وعي به - أنه يهدئ الإضطراب الناشئ عن الشك

- أنه يتضمن قاعدة للفعل في طبيعتنا أو عادة هكذا نكون فهما متكاملان عن الإعتقاد

يعتبر الشك حالة تسبق الإعتقاد فحالة الشك تكون موجودة حينما لا يكون هناك إعتقاد، لكن هناك حالة تشبه حالة الشك تكون أحياناً سبب في توليد الإعتقاد عندما تكثر الإحتمالات، وسماها بيرس حالة التردد أو الحيرة *perplexity, hisitancy*.

¹- قيس هادي أحمد، دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية، مكتبة المنصور العلمية، بغداد، دط، سنة 1999، ص 87.

²- علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها مع دراسة تحليلية في فلسفة مؤسسها تشارل ساندرس بيرس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2008، ص 20.

يفرق بيرس بين الإعتقاد النظري والعملي، فالنظري يعتمد على التوقع والتصرف أما العملي نصل من خلاله إلى عمل معين أو إنجاز فعل ما يسميه بيرس عادة Habit، السلوك المعتمد فهو يسجل الحقائق ويطلع عليها أما الإعتقاد النظري يرتب الحقائق.

نفهم أن بيرس يفرق بين الشك والإعتقاد من حيث الموضوع فالشك حالة متغيرة وليست ثابتة، وهي ليست واضحة كالإعتقاد فهو مرتبط بالعمل تتبعه حالة إرتياح هكذا فالشك عنده يتعلق بالسلوك والتغير الذي يحدث أثناء الشك أو بعده.

يمكن القول أن البراغماتية العلمية لـ بيرس هي منهج للحياة ومع تطور العلم توجهت إهتمامات المفكرين، من البحث في المسائل الميتافيزيقية واللاهوتية إلى البحث في علاقة الإنسان مع حياته بالطبيعة. براغماتيته هي أحد المناهج التي مثلت الفلسفة والعلم تمثلا كاملا فطبقت العلم على مشكلات المعرفة، وتحولت الفلسفة إلى وسيلة فعالة لتفسير حياة الإنسان. فالعملية المعرفية عند بيرس تحقق بقوة الإدراكين العقلي والحسي، لكنه يؤمن بقوة أخرى هي الغريزة وصدقها في نقل المعارف أكثر من إيمانه بقوة الإستنتاج ويسميه بالحس المشترك.

براغماتية بيرس نظرية في الفعل أكثر من المعرفة فالعلم من أجل العمل والمعرفة من أجل الفعل. وعملية التخلص من الشك والتوصل إلى الإعتقاد ليست سوى عملية، والغاية منها أن الإنسان مستعد للفعل الذي يشكل معنى الإعتقاد البراغماتي، إن النتيجة العملية لبراغماتية بيرس تنحصر بين ما هو مفيد وما هو حقيقي فهو يستبعد أن تكون المنفعة غاية الإنسان لكن المهم هو الوصول إلى الحقيقة¹.

¹ - محمود زكي نجيب، من زاوية فلسفية، دار الشروق، ط1، ط2، ط3، سنة 1969، 1980، 1982، ص 202

ربما السؤال الرئيسي عند بيرس ماهي الفكرة؟ إن الفلاسفة المثاليون يرون أن الفكرة هي تصور عقلي يشترط أن يكون متسقا مع بقية التصورات العقلية، والفلاسفة الواقعيون لا يرضون بهذا التفسير يقولون أن الفكرة مطابقة لشيء ما موجود في عالم الطبيعة الخارجي، أما البراغماتيون يرون أن ما يحدد حقيقة الفكرة ليس هو مقوماتها بل يحددها ما تستطيع أن تفعله في دنيا الأشياء، مثال الفكرة كمفتاح الباب ليس المهم أن يكون من خشب أو حديد بل المهم أنه يفتح الباب المغلق.

الفكرة عند بيرس خطة للعمل وقيمتها في نجاح تلك الخطة فالمقياس هو ماذا أصنع بالفكرة وكيف يتحدد معناها؟ هكذا نقول أن براغماتية بيرس هي نظرية في المعنى ولا شأن لها أن يصدق الكلام أم لا يصدق على الواقع، إن العبارة عنده تكون ذات معنى إذا ما كانت ألفاظها دالة على خبرة حسية يمكن اللجوء إليها في عالم التجربة. نشأ بيرس في بيئة علمية أصبح محبا للعلم وعاشقا للرياضيات والمنطق والكيمياء يعتمد منطقته على التجربة وله علاقة وثيقة بالرياضيات، يقول في إحدى خطباته عن جيمس: "أنا أضمن أن أجعل منك عالما رياضيا من الطراز الأول"¹.

يجب على البراغماتية أن تمنحنا إمكانية التخلص السريع والفعال من جميع الأفكار التي تكون غير واضحة، وأن تزودنا بدعم وتأييد للأفكار الواضحة وذلك من خلال إصدار حكم لتمييزها عن القضايا الميتافيزيقية يقول بيرس: "طريقته هي طريقة العلم نفسها". يحتج بيرس عن إساءة استخدام كلمة براغماتية قائلا إنه سيتخذ لنفسه كلمة أخرى، يسمى بها مذهبه وسيتوخى فيها أن تكون قبيحة ثقيله عن النطق حتى لا يستعملها آخرون هي كلمة "براغماتيقية"².

¹ - المرجع نفسه، ص 204

² - المرجع نفسه، ص 208 .

إستخدم بيرس هذا المصطلح في الفلسفة البراغماتية بقوله: "وإذن فيما على الكاتب وقد وجد براغماتيقية الوليدة وقد بلغت أشدها - إلا أن يشعر بأن الوقت قد حان لكي يقبل وليده قبلة الوداع ويتركه لمصيره الصاعد وهو في الوقت نفسه يخدم الغرض الدقيق للتعبير عن التفسير الأصلي، فإنه يتوسل ليعلن ميلاد كلمة البراغماتية التي فيها من القبح الكافي ما يحميها من الخاطفين"¹. يجاوز بيرس حدود العبارات العلمية ومعانيها إلى حيث العقائد التي مدارها الإيمان لا المنطق وقد إكتفى بنظرية المعنى وحدها ولا شأن له بصدقها.

بدأ قراءاته بمنطق الفيلسوف الألماني كانط Kant ثم واقعية دونس سكوتس Duns Scotus إلى التجريبية الإنجليزية مع لوك Locke وهيوم Hume، هدف الفلسفة عند بيرس هي إعطاء معنى محدد للعالم عن طريق نظريات تطابق مواقفنا أو عاداتنا العامة في الإستجابة للبيئة، وهذه العمومية تعتمد على سحب هذه النظريات على أحداث محددة في المستقبل، هكذا ظلت فلسفة بيرس فلسفة علمية تجريبية وليست ميتافيزيقية. يؤمن بيرس بواقعية الرب ولم يقل بوجوده لأنه يرى أن الفعل يوجد يعني التفاعل react مع الأشياء الأخرى، والمتمثلة في البيئة لنا لذا سيبدو من المغالطة القول بأن الرب موجود، إن عملية معرفة الإله هي ليست سوى عملية تناظر الذهن هكذا نفهم بأن بيرس فرق بين معنيين كلمة الإله ووجوده. يؤكد بيرس أن البراغماتية قد تحددت وتشكلت معماريا أخذا عن كانط وقد تأثر به، كما قرأ أيضا فلسفة هيغل Hegel باللغة الألمانية وأعجب كثيرا بالأنظمة الفلسفية التي أقامها الألمان، وعلى هذا حاول بيرس بناء نسقا فلسفيا متكاملا لكن بعيدا عن الأنساق الميتافيزيقية.²

¹ - مجموعة مؤلفين، فلسفة الدين، علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، دار الأمان، الرباط المغرب منشورات الأمان، الجزائر، ط1، سنة 2012، ص 187.

² - على عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، مرجع سابق، ص 47

يرى بيرس أن العالم واحد على قدر ما نستطيع تكوين عادة سلوكية يدخل في إعتبارها كل ما يوجد مستقبلا ويمكن تطبيقها عليه، ويكون العالم متعددًا على قدر ما يلزمنا أن تكون عادات كثيرة تختلف بعضها عن بعض، ولا يتداخل بعضها في بعض حتى نستطيع أن نواجه أحداث العالم ونسيطر عليه.

من خلال ما سبق يمكن القول أن فلسفة بيرس فلسفة علمية واقعية وأنه كان فيلسوفًا تجريبيًا، لا يؤمن بأي فلسفة مثالية فموقفه ينطبق مع الوضعية المنطقية التي كانت سائدة في بريطانيا الذين رفضوا كل فلسفة مثالية. لم تكن براغماتية بيرس نفعية فردية وإنما كانت ذات بعد جماعي وبطرق علمية، ولم تجعل من العمل غاية في حد ذاته وإنما وسيلة للوصول إلى غاية، لقد رفض بيرس فلسفة الدين التي جاء بها جيمس في براغماتيته بأن الدين والعلم لا يلتقيان، فقد إهتم بيرس في براغماتيته بالعلم مهملاً الجانب الديني¹.

يرى بيرس أن طرائق الميتافيزيقيين في الإستنباط تصطنع على أساس فروض من عندهم، ويصلون به إلى براهين يصفونها بالصواب القطعي الذي لا يتعرض للتعديل على ضوء ما قد تكشف عنه البحوث العلمية.² يمكن القول أن الفلسفة البراغماتية وقفت ضد الأنساق الميتافيزيقية التي تبدو ركائزها قانونًا ثابتًا لا يقبل التغيير.

البراغماتية البيرسية هي منهج للحياة وبعد التطور السريع للعلم خاصة بعد ظهور نظرية النشوء والإرتقاء في كتاب أصل الأنواع لداروين Darwin تحول اهتمام الناس من البحث في المسائل الميتافيزيقية واللاهوتية، إلى البحث في الإنسان والبحث عن منهج يقوي علاقته بالطبيعة والحياة.

¹ - مجموعة مؤلفين، فلسفة الدين، المرجع نفسه، ص 212

² - علي عبد الهادي المرهج، المرجع نفسه، ص 31

الميتافيزيقا والتربية عند وليم جيمس:

وليم جيمس William James فيلسوف تجريبي أمريكي من أكبر دعاة الفلسفة البراغماتية يعتبر رسول بيرس في نشر أفكارها بين العامة والخاصة، وهذا بفضل أسلوبه دافع جيمس عن مذهبه كثيرا في كتابه البراغماتية يقول: " لقد ظل هذا المبدأ - مبدأ البراغماتية- مهملًا تماما زهاء عشرين عام ولم يحفل به أحد حتى قدر لي أن أبعثه من مرقدته وأخرجه ثانيا إلى حيز الوجود"¹.

يرى جيمس أن الفلسفة البراغماتية تتسجم مع مجموعة من المذاهب الفلسفية فهي تتفق مثلا مع مذهب الإسمية، في كونها تلجأ دائما للإصطفائية في التفاصيل الجزئية، وتتفق مع مذهب النفعية في توكيدها للنواحي العملية، وتتفق مع الفلسفة الوضعية في إزديائها للحلول الكلامية والأسئلة عديمة الجدوى والتجريدات الميتافيزيقية². نظرية معنى الحقيقة the meaning to truth يقول جيمس: "تعد الجزء المحوري الذي يدور عليه كتابي الموسوم بالبراغماتية"³. لقد إتفق جيمس مع بيرس في أن السلوك العملي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة، لكن جيمس إختلف عن بيرس في السلوك على أن يكون نافع. يعتقد جيمس أن الفكرة الصحيحة هي ما تحققه من نتائج ناجحة تنصب في مصلحة ذاتية للفرد، فالنجاح يتوقف على المنفعة يقول جيمس: "إن الحقيقي في أوجز عبارة ليس سوى النافع الموافق المطلوب في سبيل تفكيرنا تماما كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب في سبيل مسلكنا"⁴.

¹ - جيمس وليم، البراغماتية، محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، سنة 1965، ص 66

² - بيرس، رالف بارتون، أفكار وشخصية وليم جيمس، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة مصر، دط، سنة 1965، ص 406.

³ - جيمس وليم، البراغماتية، المرجع نفسه، ص 77.

⁴ - المرجع نفسه، ص 87

يسمى جيمس القيمة الفورية cash value على الحقيقة فالأفكار الصحيحة هي تلك التي نفحصها ونتعامل معها وعلى العكس من ذلك فسوف تكون الأفكار خاطئة. يوضح جيمس معنى الحقيقة عند البراغماتية بقوله: "إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها، بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها وإقامة الدليل عليها والأفكار الخاطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها"¹. يمكن القول أن جيمس يرفض الأفكار الميتافيزيقية.

نظرية التجربة الأصلية radical empiricism تمثل المرحلة الثالثة من مراحل التطور الفكري لجيمس، فالتجربة الأصلية جاءت لتعالج مشكلة المعرفة البراغماتية حيث يرفض كل ثنائية التي ترى أن الشعور والعالم الخارجي كل واحد منهما جوهر مستقل عن الآخر. والمذهب المادي والمثالي يفرق بين الذات والموضوع إلا أن المثالي يركز في مسألة الحقيقة على الشعور أو الذات، بينما الواقعي على العالم الخارجي أو الموضوع. إن جيمس يقر أن كل فصل بين الذات والموضوع هو فصل مصطنع لا داعي له لأنها من طبيعة واحدة.

يقول جيمس عن فلسفته: "إن فلسفتي هي ما أسميها بالتجربة الراديكالية التعددية التقدمية، التي تمت النظام على إعتبار كونه يكسب تدريجياً ودائماً في صيرورته إنها فلسفة تعتقد بالله ولكنها ليست بالضرورة والحتم كذلك وهي ترفض كل المنطق"².

¹ - المرجع نفسه، ص 88

² - المرجع نفسه، ص 328

إستخدام البراغماتية في مجال الدين، أنها تسعى لإعطاء الفعالية لكل نظرياتها بربط كل واحدة بالعمل وعلى هذا الأساس حدد جيمس معنى البراغماتية من حيث هي:

- مجرد منهج فلسفي يهدف إلى توضيح وتحديد المشكلات وتفسير المعاني من خلال توضيحها، وذلك بتتبع نتائجها وأثارها الفعلية فهي فلسفة منهجية بالدرجة الأولى.

- هي طريقة وأسلوب في التوضيح والتحليل لإزالة الشوائب من الأفكار والمعاني عن طريق التحقق.

- من حيث هي نظرية وأسلوب في الصدق تتعلق بالمعنى والإعتقاد وذلك بتوضيح وتحليل المعاني والمعتقدات ومعنى الصدق مرتبط بالنجاح العملي¹.

وبهذا يكون جيمس أكد في تعريفه للبراغماتية على مدى صدق الفكرة من خلال إرتباطها بالخبرة والفكرة عنده يجب أن تكون لها قيمة فورية، ونجاح الفكرة مرتبط بالإعتقاد في نجاحها، خاصة وأن البراغماتية هي الفلسفة التي تدعو إلى تقدير الحقائق من خلال قيمتها العملية أو ما يمكن أن تؤديه من فوائد مادية للإنسان.

يقول جيمس " القيمة البراغماتية لوحدة العالم هي أن كل الشبكات المحددة المعينة موجودة فعلا (مادة، فكر) وقائمة علميا (تجربة) وراهنة في واقع الأمر (حادثة)². أي أن وحدة العالم ترتبط بالمادة والفكر وهي خاضعة للتجربة وتصلنا إلى نتيجة عملية. لقد رفض جيمس الفلسفات التقليدية المجردة التي ليست في خدمة الحياة فالفلسفة العملية قوامها، أن المعرفة ذات علاقة كبيرة بالتجربة الإنسانية وما هي إلا وسيلة للعمل والنشاط وبالتالي فأي فكرة لا تكون صحيحة إلا إذا نجحت عمليا، ويرتبط التفكير دائما بالسلوك والعمل فغاية الفكرة هي العمل.

¹ - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، سنة 2000، ص76

² - المرجع نفسه، ص97

براغماتية جيمس لها وظيفة سلبية في إقصاء مشكلات تثير جدلا، لا ينتهي ولا تحقق فائدة في العالم، ومن جهة أخرى لها وظيفة إيجابية تتبدى من خلال تأييد صدق القضايا والأفكار من خلال معيار للمعنى والصدق يساعد في صياغة المفاهيم العلمية على وجه أفضل. يقول جيمس: " لكي يكون المذهب التجريبي أصيلا يجب أن لا يقبل عنصر لا يخضع للتجربة خضوعا مباشرا، وألا يستبعد عنصر خاضع للتجربة خضوعا مباشرا، وترى هذه الفلسفة أن العلاقات التي تربط التجارب علاقات خاضعة للتجربة وأن أي نوع من العلاقات التجريبية علاقات واقعية كأى شيء في العالم"¹.

يقسم جيمس العلاقات إلى علاقات مكانية، كمية، عليية، زمانية، كيفية. ووظيفة الفلسفة عند جيمس ينبغي أن تكون إيجاد الأثار المميزة التي تتعرض لها أنت وأنا في لحظة محددة من لحظات حياتنا، إذا صحت صيغة أو أخرى من صيغ الكون. فنظريات العالم بهذا المعنى قد تمت صياغتها جميعا، ولم يبق إلا تحديد النتائج التي تنعكس على الحياة بسبب قبول هذه النظريات أو تلك.

إن فكرة الإله عند جيمس مرتبطة بتأثيرها على سلوكنا، فإذا لم تأثر فهي فكرة ليست موجودة كما أن تفسيره لفكرة الإله يرتبط بما تقدمه من نفع للإنسان، لقد أعطى بتفسيره هذا الأفكار اللاهوتية إنعطافا باطنيا لم يذكره بيرس. وإستعمل جيمس الصدق ليبرهن على حقيقة الرب فهناك عبارة تقول "إن الله موجود" هنا نجد من يؤمن بصدقها ومن لا يؤمن، فمن وجهة نظر البراغماتية يقوم الدليل على صدق تلك الجملة لكن صدقها في هذه الحالة لا يكون مستندا بالضرورة إلى كائن موجود فعلا خارج الإنسان².

¹ - جيمس وليام، البراغماتية، مرجع سابق، ص 330

² - المرجع نفسه، ص 335

يقول جيمس عن البراغماتية: "إنها تعني الهواء الطلق وإمكانات الطبيعة المتاحة ضد الموثوقية التعسفية واليقينية الجازمة والإصطناعية، وإدعاء النهائية في الحقيقة بإغلاق باب البحث والاجتهاد، وهي في نفس الوقت لا تدعي أو تتأخر أو تمثل أو تتوب عن أية نتائج خاصة، إنها مجرد طريقة فحسب، مجرد منهج فقط"¹.

يعرف جيمس الحقيقة بأنها "مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لا مطابقة الفكر للأشياء". طور هذا الفكر ونظر له في كتابه "البراغماتية" فالحقيقة عنده هي مجرد منهج للتفكير كما أن الخير هو منهج للعمل والسلوك، فحقيقة اليوم قد تصبح خطأ الغد فالمنطق والثوابت التي ظلت حقائق لقرون ماضية ليست حقائق مطلقة، بل ربما أمكننا أن نقول: إنها خاطئة. تقوم براغماتية جيمس على إزراء الفكر أو النظر ومن جهة أخرى على إنكار الحقائق والقيم، فـ جيمس يدافع على أن الحقيقة لا تكمن بحال من الأحوال في مطابقة العقل بذاته أو لموضوعه، بل في مطابقة العمل أي مجموع الحاجات النفعية التي تتشكل منها مناحي الحياة الإنسانية، ومنتم بالفكرة الصادقة والصحيحة هي تلك المفيدة لفكرنا وسلوكنا².

يتضح مما سبق أن البراغماتية مذهب فلسفي نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، وأن صدق قضية ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال. إن الاعتقاد الديني لا يخضع للبيانات العقلية، ونشاط الإنسان يتمثل في العقل والإرادة، وكان العقل ينتج العلم، وحينما يتحقق العلم كإرادة يتجه نحو الدين لذا فإن الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة.

¹ - علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، مرجع سبق ذكره، ص35

² - جيمس وليم، معنى الحقيقة، ترجمة أحمد النصاري، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، سنة2008، ص90

لقد شبه جيمس البراغماتية على أنها ممر طويل في فندق عظيم، تفتح عليه أبواب مختلفة متعددة ففي غرفة منها نجد مفكرا منكبا على علم الجمال وفي غرفة أخرى عالم كيميائي يهتم بتجارب، وفي غرفة أخرى فيلسوفا منغمسا في تأملاته الميتافيزيقية، وغرفة أخرى رجل مؤمن يتعبد الإله، لكن كلهم لابد لهم من أن يخرجوا من أبواب غرفهم ويسلكوا هذا الممر¹.

بهذا الموقف يجعل جيمس من البراغماتية منهجا مهما في حياة الإنسان. تبدو براغماتية جيمس نظرية في الحق والحقيقة على خلاف براغماتية بيرس التي تعتبر نظرية في المعنى، فـ جيمس يبحث عن منفعة فورية من كل فكرة أو إعتقاد وبغض النظر عما تكون هذه المنفعة فردية أم جماعية مباشرة أم غير مباشرة.

البراغماتية عند جيمس نظرية شاملة يفسر في ضوءها الإنسان والكون فهي منهج ونظرية معرفية وميتافيزيقية وخلقية ودينية، فلم يرضى أن يكون له مذهب فلسفي بمعنى ذلك البناء الشامخ الذي يقيمه الفيلسوف مترابط الأجزاء متشابك التفاصيل، ذلك الترابط المنطقي والتشابك الضروري، ويسمها جيمس براغماتية حينا وتجريبية متطرفة حينا آخر وعنده هي في الحقيقة رد ذاتي للواقع إلى خبرة خالصة إلى وعي، فتأسيس فلسفة عملية قوامها أن المعرفة ذات علاقة كبيرة بالتجربة الإنسانية، ما هي إلا وسيلة للعمل والنشاط وبالتالي فأى فكرة لا تكون صحيحة إلا إذا نجحت عمليا، وغاية الفكرة هو العمل.

¹ - الشنيطي، محمود فتحي، وليم جيمس، دار الحمامي للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1975، ص79.

يعتقد جيمس أن ما يصلح لإنسان يصلح لآخر طالما حقق نتائج نافعة تفيد الإنسانية جمعاء، لهذا نجد أن البحث عن الدين عند جيمس هو دافع ديني فردي يتمتع بتجربة شخصية تكمن في الراحة النفسية والتفؤل، حاول أن يطبق المنهج العلمي التجريبي على الدين حتى يتجاوز الخلاف القائم بين الدين والعلم.

جيمس فيلسوف براغماتي ذو نزعة إنسانية يتميز بذوق حسي خاص محبا للحياة والإنسانية، ويتضح هذا من خلال سيرته الذاتية التي تناولها الكثيرون ولا سيما تلميذه *Ralph barton perry رالف بارتون بيرري، كانت بدايته علمية محضة على دراية تامة بما يؤكد العلم لمستقبل العالم، لكنه حاول أن يغير نظرتة متجها نحو الاعتقاد الديني الذي تميز بصبغة ذاتية الهدف منه التغلب على مشكلات الإنسان، فالإعتقاد حسب جيمس هو من صنع الإنسان ذاته، لكن ما علاقة الإعتقاد بالإنسان؟

الإعتقاد الديني بلغة جيمس يخدم الإنسان الفرد ويوصله إلى الراحة والإطمئنان النفسي والإستقرار في حالة إضطراباته أو قلقه، هكذا لا بد أن نسلط طريق الدين لنحقق سعادتنا يقول جيمس: "السعادة؟ السعادة؟ الدين واحد من الطرق التي بها يحصل الإنسان على تلك الهبة، وبسهولة دائمة فهي تتقل البؤس الذي لا يطاق إلى سعادة دائمة"¹. يعني جيمس بهذا القول أن الدين طريق الإنسان إلى تحقيق السعادة، ونجد برتراند رسل Bertrand Russell، يرى أن جيمس قد إهتم بالدين كظاهرة إنسانية ولكنه أبدى القليل من الإهتمام بالموضوعات التي يتأملها الدين أنه يريد أن يكون الناس سعداء، ولو كان الإعتقاد في الله يجعلهم سعداء فتركهم يؤمنون به"². يبدو أن رسل

* Ralph barton perry رالف بارتون بيرري فيلسوف أمريكي ولد سنة 1876، تخرج من جامعة برينستون عام 1896 حصل على درجة الدكتوراه في سنة 1897، وشغل أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد من أهم مؤلفاته أفكار وشخصية وليم جيمس توفي سنة 1957.

¹- James ,William , **Varieties of Religious Experience** , Astudy in Human, centenary Edition,1982,p175

²-Russel, Bertrand, **Histoty of western philosophy**, Atouchstone Book, New York, london, 1972, p 172

أشار إلى أن جيمس له وجهة إنسانية حتى أننا يمكن أن نسميه فيلسوفا إنسانيا فهو يبحث عن ما ينفعه في حياته ولا يقف عن الأشياء المادية بل يتجاوزها.

يتناول جيمس القداسة من بعد إنساني كونها تساهم في الحياة الإنسانية والإرتقاء إلى الأفضل، فهو لم يعتنق عقيدة محددة بل يعتبر رجل إيمان وعالما نفسيا ولم يتحول إلى لاهوتي في تناوله القداسة، فهي تمثل دورا رئيسيا في نظره لتطوير المجتمع وتخليصه من الشرور، لما يتميز به من صفات الخير التي ينشدها بين الأفراد هذا يؤدي إلى توازن في المجتمع. إن جيمس يرى أن العلاقة التي تبني بين الأفراد داخل مجتمع هي علاقة يسودها الحب والأمن والسلام والرجل المناسب لهذا هو القديس، لكن هل القديس هو المثل الأعلى للإنسان؟

نجد أن إميل بوترو Emil Botro لا يتناقض مع ما ذهب إليه جيمس من أن القديسين يؤدون إلى الإنسجام والسلوك الخير داخل المجتمع، إن قيمة القداسة عند جيمس تقدم للمجتمع خدمات إنطلاقا من أن الصفات التي يتصفون بها من شأنها أن تؤدي إلى السعادة والتوازن. النزعة الإنسانية عند جيمس تؤمن بقوة الإرادة البشرية وقدرة الإنسان الذاتية على تحدي القوى المتبته، وقهر الظروف فهي لاتتجاهل اليأس وإنما تضع أمام الإنسان خير طريقة وأفضل حل لقهر اليأس وطرد السكونية وروح الجمود والتشاؤم إنها نزعة إنسانية، تسعى لحشد قوى الفرد بطاقة روحية للتحدي والسيطرة على الواقع بإستخدام قوة العقل والعلم¹. إن الدارس لفلسفة جيمس يلمس إهتماماته البارزة بقضايا الإنسان التي أخذت جانبا أوسع من فكره وبهذا يمكن أن نسميها فلسفة إنسانية في ضل المذهب البراغماتي.

¹ عبد الفتاح الديدي، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دط، سنة 1966،

التجربة الدينية ممارسة واقعية حية ناطقة تجسد محاولة الإنسان في الخلاص ورغبته في السمو بمشاعره عن العالم الأرضي، المضطرب المبلل بألوان الشقاء والألم فالدين باعث على الشعور بالحيوية والأمل في نفس الإنسان وما دام الدين باعثا على الشعور بالطمأنينة والسكينة، وعامل لحفظ التوازن النفسي وتفعيل السلوك البشري إذن فهو ضروري للإنسان وبالتالي فالدين وثيق الصلة بحياة الإنسان، والإيمان بالإله عامل لإشباع حاجات بشرية¹. يؤكد جيمس في قوله على ضرورة الدين في الحياة الإنسانية لكن كيف يتحقق الإيمان عنده؟

المذهب العقلي والتجريبي يرفضان مسألة الإيمان وفي تصورهما أنه يكون مبنيا على أساس الوجود الواقعي أما جيمس فقد نقد هذا الرأي، من هنا نتساءل كيف يتحقق الإيمان عند جيمس؟ وما هي شروطه؟ وهل يحقق الإيمان نفسه بنفسه؟ وكيف نحقق فكرة الإيمان بالإله؟

يري جيمس أن تعددية العالم ينتج عنها إرادة طيبة وحرية الإيمان الديني هي مرادفة لحرية الاعتقاد، فالعالم المتعدد الذي نؤمن به تتمخض عنه قوى متعددة تحتاج كلها إلى تعاون من أجل تحسين صورة العالم ويذهب جيمس للقول: "و يتصور العالم الماضي نحو التحسين تصورا إجتماعيا كتعدد لقوى مستقلة، فإنه سينجح بقدر ما تعمل هذه القوى على نجاحه فإذا لم تعمل قوى منها حق عليها الفشل، فإذا بذل كل منا أقصى ما يستطيع إمتنع الفشل"². من خلال هذا القول نلتمس تغير وجهة نظر جيمس الفردية كونها لا تقدم لنا النجاح لوحدها، ولهذا يجب التعاون والإنسجام بين جميع القوى الأخرى التي تجتمع لنجاح هذا العالم وهنا موقف جيمس مطابق لموقف ديوي في الأخلاق حيث أكد على مسألة التفاعل بين الفرد والمجتمع.

¹-Perry, Ralph Barton, **Présent Philosophical** Tendences, Longmans, Green And Co, London New York, Toronto, 1929 , P 296.

²- الطويل توفيق، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 6، سنة 1976، ص 04

يرى جيمس أن الإيمان بمسائل لا يمكن التثبت منها في الوقت الحاضر فهو إيمان مشروع، ولكل إنسان الحق في الاعتقاد وإعتبر الإيمان فرض نافع يمكن تحقيقه وهو استعداد للعمل والسلوك هذه نظرية دينية تفاؤلية.

لا يرفض المذهب العقلي الإيمان ما لم يكن مدعوماً ببينة عقلية فحسب بل يرفض النظرة التعددية للمستقبل، وهذا ما يوضحه جيمس بقوله: "إن المذهب العقلي فكراً يتوسل بمبدئه المطلق للوحدة كأساس لإمكان حقائق الوقائع المتعددة، وعاطفياً إن الفحوى أو قصارى الأمر ستكون طيبة، فإذا أخذ بهذه الطريقة فإن المطلق يجعل كل الأشياء الطيبة مؤكدة وكل الأشياء السيئة مستحيلة"¹.

هذا يعني أن المذهب العقلي يعتقد بأن خلاص العالم فرض على إيمان كل فرد وبالتالي فهو يقيد من حرية الاعتقاد، في المقابل نجد المذهب التجريبي أو التشاؤمي أو كما يسميه جيمس المذهب الصعب المراس الذي يمثله أرترشوبنهاور Arthur Schopenhauer حيث يرى أن العالم زائل لا يمكن الإيمان بعالم آخر يختلف عن طبيعة هذا العالم، فالإختلاف بين ما يؤمن به أصحاب المذهب العقلي والمذهب التجريبي هو تحقيق هذا الإيمان وهذا ما يوضحه جيمس بقوله: "إن كل الصدام بين دين المذهب العقلي ودين المذهب التجريبي، و مخالفة حول مشروعية الإمكان وبناءاً على ذلك فمن اللازم أن نبدأ بالتركيز على تلك الكلمة"².

¹ - جيمس ولیم، البراغماتية، مرجع سبق ذكره، ص328.

* أرترشوبنهاور فيلسوف ألماني ولد سنة 1788 عرف بفلسفته التشاؤمية، درس الفلسفة بجامعة جوتنجن ثم إنتقل إلى جامعة برلين حصل على الدكتوراه سنة 1813 برسالته الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي، عين أساذاً بجامعة برلين سنة 1831، من أهم مؤلفاته "الإرادة في الطبيعة"، "المشكلتان الأساسيتان في فلسفة الأخلاق"، توفي سنة 1860.

² - ديورانت ويل، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط4، سنة 1979 ص415

يسمى جيمس هذه المسألة التفاوض الديني التي تذهب إلى أن الإيمان يمكن أن يتحقق، وهي نظرة لا يمكن فصلها عن نظرية التفاوض الخلقى فهناك علاقة تجمعهما حول تغيير سلوك الإنسان، لهذا نجد أن التفاوض الديني يرتبط بالإعتقاد بوجود الله فإن كان إيجابيا غير من سلوك الفرد فهو إيمان أو إعتقاد صادق. وضع جيمس سلم الإيمان الذي يعتبر طريق الإرادة الطيبة كما يسميها ويتضمن هذا السلم خطوات هي:

- ليس ثمة تناقض في كون وجهة نظر خاصة بالعالم صادقة فليس ثمة شيء متناقض في ذاته.

- فقد تكون وجهة النظر هذه صادقة في كنف شروط معينة

- وقد تكون صادقة حتى الآن

- وهي صالحة لأن تكون صادقة- وينبغي أن تكون صادقة

- ويجب أن تكون صادقة

- ستكون صادقة على أي حال بالنسبة لي¹.

يرى جيمس أن المذهب العقلي له فهم خاطئ لأنه يرى أن العالم قد اكتمل بصورة نهائية وهذا سوف ينفي فكرة الإرادة الطيبة نحو العلم، لهذا يدعوا جيمس إلى تعددية العالم لكي تحقق الإرادة الخيرية، هذا الرأي يتفق مع المزاج البراغماتي هذه النظرة تعطي دور إيجابي في العمل فالنظرة التعددية للعلم يتمخض عليها إرادة طيبة وحررة.

العالم المتعدد الذي نؤمن به تتمخض عنه قوى متعددة أيضا ونجاح هذا العالم يتوقف على جميع هذه القوى، وفكرة تحقق الإيمان تؤدي بنا إلى فكرة الإيمان بالله وكيف نحققها؟ وهل يحقق نفسه بنفسه؟

¹- جيمس وليم، بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة العلمية للتأليف والنشر، د ط، د ت

يرى جيمس أن الإيمان بفكرة الله سوف تعمل عملها، إذ أنها ترسي في نفوسنا الطمأنينة والسكينة والراحة، وهذا ما سيؤثر على سلوكنا وأفعالنا فيعطينا نظرة تفاؤلية للعالم ويجرنا تفكيرنا إلى أن حياتنا لا تقتصر على هذا العالم الفاني، إنما هنالك حياة أخرى أبدية يمكن أن ننعم فيها ونتاب على إيماننا، وعلى هذا الأساس فإن معتقدنا الديني سوف يحقق نفسه بنفسه وهو بذلك يعتبر صادقا، طالما تترتب عليه آثار ونتائج عملية في حياتنا وهكذا أصبح صدق المعتقد مرهونا بآثاره العملية¹. من خلال هذا يتضح أن الإيمان يحقق نفسه بنفسه وفق شروط:

- يجب أن يكون هذا الإيمان راسخا وحقيقيا يعطينا القوة والعزيمة

- أن تكون حرية في العمل وإعتقاد بحرية أعمالنا وأفعالنا

- أن يكون تعاون وإنسجام بين قوانا والقوى الأخرى حتى يتحقق إيماننا.

هكذا ينظر جيمس لتحقيق الإيمان نفسه بنفسه حين يجلب منفعة عملية، وبتالي تصبح الفكرة التي نؤمن بها حق أما إذا كان العكس تصبح الفكرة زائفة لا حقيقة لها². إرادة الإعتقاد هي العنصر الأصيل في كل فلسفة بينما يرى فلاسفة المذهب العقلي أن الإعتقاد والإرادة يخلطان الأمور، فهما يخدمان الرغبة ويسيران في ركاب العاطفة فهما ذاتيان، أما الفلسفة الموضوعية تهدف إلى التحرر من الرغبة والتجرد من العاطفة للوصول إلى الحقيقة، إلا أن جيمس يرى أن هذه الأفكار تؤدي إلى نتيجة شكية لا تلائم الحياة الدينية والأخلاقية ولهذا كان حريصا على مواجهة هذا الإتجاه.

يقول جيمس: "أنتم تزعمون أننا ينبغي أن نعتقد حين نبرهن فحسب ولكن متى

أمكنكم أن تبرهنوا على هذا المبدأ عينه؟"³.

¹ جيمس وليم، البراغماتية، مرجع سبق ذكره، ص 329

² جيمس وليم، العقل والدين، ترجمة محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دط، سنة 1949، ص 66

³ الشنيطي، محمد فتحي، وليم جيمس، مرجع سبق ذكره، ص 167

جوهر الإيمان ليس هو الشعور أو العقل وإنما هو الإرادة، فالإنسان لا يفتقر في مجال الدين إلى الصدق أو الإخلاص، ولا يحتاج إلى تأكيد صدق أشياء لا يقين فيها لكن الأمر يتمثل في إرادة الحقائق الواقعية تأييدا علميا، ففعل الإيمان أو إرادة الاعتقاد له خصوصياته فهو لا ينتمي إلى العقل ولا يعزى إلى العاطفة.

هكذا نقول أن الإيمان يبقى حقا من الحقوق الثابتة النابعة من ذهننا، ويجب أن يظل الإيمان واقفا موقف عمليا لا موقف دغمائيا قطعيا، و ينبغي للإيمان أن يقف موقف تسامح مع ألوان الإيمان الأخرى، مع البحث عما هو أشد احتمالا ومع الوعي الكامل بالمسؤوليات والمخاطر.

قد ينظر إلى هذا الإيمان على أنه عامل شكلي في العالم إذا كنا نحن أجزاء داخلية في هذا العالم، وإذا كنا بسلوكنا نحدد معالمه ونشكل ما يكون عليه طابعه الكلي. وأخيرا إذا كان العالم المتحسن قائما هنا بالفعل، فإنه يستلزم الإرادة الطيبة الفعالة عند كل منا، في إيماننا كما في وجوده نشاطاتنا الأخرى لكي نمضي به إلى طريق الإزدهار والنجاح¹.

¹ - جيمس وليم، بعض مشكلات الفلسفة، المرجع نفسه، ص 192

الميتافيزيقا والتربية الدينية عند ديوي:

ساهم في بناء النظرية التربوية عند جون ديوي العديد من العوامل منها تأثره بالمفكرين المحدثين والمعاصرين. لكن كيف كان لقاء ديوي بكل من "إميل" روسو "ومدرسة بيستالوتزي" و"رياض فروبل" و"مشروع إعادة التأهيل لمونتسوري" حتى صقل نظريته التربوية؟ كيف أسس فكرة التربية الدينية؟ هل إكتفى بالدين؟ أم عوضه ببديل آخر؟

يصف ديوي "روسو" "أنه نبي التربية الحديثة"¹ كونه كان متقدما على عصره في كثير من المعطيات السيكلوجية، التي سبق فيها علم النفس المعاصر لجوهر فلسفة روسو في التربية يكمن في تصوره لماهيتها والتي يختزلها في عبارته بقوله: "التربية هي النمو الطبيعي للميول والاتجاهات والقوى عند الطفل."²

يدعو روسو إلى تكوين معرفة دقيقة بطبيعة الطفولة وقدراتها الحقيقية لأن مشكلة التربية القائمة هي تربية خاصة بالكبار يقول ديوي: "لعل روسو كان أول من أدرك أن عملية التعلم إن هي إلا ضرورة وأنها جزء من عملية أخرى، هي عملية النمو وحفظ الذات."³ يقصد ديوي أن روسو أشار إلى أن عملية التعلم هي عملية النمو.

ينصح روسو بمعرفة الطفولة والطفل وطفولته هما الهدف النهائي للتربية، حيث يرى أن التربية هي النمو وبالتالي فليس من غاية أخرى للتربية غير ذاتها، هنا تقطن أعمق دلالة لديمقراطية التربية يقول ديوي في هذا الشأن: "لقد كان للرأي الذي نادى به روسو من أن التربية عملية نمو طبيعي، أثر بالغ من الناحية النظرية على التربية منذ

¹ -John Dewey, *les écoles de demain*, (schools of tomorrow, 1915), in reuben wallenrod, *éducateur*, trad. R. Duthil, paris, flammariion, 1931, p147

² - جون ديوي وإفلين ديوي، مدارس المستقبل، ترجمة عبد الفتاح المنياوي، مكتبة النهضة المصرية، دط، دت، ص59.

³ - المصدر نفسه، ص56

عهدته إلى يومنا هذا.¹ يبدو أن أبرز ما أخذه ديوي من روسو هو فكرة التربية بما هي نمو طبيعي.

أشار ديوي إلى إختلاف روسو الذي ركز على الفردية مع بستالوتزي الذي إهتم بالجانب الإجتماعي في فكرة النمو يقول ديوي: "في المدارس الحديثة التي تلت مدارس بستالوتزي، نلاحظ أنها قد عادت بطريقة واضحة إلى فكرته القديمة الأولى إلى فكرته الحيوية البالغة الأهمية، وهي تعليم الأطفال عن طريق إسهامهم بنصيب في تلك المهن والحرف، التي تشبه المهن والحرف في الحياة اليومية."² نفهم من هذا القول أن التربية تجربة إجتماعية.

يعتبر فروبل Frobel التربية عملية مساعدة للنمو الطبيعي لكنه إشتراط فيها قوانين حيث علق ديوي عليه بقوله: "كان فروبل يؤمن أيضا بأن هنالك علاقة ومطابقة كاملة بين الخصائص العامة للأشياء الخارجية، وبين سمات العقل الحرة الطليقة لأن كل منهما كان مظهرا لحقيقة حرة منطلقة واحدة."³ نفهم من هذا القول أن فروبل إعتبر أن العلاقات العامة بين أشياء الطبيعة وخاصة العلاقات الحسابية هي مظهر أساسي لذلك المبدأ الكوني للنمو.

أهم ما برز مع فروبل دعوته إلى توفير الوسائل التربوية خاصة الألعاب، لهذا أكد على الجمع بين اللعب والتربية يقول ديوي: "يعلم الأطفال ويبصرهم بالعالم الذي يعيشون فيه."⁴

¹- المصدر نفسه، ص71

²- المصدر السابق، ص119

³- المصدر السابق، ص152

⁴- المصدر السابق، ص155

لقد جمع فروبل بين الخبرة والمعرفة في مجال التربية، وأكد على دور اللعب التربوي في تطوير النمو وتدعيم فكرة الإتجاه الإجتماعي للتربية، كل هذه الأفكار ساهمت في بناء التربية الديمقراطية لاحقاً عند جون ديوي.

أشاد ديوي في كتابه "مدارس المستقبل" سنة 1915 بطريقة مونتسوري على أساس علمي وتجريبي في إستنتاج مبادئ التربية، تقول مونتسوري: "أنا أعتقد على أي حال أنني قد توصلت إلى إختيار مجموعة من الأشياء التي تمثل الحد الأدنى الذي تتطلبه تربية الحواس تربية عملية".¹ تؤكد مونتسوري على حرية الطفل التي تمكنه من التعرف على ذاته وعلى قدراته الخاصة وإلى إختلافه عن العالم والأشياء فينمي في ذاته ملكاته الحسية والذهنية والتعبيرية والتشكيلية.

يقول ديوي عنها: "تعتبر مدام ماريا مونتسوري في إيطاليا ومدارس تلامذتها في الولايات المتحدة، أشهر مدارس في الوقت الحاضر، تعتبر الحرية والإستقلال ضرورة لازمة لعمل الأطفال".² يؤكد ديوي على طريقة مونتسوري في مساهمة تغذية فكرة التربية لكنه ينتقدها في قضيتين:

- الدور التربوي للحرية المطلقة الممنوحة للطفل وما إذا كانت فعلاً تربوية
 - الطبيعة المتصنعة للمادة التربوية وإبتعادها عن خبرة الحياة الإجتماعية الفعلية
- يقول ديوي: "من الناحية العقلية فإن أطفال مدارس مونتسوري لا يتمتعون بمثل الحرية العقلية التي يتمتع بها أطفال مدارس المربين الأمريكان".³

¹ - لطفي حجلوي، التربية الديمقراطية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2013، ص56

² - جون ديوي وإفلين ديوي، مدارس المستقبل، مصدر سابق، ص187

³ - المصدر نفسه، ص200

يقصد ديوي بالحرية العقلية أي قدرة التلاميذ من إنجاز المشروع في الفصل التربوي وهنا إختلف مع مونتسوري كون تلاميذها منفذون ماهرون، فإن تلامذة ديوي قادرون على الإختيار وتنفيذ ما يختارونه.

ويرى ديوي في المسألة الثانية أن المربين الأمريكيين يعتقدون أن مقياس الحقيقة نستطيع أن نجده في تلك الخبرات، خبرات الحياة التي يمارسها الطفل خارج جدران المدرسة.¹ لقد فارق ديوي مونتسوري نهائيا في منطلقات وغايات التربية.

لقد ساهم في بناء الأفكار التربوية عند ديوي كبار التربويين كروسو وبستالوتزي وفروبل ومونتسوري، وبالتالي يعرف التربية على أنها مشاركة الفرد في الوعي الإجتماعي للجنس البشري، وهي تبدأ منذ الولادة بطريقة لا شعورية أولا، ثم تستمر عبر تشكيل قوى الفرد بتغذية شعوره وتكوين عاداته وتهذيب أفكاره وتنبيه مشاعره وإفعالاته، حتى يصل الفرد تدريجيا إلى المشاركة في التراث الروحي والفكري للإنسانية، بل يصير وريثها.

إستطاع ديوي بهذه التصورات التربوية أن يغير الكثير من الممارسات التربوية في أمريكا وفي العالم. وفي موضع آخر نجد ديوي يشير إلى فضل أفلاطون Platon الذي جعل من التربية وسيلة للربط والإتصال بين الفردي والإجتماعي، حيث عبر عن هذا بقوله: " كما أنه من المستحيل أن نجد إدراكا أعمق من إدراكه لوظيفة التربية في إكتشاف إستعدادات الأفراد وإنمائها وتدريبها على النحو الذي يضمن إتصالها بأعمال الآخرين."²

¹- لطفي حجاوي، التربية الديمقراطية، مرجع سابق، ص 64

²- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة متى عفاوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر

القاهرة ، مصر ، ط2، سنة 1954، ص 92

لقد لخص ديوي المشروع التربوي الأفلاطوني في نقطتين:

- ضيق أفلاطون النفس الإنسانية بحصرها في ثلاث أنواع وهكذا قصر من وظيفة التربية

- جعل أفلاطون التربية وسيلة لدفاع على المثال الإجتماعي يحقق بها العدالة

في نظر ديوي حاول أفلاطون أن ينظر للتربية النموذجية التي لا توجد إلا بوجود الحكومة المثالية، لكن حسب ديوي فإن المثال الإنساني للفرد الذي ينبغي على التربية أن تبنيه سوف يبلغ وضوحه مع الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط.

يرى كانط أن غاية التربية هي الخير الكلي أو الكمال الإنساني فلا يكون الإنسان إنساناً إلا بالتربية، وطرح إشكال هام هل ينبغي أن نربي للحاضر فقط؟ أم ينبغي على العكس أن نربي للمستقبل؟

معظم الناس يهتمون بتربية أبنائهم لحاضرهم لكن لا أحد يفكر في جعل التربية وسيلة لتقدم الإنسانية عامة".¹

يمكن الإشارة أيضاً إلى تأثير الفيلسوف الألماني كانط في مسألة التفريق بين التربية الخلقية والعقائد الدينية على ديوي، من خلال إعجاب كانط "بإميل" كما أنه شاطر روسو في اعتقاده بأن الإنسان خير بطبيعته، ومهمة التربية أن تحترم حرية الفرد الطبيعية وأن تساعد على تحقيق إنسانيته.² لكن بماذا تميز كانط عن غيره من الفلاسفة؟

¹- لطفى حجلوي، التربية الديمقراطية، مرجع سابق، ص 83

²- إنطوان الخوري، أعلام التربية، حياتهم، آثارهم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، سنة 1964، ص 117

جعل كائط التربية هدفا أخلاقيا عالميا فهي وسيلة يرتقى الإنسان بها إلى درجة الكمال، وقد أعطى للتربية الأخلاقية مكانة هامة ولم يبينها على المعتقدات الدينية إنما على تنمية الشعور بالواجب. إن معظم فلاسفة القرن الثامن عشر أبعوا التربية الخلقية عن العقائد اللاهوتية ومنهم كائط الذي جعل من تربية الشعور بالواجب أساسا للتربية الخلقية.

لهذا تستمد الواجبات من طبيعة الأشياء واجبات نحو الذات وتعني أن نحافظ في داخلنا على بعض الكرامة، تلك التي تجعل من الإنسان مخلوقا أنبل من المخلوقات ونعلم الطفل أن صفة الكذب هو تدني على الكرامة الإنسانية وينزع منه ثقة الآخرين. وواجبات نحو الغير تعني أن نعلم الطفل إحترام حقوق الإنسان وأن يجسدها في الواقع ويفهم معنى إحترام الآخرين.¹

يرى كائط أن أفضل طريقة لغرس دين سليم في نفوس الأطفال هي الطريقة المنطقية التي تبدأ بتربية الشعور بالواجب، والأفكار الدينية تفرض دائما نوع من التفكير اللاهوتي لكن كيف يحدث هذا؟

يجب أن نربيهم على ملكة الحكم وملاحظة نظام الجمال في الطبيعة ونظام الكون هكذا تأسس لديهم فكرة الخالق والقدرة الإلهية، لهذا واجب أن نلقنهم الأفكار الدينية لأن الأطفال يفهمون دون أن يكون لديهم أفكار عن الواجب والسلوك الحسن أو السيئ فهناك قانون الواجب يعلمهم ذلك.

يقر كائط أنه لا ينبغي أن نبدأ باللاهوت فالدين الذي لا يبني إلا على اللاهوت لا يمكن أبدا أن يشتمل على شيء من الأخلاق. إننا لا نجد فيه إلا الخوف هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لانجد فيه إلا خطئا ونيات تقودها فكرة الجراء، ولا ينتج عن هذا

¹- إنطوان الخوري، أعلام التربية، حياتهم، آثارهم، مرجع سابق، ص119

إلا عبادة خرافية، لهذا يجب أن تكون الأخلاقية هي الأولى، ثم يتلوها اللاهوت وهذا ما يسمى بالدين.¹ يبدو من قول كانط أنه يشير إلى تعلم الأطفال الأخلاق قبل تعلمهم الدين.

تتضح فكرة التربية الدينية مع كانط كاللون من الحياة من خلال ممارسة الطفل بتجربته مع الطبيعة، من جهة ومع البيئة الإجتماعية من جهة أخرى هذه المسألة أثرت في فكر ديوي. لكن نتساءل ما المنطلقات التي إعتدها ديوي في تجسيد فكرة التربية الدينية؟ وما الأسس التي ركز عليها لإرساء أفكاره؟

يبرز ألفرد هوايتهد Alfred Whitehead مكانة ديوي من خلال قوله: "الفلسفة صناعة واسعة غير محدودة تحقق خدمات كثيرة لتقدم الإنسانية، وجون ديوي يجب أن يوضع في مرتبة الذين جعلوا الفكر الفلسفي موافقا لحاجات زمانهم، وهو من هذا الوجه يرتفع إلى مصاف قدماء الرواقيين وأوغسطين والإكويني وفرنسيس بيكون وديكارت وجون لوك وأوجست كونت."² إنها تحية فيلسوف لفيلسوف مثل الفكر الفلسفي الأمريكي.

تتسم فلسفة ديوي بنزعتها التجريبية الأصلية ورفضها للميتافيزيقا، إن تجريبية دينامية حركية متطورة والحياة تتسم بالتجانس والإستمرار الكلي، فهو ينادي بالنزعة الواحدة الطبيعية وبذلك يخالف معظم الفلسفات الحديثة التي تنادي بالثنائية Dualism أي الروح والمادة أو بين عالم القيم وعالم الواقع أو بين العالم المعقول والعالم المحسوس كما تصور كانط Kant وقبله أفلاطون Platon أو بين الذات والموضوع حسب الفلسفات الألمانية المثالية.

¹ عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كانط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان سنة 1980، ص 158

² أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، سنة 1959، ص 69

يرى ديوي أن العقل ليس منفصل عن التجربة أو قدرة متعالية تقودنا إلى عالم متعال يضم بقية الحقائق الكلية وإنما العقل باطن في الطبيعة. ويرفض رأي الميتافيزيقيين في المعرفة فليس هناك ذات عارفة وموضوع معروف، فهذه نظرة تأملية خالصة من أجل ربط الوعي بالطبيعة ربطاً أولياً مباشراً تقوم على الخبرة التي تعلمنا أن كل شيء يتغير ولا يوجد شيء ثابت ساكن سواء في المادة أو العقل.

هكذا سميت برغماتية ديوي بالدرائعية Instrumentalism لأنها معلقة على الخبرة الديناميكية النشطة، فقد إرتبطت فلسفته بالعلم النفس الإجتماعي وتعتبر منهجا وليس نسقا فلسفيا، فهي تبعد الكتابة عن الميتافيزيقا التقليدية وتعبّر عن إمكانية تحقيق سعادة الإنسان.

يعرف ديوي الفلسفة من خلال كتابه الديمقراطية والتربية سنة 1916 أنها النظرية العامة في التربية، لهذا يقول: "إن عمل فلسفة المستقبل هو توضيح أفكار الناس لمواجهة صراعاتهم الأخلاقية والإجتماعية فيما يواجهون من أيام مقبلة، فإن هدف الفلسفة سيصبح إلى حدما تمكين الإنسان من التعامل مع هذه الصراعات."¹

حسب ديوي التربية هي المعمل الذي نختبر فيه الأفكار الفلسفية، وإذا لم تسعى إلى أن تختبر وتجرب من خلال عملية التربية، تظل مجرد تأملات مجردة لا يكفي تقديم البراهين العقلية. وقد نشر فلسفته التربوية في مقال بعنوان عقيدتي التربوية سنة 1897 فلا يمكن أن تقوم التربية إلا بالتجربة أي من الفكر إلى العمل، وقد وضع دستور التربية حيث يرى أنها تبدأ مع الولادة عن طريق إثارة قوى الطفل، وهناك عاملان للتربية أحدهما نفسي والآخر إجتماعي.

¹- إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 2000، ص133

يلخص ديوي دستور التربية في ثلاث نقاط هي:

- المادة الأولى: الفرد الذي نريد تربيته فرد إجتماعي وأن المجتمع وحدة عضوية مؤلفة من أفراد، وإذا نحن أغفلنا التعامل الإجتماعي من حساب الطفل بقينا أمام شيء مجرد.¹

- المادة الثانية: المدرسة عند ديوي هي مؤسسة إجتماعية وصورة للحياة، وبالتالي فالتربية عملية للحياة وليست إعداد لحياة مستقبلية، والطفل يجب أن يتعلم كيف يحقق وحدة الفكر والعمل وهذا بواسطة المعلم.

- المادة الثالثة: حياة الطفل هي الأساس الذي يركز عليه نموه، واللغة أذات منطقية في المجتمع وتساهم في التفاهم بين الفرد والآخرين في الأفكار والمعلومات والمشاعر.²

التربية حسب ديوي هي الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الإجتماعي الذي يخضع للقانون، وتبلغ العملية التربوية قمتها عندما يتحد العلم والفن في الخبرة الإنسانية. تقوم التربية الحديثة عند ديوي على مبادئ مغايرة للتربية التقليدية هي:

- مهمة المدرسة نقل المعارف والمهارات الماضية للتربية إلى الجيل الجديد
- واجب التربية الخلقية ليس بناء السلوك، ونظام المدرسة كمؤسسة إجتماعية تربطه علاقات مختلفة بين الأطفال ومدرسيهم وهكذا تبقى المدرسة متميزة

¹- جون ديوي، عقيدتي التربوية، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، سنة1968
ص151

²- المصدر نفسه، ص158

يعتقد ديوي أن الفلسفة تنشأ من المشكلات التي تواجه الحياة الاجتماعية كالتناقضات التي خلفها تاريخ الفكر الفلسفي العقل والمادة، الجسم والروح، الفرد والمجتمع، الطبيعة الإنسانية والطبيعة المادية، إن الفيلسوف يملك عقل مفتوح Open-minded.¹

نشر ديوي عام 1930 في مجلة forum الأمريكية مقالا بعنوان "عقيدتي الفلسفية" What I believe على غرار مقاله السابق "عقيدتي التربوية" ويعتبر فيها أن الإيمان في الخبرة هو أساس الحياة الاجتماعية، ويجب أن تساهم في الدين والأخلاق كما أن الفيلسوف لا يبحث في الأمور الغيبية، بل على ما يعتمد من الخبرة في حياته والفرد والمجتمع هو محمل الخبرة والعقل هو أدواتها.

تتفاعل الأحداث في عالم الخبرة على ثلاثة مستويات متعاقبة:

- مادة Matter تقوم الفيزياء بوصفها

- العقل Mind الأنشطة المترابطة بين الكائن البشري وبيئته

- الروح Soul الأنشطة العضوية المنظمة داخل الوحدة الكلية

تتميز الخبرة الإنسانية بميزتين:

- الإستمتاع المباشر بالحياة الفنون الجميلة fine arts

- الأعمال النافعة Useful Hobor

إذن الخبرة قوة محرّكة في سلوك الإنسان وتعتمد قيمتها على أساس الهدف الذي تحقّقه.²

¹- إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ص141

²- المرجع نفسه ، ص153

الإيمان الإنساني عند ديوي:

يعتبر ديوي من أنصار المذهب الطبيعي Naturalism وعندما يتكلم عن الدين يفرق بين التدين والدين Religion And The Religious فالدين قوة عليا غير منظورة لا نراها ولا نعرفها، تتمثل في طقوس وشعائر أما التدين فهو تجربة دينية وظاهرة إجتماعية خاضعة للثقافة والحضارة، والفرد يعيش في بيئة إجتماعية تعبر فيها عقائد وعبادات تختلف حسب الأفراد وليس هناك دين بل أديان كثيرة والإنسان يولد إجتماعي قبل أن يولد متدين، فهو يرتبط بالمجتمع الذي له تقاليد وأعراف وبعدها يتعرف على الكنيسة.

يرى ديوي أن الأديان متقلة بالطقوس والعقائد القديمة فهو يقر بالدين الطبيعي دين الإنسانية يقول في كتابه "الإيمان المشترك": "وفي هذا تقوم جميع العناصر لإيمان ديني لن يقتصر على فرقة أو طبقة أو جنس وقد كان مثل هذا الإيمان في صميم القلوب، الإيمان المشترك لبني الإنسان، ويبقى اليوم أن ينتقل هذا الإيمان المشترك من السر إلى العلن ويتخذ سبيله إلى التحقيق".¹ يبرز ديوي من خلال قوله أن الدين الطبيعي هو دين الإنسانية، وبالتالي الإيمان لا يقتصر على فرقة أو جماعة وإنما هو مشترك يجب تحقيقه في الحياة من خلال الممارسة والتجربة وإكتساب الخبرة. يدعو ديوي إلى الدين الطبيعي أي دين الإنسانية، لكن ما موقفه من الإلحاد؟

يرى ديوي أن ما وراء التجربة يستدعي التسليم بالأمور الغيبية Supernaturalism وهذه العقائد ثابتة إرتبطت تاريخيا بالمسيحية، ونقول أن المضمون الفكري للأديان أصبح يعيش عالية على ثمار العلم والمجتمع.

¹-jhon dewey, **common faith**, henry hort, new haven, by yale university press, u.s.a, 1934, p57 .

يؤمن ديوي بالديانات الإنسانية ولا يقر بالديانات السماوية، فيلسوف طبيعي وقد إهتم بالأخلاق التي يسميها الأخلاق الأداةية Instrumentalist Ethics والقيم يسميها القيم الجوهرية Intrinsic values، فالأحكام الممكنة على القيم تكون على أساس العقل والمعرفة الإنسانية لها علاقة بالحياة الأخلاقية.

وجد ديوي مدرستان للإصلاح الإجتماعي قبله الأولى ترى أن الأخلاق تتبع من الباطن أي تطهير النفس وتصفية القلب، أما الثانية ترى أن الإنسان ثمرة البيئة لهذا وقف ديوي بينهما، ورأى أن السلوك الإنساني هو تفاعل بين الإنسان والبيئة، بين ما هو طبيعي وما هو إجتماعي. رفض ديوي أفكار المدرسة النفعية Utilitarian school التي تنادي بمذهب اللذة hedonism كمعيار للأخلاق، وقد إستعمل كلمة القيمة وعرفها أنها "المباهج التي تنتج عن الفعل الواعي".

يرى ديوي أنه لا يوجد خير مطلق ولا شر مطلق وبالتالي الأخلاق ظاهرة إجتماعية تعود إلى التربية يقول: "إذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك ناشئ من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الإجتماعية."¹

إعتبر ديوي موضوع هام في إقامة مجتمع ديمقراطي وتكلم عن المدرسة التجريبية المعلمية الحديثة لأنها مكان ينشأ فيه الفرد، وجعل مصطلح الديمقراطية لفظا مرادفا للتربية كونها يمثلان الجانب العملي في فلسفة يطلق عليها اسم التجريبية الأصيلة.

كيف فهم ديوي الدين؟ ما علاقته بالإنسان في حياته؟ ما الأسس التي ربط فيها بين الدين والتربية؟ كيف قارن بين العبادات والعقائد في الحياة الإجتماعية؟

¹ - أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، سنة 1959

حاول ديوي وضع دين إنساني لأنه رفض الديانات السماوية كما أنه رفض الميتافيزيقا لأنها أمور غيبية، ولهذا يجب ممارسة الدين الإنساني لأنه يحقق الراحة النفسية والشعور بالسعادة، وهو يؤمن بالأديان كثيرة حسب عدد الناس فكل واحد يستعمل خبرته في ممارسة دينه.

أمن ديوي في الشطر الأول من حياته بالمثالية الهيجلية ثم في سنواته الأخيرة عاد إلى المادية الطبيعية، يرى أن المنهج الوحيد في إكتساب المعرفة هو المنهج العلمي أما الدين فقد أخطأ الطريق في مطلبه للمعرفة، وبهذا كان مصلحا وناقدا ومحللا للدين حيث أصدر كتاب عنه "الإيمان المشترك" والذي قدم فيه نقدا واضحا للدين، من منطلق إجتماعي وهجومه على بعض الأوساط الكنسية الإجتماعية.

يصرح ديوي بقوله: "إن الكتب المقدسة واحدة في معالجتها لأسباب الشك فإذا كان ثمة إلتزام بأن نعرف الإله، فإن فشلنا في الوفاء بهذا الإلتزام، لا يعتبر خطأ فكريا فحسب وإنما يعتبر كذلك كفرا من الناحية الأخلاقية لأن الإيمان ليس إمتيازاً، وإنما هو واجب فمن ليس مؤمناً يعتبر كافراً أو مذنباً".¹

ألقى ديوي في عام 1892 محاضرة بجامعة ميتشجان بعنوان "المسيحية والديمقراطية" قارن فيها بين العبادات والشعائر، من جهة وبين الوحي من جهة ثانية فإذا نظرنا إلى الدين نظرة خارجية وجدناه أنه العبادة والعقائد لكن هذا ظاهرياً، أما إذا تعمقنا داخليا نجد أن الدين يضرب بجذوره في الحياة الإجتماعية والفكرية وهو يعبر عن عادات تعترف بالألوهية.

¹- بيتر كاز، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام، ترجمة حسنى نصار مراجعة مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، سنة 1980، ص 349

في عام 1894 كتب مقالا بعنوان "التجديد" يدعوا فيها الكنيسة إلى أن تعيد صياغة عقائدها عن الوحي والنبوة، معتمدة على العلم الحديث حتى يمكن للفرد أن يعيد بناء حياته الدينية، وصياغة أفكاره عن الحقيقة الروحية.

بلغ تطور فلسفة ديوي أوجها عام 1908 حيث كتب مقالا عن "الدين في مدارسنا" حدد فيه خصائص الدين لأنه سر خاص نابغ من الذات الإنسانية، فهناك مواجهة مع النفس عند الحديث عن التعليم في الدين بنفس المعنى الذي نتعلمه في المواد الأساسية فكلما حقق العلم إكتشاف معرفيا تتراجع الأسس التقليدية للدين.¹

عندما بلغ ديوي 75 سنة ألقى محاضرة بعنوان "تيررى" التي أقيمت في "يال" سنة 1934 وعبر عن رأيه في الدين بقوله "ما وراء الطبيعة"، وفي كتابه "الإيمان المشترك" يقول: "إن الناس على مدى التاريخ قد إنقسموا حول مسألة الدين وأن إنقسامهم إلى معسكرين يرجع إلى ما فوق الطبيعة."²

فمراتب المؤمنين تختلف باختلاف مواقفهم فمنهم من يرى أن الكنائس اليونانية والرومانية بمناهجها الكهنوتية المقدسة، هي الطريق لما وراء الطبيعة أما المؤمنون المعتدلون وهم البروتستانت يرون أن الكتاب المقدس والضمير هما طريقتان الدين الحقيقي وأخرون معارضون للدين، يعتقدون أن الدراسات الأنتروبولوجية والسيكولوجية كشفت مصادر ما فوق الطبيعة. وأخيرا المتطرفون مكانهم في ديل القائمة يعتقدون أن إستبعاد ما فوق الطبيعة هو إبعاد للدين والطبيعة الدينية.³

هكذا حاول ديوي فحص الأسباب الجذرية لإنقسام الناس تبعا لما يخلفه الدين فيهم من أجل تنقية التجربة البشرية الدينية.

¹- المرجع سابق، ص351

²- المرجع نفسه، ص352

³- المرجع نفسه، ص353

قدم ديوي في الفصول الأولى من كتابه "الإيمان المشترك" مقارنة ميز فيها بين إسم الدين وبين صفته الدينية. هناك الإيمان الأخلاقي يحكم سلوكنا في الحياة والإيمان الغيبي يسلم به العقل.

حسب ديوي الدين هو الذي يرتكز على المثل لأنها توصلنا إلى الإيمان، ومصدر المثل هو التجربة البشرية والطبيعية. فالإيمان بالعقل نكرسه للعمل على إكتشاف الحقيقة والإيمان بالعلم وبقيمة الفرد يفتح التكامل بين الدين والأخلاق.

يشبه ديوي الفن بالدين حيث يرى أن رجل الدين الذي لم يذهب إلى الكنيسة كالموسيقي الذي لم يلمس بيديه آلة موسيقية، إذن الفن هو المدخل إلى تقدير الثقافات الأخرى حيث تتسم رؤيته هنا بالسمة الكاثوليكية، أما الدين فهو يدعو إلى نبد الماضي من أجل الحاضر. يبدو أن مشكلة العلاقة بين الدين والفن مع ممثليها من الإتجاهات الفلسفية المثالية واللاهوتية يؤكدون على أن الدين والفن مرتبطان كظاهرتين تحاولان تقديم تفسير موحد للعالم وللتطور الإجتماعي والروحي. فالطقوس الدينية ما هي إلا معالجة فنية كما حدث في الطقوس اليونانية القديمة. فإذا كان الدين يقوم على أساس الدين، فما هو نوع الإيمان المطلوب للفن؟

يقول إليوت: "أما الإيمان الذي لا بد منه الفن الخلاق، فأشبهه بإيمان الطفل بالدمية وهو إيمان ما أشد دفأه وحيويته بالروح، والحكمة والشخصية التي يضيفها الطفل على دميتها يحبها."¹ لقد إتهم الفن بأنه مفسد للأخلاق خاصة مع حركة الإصلاح الديني في أوروبا وأصحابها يدعون إلى إستبعاد معايير الجمال، من أجل الإقتصار على التمسك بقيم الأخلاق مثل ما ذهب إليه المفكر الفرنسي روسو Rousseau. نتساءل هنا ما موقف ديوي من الفن وعلاقته بالدين والخبرة؟

¹ - سناء خضر، الخبرة الجمالية عند جون ديوي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 2010، ص250

يقصد ديوي أن الإيمان faith هو التسليم بمجموعة محددة من القضايا الفكرية تسليم يقوم على سند من سلطة authority ووحيا من السماء. لكن الإيمان بمفهومه الجديد يدل على أن الخبرة هي السلطة النهائية الوحيدة Sole ultimate authority.

ينادي ديوي بدين واحد وإله واحد وإيمان مشترك متطور مع تطور الحياة، وهكذا فهو يجمع بينما هو إلهي وما هو إنساني في الدين، فالفرد يجمع في نفسه بين النزعة الدينية والفنية. ويرى ديوي أن القيم الدينية أترث على الفن وهذا ما عبرت عنه الأساطير العبرية والمسيحية التي كانت مادة أساسية لجميع الفنون.¹

يجمع ديوي بين تجربتين الجمالية والدينية لأنهما يصدران عن النفس، ففي التجربة الجمالية يشعر الفرد بالمتعة والإرتياح، أما في التجربة الدينية فيحس بالأمن لهذا نجد ديوي لا يرجع إرتياح النظر أو السمع إلى إدراك العين بل إلى النشاط الكائن بأسره بإزاء ما يرى وما يسمع.

تأثر ديوي بجيفرسون الذي يقول في الدين: " أنه إقتصر على فرع الأخلاق الذي لا يختلف باختلاف الأديان بينما نجد فرع العقائد يختلف باختلافها. " بمعنى الدين قائم على الأخلاق والعقائد، لهذا إهتم ديوي بالجانب التربوي الأخلاقي وحاول تجاوز جانب العقائد. يقدم ديوي إنتقادات للإتجاهات التربوية السابقة حيث يرى أن هناك :

- الإتجاه الذي يعتبر التربية إعداد للمستقبل ووصفه بالوظيفي يمثل أفلاطون
- الإتجاه الذي يعتبر التربية صقل للقدرات والقوى الفطرية يمثل جون لوك
- الإتجاه الذي يقول بالإنكشاف يعتبر التربية نمو نحو هدف نهائي وكلي يمثل هيغل وفروبل

¹- المرجع نفسه، ص253

أثر في ديوي ثلاث عوامل البراغماتية والتجربة الإنجليزية والمثالية الألمانية خاصة هيغل Hegel، الذي درسه من خلال أستاذه وزميله في التدريس بجامعة ميتشيجن Michigan جورج موريس George Morris، كما تأثر بكتاب وليم جيمس William James "أصول علم النفس" وإهتم بعلم النفس وحاول فهم علم الشعور، ونظرا ل صداقته مع "جورج هربرت ميد George Herbert Mead" فقد شاركه الكثير من أفكاره النظرية حول الفرد والسلوك الاجتماعي خاصة تلك التي تتصل بإكتساب الفكر وتطور العقل في المجتمع الإنساني.¹

بعد دراسته لنظرية التطور لصاحبها داروين التي سادت في القرن التاسع عشر تحول إهتمامه أكثر بها لأنه وجد ما يخدم ميوله العلمية التجريبية، لكنه بقي معجبا كثيرا بالفلسفة الهيغلية وقد أشار إلى فلسفته "المثالية التجريبية" ويحمل في طيات هذا تأثره بالفلسفة العلمية الواقعية. كما تأثر بأفكار تشارلز بيرس Charles Pearce بالإضافة إلى الكثير من المربين والفلاسفة، كما ساهم في تأثيره عوامل أخرى في العالم الجديد.

يرفض ديوي العقلانية المتعالية Overly Rationalistic وينادي بالنظرية التجريبية Empirical theory أن تكون منبعاً للقيم. ويعتبر من أنصار التجربة ومهمة العقل هي ترقية الحياة والتفكير وظيفته خدمة الإنسان وقيمة النتائج الاجتماعية والفردية من أفعال الإنسان فهي مقياس الخير والشر ومعيار الخطأ والصواب.

¹ - محمد عاطف عنت وأخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1

يرد ديوي الضمير إلى المجتمع كما يجعل الأخلاق إجتماعية وبتالي نحسن تربية الفرد، وبتالي نقيس الأخلاق بنقص في التربية. هكذا فالأخلاق عنده جماعية وليست فردية لأن المسؤولية الخلقية هي حصاد البيئة داخل نفوسنا.¹

لقد أمن ديوي أن القيم الأخلاقية هي أمور إنسانية تتبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض، وليست أخلاقا متعالية تفرض عليه هذا الاعتقاد. يجعل ديوي تخالف الأديان السماوية والنظريات الأخلاقية القديمة التي تنادي بالحياة الروحية وتحقيق سعادة الفرد بتصفية النفس وتركيز العقل. إن ديوي يؤمن أن المصدر الحقيقي للأخلاق هي التجربة والخبرة.

على ضوء هذا نجده أسس مدرسة في شيكاغو سنة 1896، وقد إتخذها مدرسة ابتدائية نموذجية، يمكن فيها أن نقوم بالتجارب الميدانية ووجوب إتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بالخبرات في البيت أو المجتمع، هكذا يمكن أن يتعلم التلميذ من خلال نشاطه الذاتي وحرية التعبير عن نفسه وبتالي يؤكد ديوي على أن التربية عملية إجتماعية.

ظهرت مدرستان الأولى تنادي بأن الأخلاق تتبع من الباطن حيث تطهير النفس وتصفية القلب والثانية ترى أن الإنسان ثمرة البيئة. أما مذهب ديوي يرى أن سلوك الفرد هو تفاعل بين الإنسان وبيئته أي بين الطبيعي والإجتماعي، وعلم الأخلاق وثيق الصلة بعلم الفيزياء وعلم الأحياء (البيولوجيا).

يرى ديوي أن الفضائل والردائل عادات تجسد قوى موضوعية، وهكذا يغير المفهوم التقليدي للإرادة فهي ملكة مستقلة إذا مورست، فإن صاحبها يمكن أن يفعل ما يريد ولا يمكن فصل الإرادة والعقل عن العادة. ويعتقد البعض أن النظم الإجتماعية

¹ - سناء خضر، الخبرة الجمالية عند جون ديوي، مرجع نفسه، ص256

ناتجة عن عادات فردية، لكن ديوي يرى أنها مصدر معلوماتنا عن العادات، تشبه فلسفة ديوي الأخلاقية فلسفة جيمس وهي بالضرورة عقلية وحررية وإنسانية Liberal and humanistic. حسب ديوي صدق الاعتقاد على نتائجه ونهتم بالمستقبل الذي يتبث قيمة النتائج.¹

يمكن القول أن التربية الدينية مرت عبر محطات متنوعة فقد كان علم الأخلاق الإغريقي التقليدي أرسقراطيا في الأساس، وكانت التربية بدائية ومتجهة نحو الرياضة ثم ظهر السفسطائيين وعلى رأسهم "بروتاغوراس Protagoras" الذي يرى أن جميع الناس يتلقون من التربية ذلك الدرس الأخلاقي الأساسي، الذي لا إمكانية للحياة الإجتماعية بدونه لاشيء إذن يحول دون إكمال تلك التربية. فقد كان من أوائل المربين يقول: "أنا أقر بأنني سفسطي وبأنني أربي البشر"². لقد صرح أن التعليم هو فن وأن كل شيء يمكن أن يعلم.

يطرح "سقراط Socrates" سؤال هل الفضيلة واحدة؟

يجيب الفضيلة علم والإنسان الفاسد لا تتغلب عليه اللذة بل الوهم الذي يجعله يرى في اللذة خيره الحقيقي، أما أفلاطون فقد أثبت أن مشكلة التربية الأخلاقية ملازمة للمشكلة السياسية، فالفضيلة لا تعمل في المدينة الحاضرة الظالمة والفاصلة يقول أفلاطون Platon: "لا تستخدم العنف مع الأولاد إعمل لكي تكون التربية لعبا بالنسبة إليهم، فتكون أجذر بأن تكتشف إستعدادات كل ولد لطبيعته. يجب دائما أن نتهم الوالدين أكثر من إتهامنا الأولاد والمربين أكثر من التلاميذ."³ يربط أصل التربية بالبيئة الإجتماعية.

¹ - المرجع السابق ، ص259

² - أوليفيه ربول، فلسفة التربية، ترجمة جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، سنة1986، ص76

³ - المرجع نفسه، ص76

إن ما قاله أفلاطون وتوحيده للمعرفة والفضيلة وتصوره للإنسان الذي يعرف يسلك سلوكا فاضلا، والجاهل يقع في الرذيلة أي أن الإنسان لا يفعل الشر عن معرفة لكن الواقع غير ذلك فالكثير من الناس مثقفين لكنهم يفعلون الشر رغم معرفتهم للأخلاق.

فالمسألة هنا تتطلب حضور تربية دينية وقد هاجم ديوي النظرية التي ترى أن الأحكام الخلقية ما هي إلا إنفعالات تعبر عن واقع حقيقي معين، في كتابه "نظرية القيم" يقول ديوي: "إن الأحكام الخلقية كما يشرحها أصحاب هذه النظرية تشير مباشرة إلى موقف حقيقي وبطريقة غير مباشرة، إلى موقف في المستقبل يرجى أن يحقق النتيجة المطلوبة."¹ هذه النظرية الأخلاقية تفصل بين الإنسان والبيئة وتربطه بعالم بعيد عنه وبذلك تستطيع أن تتحكم فيه وتملي إرادتها عليه، فالأخلاق ليس لها ميدان منفصل يسمو على الخبرة الإنسانية ويعلو عليها.

نلمس عند أرسطو Aristotele الروح اللاتوجيهية في علم التربية أما علماء اللاهوت من الكاثوليكين أو البروتستانتين كانوا مجددين في التربية. إن علم التربية و الكلاسيكية هو المطالبة ببعض القيم الفكرية والجمالية والأخلاقية التي لا وجود للتربية بزوالها.

يقول دوركايم Durkheim في كتابه "التربية الأخلاقية": "إن العقوبات لا أثر لها في المجتمعات البدائية، لقد إعتبر رئيس من شعوب سيو أن البييض متوحشون لأنهم يضربون أولادهم."² يشير إلى إبعاد العقاب عن الولد لأنه لا يجدي نفعاً معه، فالتربية هي الأساس.

¹ - محمد لبيب النجيجي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981، ص323

² - أوليفيه ربول، فلسفة التربية، مرجع سابق، ص109

إذن لا نستطيع العيش خارج معتقدات نؤمن بها ونمشي على خطاها وخلف كل تصرف تكمن فكرة، ولهذا فالتربية الدينية متصلة مباشرة مع الإنسان منذ صغره فالمربي تحدد سلوكه وجهة معينة عن التربية.

يقول ديوي: "إن كل تربية تقوم على مشاركة الفرد في الوعي الإجتماعي للجنس البشري وتبدأ هذه المشاركة تقريبا منذ الولادة لا شعورية، ثم تظل تشكل قوى الفرد بصورة مستمرة بتغذية شعوره وتكوين عاداته وتهذيب أفكاره وتنمية مشاعره وإنفعالاته.¹

حسب ديوي العملية التربوية يشارك فيها جانب نفسي و جانب إجتماعي يرتبط بالمجتمع وكلا الجانبين متصلين عضويا. إذن ما الأسس التي إعتدها ديوي لتقويم التربية الدينية؟ وما منطلقاته التي بنى عليها فكرته؟ هل إقتصر على الدين أم إقترح بديلا له.

¹- مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط10، سنة1986، ص504

المبحث الثاني: الأسس والمنطلقات التربوية الديوية بين الواقع والمستقبل

توطئة:

تطورت التربية الأمريكية في بداية القرن العشرين وإلى الأربعينيات منه خاصة مع جون ديوي، الذي إنتقلت أرائه خارج أمريكا إلى أوروبا وإلى روسيا واليابان وبلدان العالم، وقد جاءت أرائه في وقت مناسب إقتصادي وإجتماعيا وسياسيا، فكانت الحاجة الماسة إلى نظام تعليمي يوحد ولا يفرق بين الفقير والغني أو المتفوقين بل يجمع الكل تحت لواء المدرسة.

أصبحت المدرسة الثانوية الأمريكية Highschool لا تقتصر على التلاميذ فقط بل أصبحت في إتصال مباشر، مع المجتمع تقام فيها النشاطات الإجتماعية والرياضية والفنية هكذا إختلفت عن المدراس الثانوية في أوروبا، وقد وضع برنامج يعد الأطفال للمدرسة الإبتدائية Headstart ويخبرهم في إختيار مواد التعليم ولتربية ديوي صفات مهمة:

- على المعلمين معرفة تلاميذهم وكيف ينمون
- إعداد المتعلمين للحياة الحاضرة الراهنة في بيئتهم وبهذا فإن التربية عند ديوي هي الحياة وليست إعداد للحياة.

تلعب التربية في القرن الحادي والعشرين دورا إنسانيا مميزا فهي علم عقلي مرتبط بحياة الناس وبفكرهم ومشاعرهم وحتى معتقداتهم الدينية، كما أنها تهتم بالمجال التربوي الذي يساهم في بناء الأفراد والمجتمعات البشرية والتقدم الحضاري وتطوره.¹

¹- نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، سنة 2004، ص7

التربية الدينية الديوية:

لكل مجتمع فلسفة حياتية تختلف عن المجتمعات الأخرى ورغم تشابه ثقافات العالم إلا أنها تختلف في المضمون، وتتمثل فلسفة التربية في المجتمعات البشرية في مجموعة الأفكار الكلية العامة والمبادئ الكلية التي تحدد نمط الحياة التي يريد الإنسان أن يحيها.

الفلسفة هي العلم الذي يستعين به الإنسان من أجل التوجيه في إعادة بناء المبادئ والمفاهيم التربوية، كما تساعد المربين والمعلمين في قضية تحديد الأهداف الهامة للتربية وتحليلها وتنظيمها، وإستنباط وسائل عملية جديدة تتفق مع الأهداف العامة للتربية والتي تستمد خلفيتها من ثقافة المجتمع.

إن غاية التربية إصلاح الفرد لأنه المكون الأساسي للمجتمع فهو ينشأ في وحدة إجتماعية هي الأسرة فالمدرسة فالمجتمع فالدولة. التربية هدف ووسيلة تهتم بالفرد لتحقيق غايات مستقبلية مختلفة وتصورا إلى إصلاح الأسرة والمجتمع.¹

بعض النظريات التربوية تهدف إلى خلق فرد يتناسب مع الظروف الإجتماعية كالنظرية أفلاطون المثالية، التي حاولت خلق إنسان متعلم يشغل المكان المناسب له وهناك من نادى بتسخير التربية نحو تحرير طاقات الفرد الطبيعية مثل نظرية روسو.

ومنهم من دعى إلى إعداد إنسان قادر على زيادة سعادته في العالم وإعتبر العمل الوسيلة للسعادة الإنسانية فهذا رأي جيمس ميل James Mill، أما وليام جيمس

¹- فوزية الحاج علي البدرى، التربية بين الأصالة والمعاصرة، مفاهيمها، أهدافها، فلسفتها، دار الثقافة، عمان

الأردن، ط1، سنة 2009، ص15

William James يقول: " التربية عملية تنظيم قوى البشرية التي عند الفرد بشكل يضمن له حسن التصرف والتكيف في عالمه الإجتماعي والمادي."¹

أما ديوي فقد إعتبر طبيعة الإنسان المادة الخام للتربية والمدرسة، فالتربية عند علماء النفس تهدف إلى إكتساب التلميذ مجموعة من المهارات السلوكية والعادات الفكرية والإتجاهات، فالجانب النفسي مهم للتربية والتفكير التربوي فلسفة تهتم بالإنسان في علاقاته مع العالم المادي والحياة الإجتماعية، والمدرسة تتأثر بالبيئة فهي تخضع لعوامل المجتمع والإقتصاد والسياسة والثقافة، لكن هل يمكن التكلم عن ديمقراطية في التعليم؟

تعرف الديمقراطية التعليمية السماح لكل ولد مهما تكن جذوره المجتمعية وأن يصل إلى أعلى مستوى ثقافي عام، وأن يحمل الصفة المهنية الملائمة ذوقه وقابليته ومؤهلاته. هذا يعني أن نتيج لكل طالب الوصول إلى أبعد ما تستطيعه مؤهلاته تحقيقه في حياته، بحيث نعلم أن كل الديمقراطيين بعد "فيكتور هيجو Victor Hugo" أكدوا أن الولد الذي نعلمه هو رجل ننقده. هكذا فكل فرد ملزم أن يحترم الإنسانية ويبقى الإختيار الديمقراطي هو مجتمع سياسي وأخلاقي معا.²

كانت العصور القديمة تهتم بالتربية البدنية والخلقية، أما القرون الحديثة فكل مدارسها كانت أماكن تنشئة عقلية وخلقية ومجتمعية، تعد الطالب على حياة الغد لكي يصبح مخترعا وعالما مجابها الحقيقة، ونبعث عن الطرائق والوسائل التي تمكننا من الإنتفاع بحصيلة الماضي ومواجهة المسائل الجديدة. والتربية لا يمكنها التطور إلا بالإستفادة من الوضع العلمي الذي تعطيه وسائل التقدم بصورة عامة.

¹-أوبير رونييه، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دط، سنة 1967، ص12

²- غاستون ميالاريه، مدخل إلى التربية، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط4، سنة 1985

يقول روسو في كتابه إميل: "ابدأوا بمعرفة تلاميذكم لأنكم بكل تأكيد لا تعرفونهم"¹ الولد كائن حي يعيش في وسط ما، ومعرفته الحقيقية تتناول وجوده العضوي ونفسيته وبيئته التي يعيش فيها، فالمربي يجب أن يعرف مختلف مراحل النمو ويوسع معارفه السيكولوجية التي تكشف له حقيقة الطفل من الجانب الأخلاقي والاجتماعي والنفسي.

التربية الحقيقية هي التي تؤمن التلاحم ومشاركة الطفل والتي تثير حيوية خلاقة وخصبة يكون نقطة إنطلاقها، فالولد يعبر من خلال الحركة عن حقيقة ذاته وعلى حد تعبير القديس توماس الإكويني Thomas Aquinas: "ليس في ذهن الإنسان شيء لم يمر أول الأمر بالحواس." ويمكن أن نعبر بطريقة أخرى الإنسان لا يمكنه أن يمر إلى بالعمل كما يقول جون بول سارتر Jean Paul Sartre: "في نظرنا العمل عريف الذات فكل حركة ترسم صوراً جديدة على الأرض، وكل تقنية وكل آلة هي معنى مفتوح على العالم."² إذن بفضل العمل سواء كان مادياً أو ذهنياً تتسرب الفكرة والمعرفة والمبدأ إلى ذات الفرد لتصبح جزءاً منها هكذا يكون العمل ترسيخ المكاسب الخارجية في داخل الشخصية ترسيخاً حقيقياً.

يرى ديوي أن التربية الكلاسيكية تعتبر المعلم ينبوع المعرفة الوحيد فهو يقرر البرامج والطرق ويلقن، لكن التربية المعاصرة تهتم بالتلميذ وتخلق له مناخات ثقافية يبرز فيها مهاراته وقدراته وإبداعه. فالتلميذ يجب ألا يتعود البحث عن حلول المسائل التي تطرحها الحقيقة أو الوسط أو المدرسة، بل يجب أن يتعود تجاوز المعلومات التي تلقاها مباشرة لكي يسيطر عليها وأن يخلق بنفسه أدواته المعرفية والطرق التي توصله إلى هدفه.

¹ - المرجع نفسه، ص128

² - المرجع نفسه، ص162

لكن الحياة المعاصرة تقتضي معارف معينة في مواجهة هذا العالم الذي تزداد صعوبته يوما بعد يوم وفي ملائمة أجوائه المختلفة المناخات، ذلك أننا لم نعد في زمن كان يكفي فيه قليل من التفكير لإيجاد حلول لأكثر المسائل المطروحة يوميا. إننا في عصر تراكتت فيه المشكلات، إذن فالإمتناع عن تعليم التلميذ هو خيانة لرسالة المربي ويشترط أن يحب المربي تلاميذه فيصبح متعلقا به.¹

لكن هذا الولد ليس صنعة المربين فحسب فالعائلة يقع في مسؤوليتها أن تضم جهودها إلى جهود المربين، لإعطاء الطفل تربية ذات قيمة وملائمة تعتبر الحياة المدرسية من مستلزمات التطور السيكولوجي الصحيح عند الولد، فهي تبت فيه بعض التشددات المحركة والعملية والذهنية والمجتمعية. فالولد الذي يلفت إنتباهه غالبا إلا جديد والذي يحركه مظهر التقنية، يفقد تدريجيا حيويته المدرسية التي تلبس سريعا بمراسيم الطقوس الدينية.² التربية جزء من الوجود الإنساني كاللغة والعلم ولكن لا معنى لها بدون تربية وقد قال كانط Kant: "الإنسان لا يستطيع أن يصبح إنسانا إلا بالتربية." كما يقول هورس مان Horse Man: " لكل إنسان يولد في هذا العالم حق طبيعي في التربية."³

يمكن أن نتساءل عن معنى كلمة طبيعي وما علاقتها بالحق؟ وهل المقصود ملاحظة واقع أم أمر أخلاقي أم التعبير عن شعور ما التربية الأخلاقية؟

الإجابة عن التساؤل أن نجعل الناس يتصرفون أخلاقيا، لقد عرض كبار الفلاسفة مشكلة التربية، وجعلوا منها موضوعا رئيسيا لتفكيرهم رغم إختلاف مناهجهم بين المثالي والمادي والعقلاني والتجريبي.

¹- المرجع السابق، ص174

²- المرجع السابق، ص210

³- أوليفيه ربول، فلسفة التربية، مرجع سابق، ص9

التربية الخلقية والمدرسة الديوية:

يرى ديوي أن التربية التقدمية أساس التربية البراغماتية وترتكز على الطفل كمحور في العملية التربوية، ومراجعة المناهج التربوية حسب حاجات العصر والغرض من التربية هو الإرتفاع المتدرج نحو الوصول إلى إثبات المطلق كما لا يمكن الإستغناء عن المربي لأنه يعمل على تهيئة الجو المناسب للمتعلم.

فما التربية التقدمية عند ديوي؟

تقوم على محاولة الكشف عن مجالات النفع في الأشياء التي تحترم الإنسان مع إخضاع كل شيء للتجربة المادية، فلا توجد مثل أو قيم روحية ثابتة وموجودة قبل أن يوجد الإنسان لكي يدين بها. والتجربة هي أساس النفع أو الباطل لتصرفات وسلوكيات الفرد، وتعتمد الفلسفة التقدمية على العقل في حل المشاكل كما تؤكد على الإعتماد على النفس وهدف التربية هي التربية نفسها.

يرى ديوي أن التربية الخلقية ضرورية للطفل لكنها ترتبط بمعيار التجربة وليس بمعيار الدين، وهناك معالم تربوية تعتمدها الفلسفة التربوية تهتم بالحاضر وتعتمد على التجربة ولا يمكن وضع خطة تربوية مستقبلية لأنها لا تنفع، فوظيفة التربية تكمن في حل المشاكل الإجتماعية، فالطفل محور العملية التربوية والمعلم موجه.

التربية الخلقية تقوم على الممارسة الفعلية للنشاط الخلقى وتخضع للتجريب بقطع النظر عما يوحي به الدين وتوحي به الشرائع السماوية، فالمدرسة يجب أن تكون صورة صادقة للمجتمع الذي توجد فيه.¹

يعتقد ديوي أنه لا تخضع المدرسة للمؤسسات الدينية كيف ذلك؟

¹- تركي رابح، النظريات التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، سنة 1982، ص 140

مصدر المعرفة حسب ديوي من الخبرة والتجربة والبراغماتية فلسفة عملية أداتية وتجريبية ووظيفة العقل عملية غايتها صلاح الفرد والجماعة وتقدمهما. تتلخص نظرية التربية عند ديوي كظاهرة طبيعية في الإنسان، وتتم لا شعوريا عن طريق المحاكاة يحكم وجود الفرد في المجتمع، أما التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل ومطالب المجتمع، إذن التربية نتيجة لعلم الاجتماع وعلم النفس.

ينبغي أن يتعلم كل فرد كيف يعيش وسط هذه البيئة الحضارية التي توجد فيها هذه العملية من التعلم هي التي تسمى تربية. الفرد كائن إجتماعي يكتسب عادات وتقاليد وأساليب التفكير والمثل العليا فيحملها ثم ينقلها في حياته.

إن التربية هي السبيل إلى تجديد الحياة الإجتماعية وإستمرارها، والبيئة الإجتماعية هي وسط يتحقق فيه التربية مثل الماء يعيش فيه الأسماك وعلى هذا يتعلم الطفل اللغة والأخلاق ومعايير الجمال. فالمدرسة هي البيئة التي تهيئها ليعيش الطفل وظائف المدرسة في المجتمع. والبيئة بسيطة يفهم الطفل منها الحياة الإجتماعية كونها مركبة من نظم ثقافية وسياسية ودينية. يتصور ديوي أن المدرسة تساهم كثيرا في تكوين التربية الدينية وتحقق أهداف:

- خلق مجتمع خالي من الشر تساهم المدرسة في غرس الخير فيه
- المدرسة هي المكان الذي تلتقي فيه كل أفراد المجتمع بتقاليدهم وعاداتهم ومعتقداتهم
- توحد ولا تفرق وتجعل الفرد يشارك في المستقبل في حياة الجماعة
- تعتمد المدرسة على نشاط التلاميذ وإشراكهم في العمل حتى يفهموا الحياة الإجتماعية.¹

¹- تركي رابع، النظريات التربوية ، ص154

تهدف التربية إلى تحقيق سيطرة إجتماعية في المجتمع للأفراد فالمدرسة والأسرة والمؤسسات كلها تساهم في تلقين الفرد مفاهيم وعادات معينة.

فالمدرسة ليست مجتمعا كاملا ولكنها تقدم خدمات مختلفة في مجال التربية والتعليم يقول ديوي: "كان على المدرسة أن تجعل هدفها هو هذا الحاضر الذي يعيش فيه التلميذ، وأن تستغله كل إستغلال مؤمنة أن هذا الإستغلال سيؤدي ولا شك إلى مستقبل أفضل."¹

إذن لا يمكن للمدرسة تحقيق أهدافها كاملة فالتلميذ الذي يعاني من المرض أو الجوع يبقى ناقصا، للإندماج في العملية التربوية لهذا يجب أن يكون مبدأ تكافؤ الفرص والديمقراطية لكل التلاميذ بدون تمييز.

يرى ديوي أن من أسباب إخفاق بعض النظريات التربوية في عصرنا هو إغفال حقيقة أن المدرسة مجتمع صغير على منوال المجتمع ككل، فهناك من يعتبر المدرسة مكان لتلقين الدروس والمعلومات التي تفيد الطفل مستقبلا. لكن ديوي يرفض هذا التصور وقرر أن المدرسة شكل من الحياة الإجتماعية وليست إعداد للمستقبل.

يقول ديوي: "التربية هي الحياة، وليست إعداد الحياة مستقبلة، وإعتقد أن المدرسة يجب أن تكون ممثلة للحياة الإجتماعية، الحياة الواقعية الضرورية التي يحيها الطفل في المنزل وفي البيئة المحيطة به وفي اللعب مع زملائه."²

إذن يقر ديوي أن التربية عملية مستمرة لا تتوقف عند المدرسة بل تستمر مدى الحياة، فالتربية وجدت قبل إنشاء المدارس.

¹ - محمد ليبب النجحي، الأسس الإجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، سنة1981، ص 76

² - جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ترجمة عبد العزيز عبد الحميد، ومحمد حسن الخزوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ج1، سنة1949، ص20

أكد ديوي أن علم النفس وعلم الاجتماع يساهمان في تحقيق أهداف التربية حيث يقول: "إن ما يشغل بالي هو علاقة علم النفس بالتربية"¹. تكمن أهمية هذه العلاقة في أن السلوك الإنساني هو موضوع علم النفس ووظيفة التربية إجتماعية.

إهتمت المدرسة التقليدية في التربية للقراءة والكتابة والحساب فقد نادى ديوي بالأدائية أي أن المعرفة شيء نعمله، فلا يوجد انفصال بين الجانب النظري والتطبيقي وقد جاء علم النفس بنظرية التعلم التي تهتم بوجود ممارسة ما نتعلمه وإرتباط التعلم بالنجاح في الأداء.

إهتم ديوي بالتربية التقدمية التي تعتمد على التفكير والخبرة لتفعيل مهارات التعلم وقد إهتم في نظريته التربوية باللعب والعمل والمهن. يرى أن من رجال التربية الذين أدركوا مدلول اللعب في إكتشاف ميول الطفل وإتجاهاته هما أفلاطون قديما وفروبل حديثا، أما العمل فقد رأى ديوي أن التربية التي تربط التعلم بالعمل سوف تحل محل تلك التربية السلبية التي تفصل عملية التعلم عن غيرها من الأشياء.²

إذن المهنة ضرورية لمشاركة الفرد في الحياة الإجتماعية ومن خلالها يظهر التلازم بين حاجات الناس في المجتمع. يقول ديوي: "المهنة تجهز الطفل بدافع حقيقي وتعطيه خبرة مباشرة وتهيئ له الإتصال بالأمور الواقعية."³ بمعنى المهنة تصبح أدوات للفهم عند الطفل خاصة مع نموه وبتالي يكتسب خبرة تساعده في حياته، ويتعلم من خلال التجربة هذا نوع من التعلم يندرج ضمن العملية التربوية.

¹-جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، دار التأليف، القاهرة، مصر، سنة1966، ص42

²- جون ديوي وإفلين ديوي، مدارس المستقبل، مصدر سابق، ص206

³-جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، سنة1978، ص44

أخذت الأخلاق مكان واسع في فلسفة ديوي لأنه ذو نزعة إجتماعية وعناية كبيرة بالجمهور ومشاكله، والمدرسة هي التي تساهم في النمو الأخلاقي عند الطفل فهو لا يؤمن بالأخلاق المتعالية والمتجاوزة للخبرة.

إذن التربية حاجة ووظيفة إجتماعية تقوم ببناء الأخلاق لهدف التعليم والضبط في المدرسة. فقد ظهرت حركات ومذاهب أخلاقية مثل الرواقية stoicism ومسيحية الرهبان monastic christianity وحركات دينية معاصرة خاصة في ألمانيا مع أواخر القرن الثامن عشر، حيث يرى كانط Kant أن الإرادة الحسنة هي الخير الأخلاقي الوحيد.

كما نجد التعاليم السقراطية الأفلاطونية توحد بين المعرفة والفضيلة فتزعم أن الإنسان لا يعمل الشر عن معرفة بل بجهله للخير. إن الصفة الأخلاقية والصفة الإجتماعية للسلوك شيئاً واحداً لهذا وجب أن تكون حياة المدرسة حياة إجتماعية وأن يكون التعلم في داخل المدرسة متصلاً بالتعلم في خارجها.

يمكن القول أن أهم مشكلة للتربية الأخلاقية في المدرسة هي مشكلة العلاقة بين المعرفة والسلوك، وتبقى القيم الأخلاقية أمور إنسانية تتبع من الحياة التي يعيشها الإنسان وليست أخلاقاً متعالية ومصدرها الخبرة والتجربة. فالفرد يكتسب قيمة الأخلاقية وضميره الأخلاقي عن طريق خبرته وتفاعله مع بيئته المتمثلة في أخلاق المجتمع، فهي لا تتبع من الذات أو الضمير أو العقل لكنها تكتسب نتيجة تفاعل الفرد. بهذا تبقى أعمال الفرد أخلاقية عندما تساعده على نموه الكامل وحل مشاكل المجتمع وتحقيق المصلحة العامة.¹

¹-جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ص380

تحاول التربية على محافظة وإستمرار ثقافة المجتمع أي القيم، فالتربية معيارية في أساسها، أي تحكمها قواعد أخلاقية تستمد وجودها ومعناها من القيم التي تنظم حياة الناس، والتربية تسعى للمحافظة على حياة الفرد من خلال تنمية قيم الطفل الصغير في المدرسة.

المدرسة مؤسسة إجتماعية تعمل على تربية النشء والتحكم في المجتمع الذي سيسود في المستقبل، فالمدرسة تقوم بواجبها الأخلاقي الذي تنمي في الطفل الصغير الذكاء وتزيد من قدرته الفكرية والعقلية. فإذا كان النمو هو الهدف الأخلاقي فإن عملية التربية تصبح عملية أخلاقية وتصبح الأخلاق عملية تربوية وبتالي فالأخلاق هي التربية وليس لها ميدان إلا الخبرة الإنسانية. إذن الأخلاق تفاعل الإنسان مع بيئته الإجتماعية فإذا كان المستوى منخفض فهذا راجع إلى أن التربية الناتجة عن هذا التفاعل تربية ناقصة.¹

حاول ديوي تطبيق المنهج العلمي على القيم الحق، الخير، الجمال من خلال رفضه لرد المثل والمبادئ والقيم إلى سلطة خارجية، فهي ليست من وضع الفلاسفة كما قال المثاليون ولا وليدة المجتمع كما قال الوضعيين ولا هي من وحي السماء كما يرى رجال الدين، وإنما تنشأ المثل العليا من الإنسان وظروف عيشه ومحيطه وبيئته.

ينفي ديوي وجود مبادئ ثابتة في الدين أو السياسة أو الأخلاق أو القيم لهذا يريد فكرة الإصلاح الذي يغير كل شيء، ولا يهتم بالحقائق أو القيم في ذاتها لأنها أدوات نجاح في الحياة ووظيفتها مساعدة الإنسان في حياته. كما يرى جيمس أن الحق كورقة النقد تظل صالحة للتعامل حتى يثبت زيفها.²

¹ محمد ليبب النجبي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة1981، ص382

² عبد الله موسى، مقدمات في فلسفة القيم، بواكير النشأة وأفاق التواصل الأنطولوجي، دار القدس العربي، وهران

الجزائر ، ط2، سنة2011، ص89

يقسم ديوي القيم إلى نوعين: القيم الذاتية (intrinsic values) والقيم الدرائعية (instrumental values) ويمكن أن نصنف بوجه عام نواحي القيمة في الحياة لهذا التصنيف فائدته من حيث إحاطته بالأهداف، هذا ما يكسب التربية سعة ومرونة. فالقيم ومعاييرها هي قضية خلقية متعلقة بتنظيم مصالح الحياة ومن ناحية التربية إنما تعني بتنظيم المدارس وتوسع الخبرة.¹

يرى ديوي أن للقيمة معنيين فالمعنى الأول يقوم على تقدير الشيء أما المعنى الثاني فيقوم على عمل فكري متميز أي عمل يقوم على وضع قيمة له، إذن الأول موضوعي والثاني ذاتي، وقد عرف الإهتمام بأنه عملية خلاقة موضوعية شخصية.²

يمكن القول أنه خلاق لأنه يرتبط بنشاط وموضوعي لأنه يرتبط بشيء ما وشخصي لأنه شعور بقيمة تنبع من الباطن، فالإهتمام مرتبط بمجال القيم أكثر من إرتباطه بالمجال التربوي وأهم الفلاسفة الذين عالجوا مسألة الإهتمام كانط Kant وهربرت Herbert وبيري Perry والذي بنى نظريته في القيمة على أساس من الإهتمام.

ينتقد ديوي نظرية "بيري" لأنها تنظر إلى الإهتمام بعيدا من سياقاته الوجودية وتضع كل الإهتمامات في مستوى واحد، إذن الإهتمام ليس نقيض للمجهود لكن له علاقة بالرغبة واللذة وبالأفكار والمجهود، لهذا فإن المدرس الذي يفسر رغبة الطفل على أنها نهائية ومعياري ختامي هو العدو الأول للإهتمام حسب ديوي.

¹ -جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ص258

² -جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، دط

سنة1966، ص62

إذن التربية البراغماتية تركز على العمل الذي ينتج القيم والأخلاق، فلا وجود لحقائق مطلقة ولا يوجد قيمة ثابتة. فالنشاطات اللاصفية تبين الفروق الفردية بين المتعلمين مثل الجانب الرياضي والثقافي والفكري، لهذا يؤكد ديوي على عدم معاقبة المتعلم بل نعالج المشكلة ونعزز الحالة، يجب علينا تشجيع السلوك الحسن ومكافئة الطفل.

إن تعاون الأسرة مع المدرسة في معالجة مشكلة الطفل ضروري وعنصر الإهتمام مطلوب من طرف الجميع، فالمعلم يعزز ويوجه والتغيير المستمر ضروري ومهم. فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الفردية، لهذا كيف توظف ديمقراطية التربية داخل المجتمع؟ وما العلاقة التي تجمعهما؟

علاقة الديمقراطية بالتربية:

يرى ديوي أن الديمقراطية لا تقتصر على الجانب السياسي بل تضمن الجانب الاجتماعي والأخلاقي يقول: "ليست الديمقراطية مجرد شكل للحكومة، وإنما هي في أساسها أسلوب من الحياة المجتمعة والخبرة المشتركة المتبادلة".¹ تحقق عدالة إجتماعية. إذن ما علاقة الديمقراطية بالتربية؟

التربية ضرورية لحياة الإنسان والديمقراطية ضرورية للحياة الحديثة يقول ديوي: "الحياة الحديثة تتطلب الديمقراطية".² يقصد أن الحياة الجديدة تتطلب حكما ديمقراطيا وبتالي فالتربية والديمقراطية وجهان لعملة واحدة هي الحياة وهكذا أصبح يؤمن بهما.

¹- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة متى عفرابي و زكريا مخائيل، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، مصر، ط2 ، سنة1954، ص90

²- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مصدر سابق، ص74

المجتمع الأمريكي له تعدد في الأجناس والديانات والثقافات وقد حصل تغير كامل بين سنتين (1837، 1850) في مجال الصناعة والتجارة والزراعة، وتأسست مدارس المعلمين الحكومية ومدارس المعلمين المحلية وجمعيات المدرسين.

يقول ديوي: "إن المجهود الذي بدل في الستين عاما الأخيرة من القرن التاسع عشر قد نجح في بناء العقل الديمقراطي ونجح في تمهيد الطريق وإعداد الوسائل اللازمة لما يحتاج إليه الذكاء والتفكير الحر".¹ إن تحرر العقل يجعله منتجا ويؤدي وظيفته الإجتماعية فالتربية التقليدية الكلاسيكية لم تسمح للطفل بالحرية في العملية التربوية، أما الحديثة سمحت للتلميذ بنوع من الحرية من خلال تعديل أساليب التعليم مثل اللعب والمهن يقول ديوي "الأطفال في المدارس ينبغي أن يسمح لهم بالحرية حتى يعلموا معناها".²

يعني ديوي بأن التربية تقوم على إحترام الشخصية الإنسانية ومعاملة الطفل على أنه غاية في ذاته والتربية تعمل على تنمية العقل وتعمل على تفعيل الحرية، لهذا فإن أفراد المجتمع الذين يتمتعون بالحرية تساهم التربية في بناء مجتمع مفتوح يستخدم المعرفة لبناء ضرورية حياة ديناميكية مرنة. إن حرية الفرد تكمن في حسن استخدام الذكاء والعقل لضبط النفس، والغرض الأسمى للتربية هو خلق القدرة على ضبط النفس وتنمية التفكير التأملي، وإستغلال الذكاء وجعل التعلم وسيلة للتفكير هكذا يتكون مواطن حرا وبتالي مجتمع حر.

تهدف التربية في المجتمع الديمقراطي إلى تحقيق القيم والمبادئ والأفكار وتنمية قدرات الفرد كونه أساس بناء المجتمع، فالمجتمع الديمقراطي هو الذي يتبنى الحرية الإيجابية ويتيح التربية الصحيحة للأفراد كما أنه مجتمع يؤمن بأهمية العلم في تمرير

¹ - المصدر نفسه، ص75

² - جون ديوي وإفلين ديوي، مدارس المستقبل، مصدر سابق، ص334

الحياة الإنسانية وتقدمها. المجتمع الأمريكي يتيح الفرصة التعليمية لأفراد العنصر الأبيض بينما يضع العراقيين أمام العنصر الأسود فأى ديمقراطية يتكلم عنها؟

ينبغي على المجتمع الذي يؤمن بالديمقراطية طريقة لحياته وأسلوب لعمله أن يمارس التربية الديمقراطية، في مؤسساته الإجتماعية التي تشمل الأسرة والمدرسة وأماكن العبادة. فالمجتمع يعني الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد في شكل وحدات جماعية، ويكون معلما للفرد في إتجاهات مختلفة ويحتوي المجتمع على مؤسسات إجتماعية.

تعتبر العبادة من أهم المؤسسات كونها تلعب دورا هام في المجتمع، فالدين له أثر واضح في نفوس الأفراد ويساهم في تربية الفرد وتكوين شخصيته وهذه القيم تساهم في إثراء التربية الدينية وتحقيق سعادة الفرد والمجتمع.¹

لهذا يتصور ديوي مدرسة ديمقراطية يعيش فيها الكل متعاونين لتحقيق هدف مشترك بعد وفاة وليم جيمس سنة 1910، أصبح ديوي رئيسا للمدرسة البراغماتية الأمريكية وعرفت فلسفته بأفكاره الثنائية ومقياس النجاح هو التنافس. في كتابه "الديمقراطية والتربية" لم يقد النظرية الفردية كما عبر عنها "روسو" في كتابه "إميل" أو نقد النظرية الإجتماعية كما جاءت عند "هيغل وفيخته" بل بدافع عن مجتمع ديمقراطي تتوازن فيه قيمة الفرد والجماعة وتقاس الديمقراطية حسب مبدئين:

- مدى إشتراك جميع الأفراد في المصالح

- مستوى الحرية التي يتصل فيها الفرد بالجماعة

¹- منير المرسي سرحان، في إجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981، ص228

يرى ديوي أن معظم الأديان تحمل أثرا سلبيا لأنها تفصل بين الناس وتصنفهم في فئات أي تمارس تميزا دينيا لا يمكن للنظام الديمقراطي أن يقبل به. فجميع مدارس التربية القديمة كانت أساليب تصاغ الحياة على أساسها، فالكنيسة إستعملت الأمور الدينية عندما إعترضتها المشاكل، لهذا نجد التربية التقدمية تخدم الفرد والمجتمع من خلال:

- التعرف على النفس البشرية مع إدراك طبيعتها

- إيجاد المنطلق الصحيح للتطور الإجتماعي

يعتقد ديوي أن ميول ورغبات التلميذ تشكل محور الإهتمام في التربية التقدمية فهي الموجه للمناهج الدراسي ومقرراته، كما تمثل قيمة التربية في الخبرة المكتسبة عند الطفل لهذا فإنها تربية تهتم بالطريقة أكثر من الهدف والنمو هو الهدف العام للتربية كما أن الديمقراطية تعتمد على التربية وتتطلب حرية الفرد، إذن من أهم أهداف التربية البراغماتية مشاركة الفرد في ثقافة مجتمعه وحضارته.¹

التربية البراغماتية تحضر الشباب للحياة ولثقافة المجتمع وأن يعيش التلميذ في المدرسة حياة واقعية ذات هدف تربطه مع بيئته يقول ديوي: "إن المدرسة مكان يذهب إليه الأطفال ليكشفوا نمطا معيناً للحياة، وعلى هذا يجب أن تختلف المناهج باختلاف المكان والزمان."² بما أن ثقافة المجتمع متغيرة ومتطورة يجب تهيئة التلاميذ لهذا الوضع إذن يجب أن نهتم بطريقة المشروع، لأنه فيه عمل الجماعة وتعلم التجربة ويكسب الخبرة فعندما تتوفر الحرية والديمقراطية تنطلق الطاقات وتتحقق الحاجات وتنمو القيم الخلقية.

¹- المرجع نفسه، ص 57

²- منير المرسي سرحان، في إجتماعيات التربية، ص 58

مصادر التربية عند روسو هي الطبيعة والناس والأشياء، أما عند ديوي هي نمو التلميذ من خلال خبرته، وقد آمن روسو بأهمية الحواس في التربية حيث اعتقد أن تعلم "إميل" لمدة ساعة واحدة من العمل اليدوي يكون أكثر فعالية من الدراسة النظرية لهذا التعليم اليدوي ينمي القدرات العقلية.

يقول ديوي: "إذا رجعنا إلى أصل كلمة تربية Education اللغوي وجدنا أن معناها مجرد عملية القيادة والتنشئة، أما إذا فكرنا في عملية التربية من ناحية نتائجها فلا بد لنا أن نقول إنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، ثم صب لها في قوالب معينة أي تحويلها إلى عمل إجتماعي مقبول لدى الجماعة تم يضيف فالتربية إذن عملية رعاية وتهذيب وتنقيف.¹ يؤكد ديوي في قوله على التعريف بالتربية يختلف عن عملية التربية التي يندمج تحتها عنصر الرعاية بالفرد وتهذيبه وغرس ثقافة المجتمع فيه، إنها تساعد على تكوين النظرة العقلية كما أنها وسيلة فعالة لإحداث التكيف مع التغير الثقافي. فالتعليم نوع من الثقافة أو يعتبر تربية حرة لكن تدريب المحامي والطبيب والفلاح والتاجر يعد فنيا وحرفيا خالصا، وهكذا ينقسم الناس إلى مثقفين وعمال، لكن كيف رتب ديوي مراتب التربية؟

لقد ربط ديوي التربية ترتيبيا فهي ضرورة بيولوجية ثم وظيفة إجتماعية ثم وسيلة توجيهية ثم عامل نمو، لينتقل بعدها إلى معالجة المقارنة بين التربية التقليدية والحديثة أو التطورية على الشكل:

التربية ضرورة بيولوجية Education as a necessity of life

التربية وظيفة إجتماعية Education as social function

التربية بماهي نمو Education as growth

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ص11

التربية بما هي كفاية ذاتية وإجتماعية Education as self and social competence يقول ديوي: " التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة الذي يزيد في معناها وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية".¹

أي أن الخبرة قاعدة تقوم على أساس التربية ويقول أيضا: " سنستعمل كلمة الخبرة في نفس المعنى الزاخر الذي تتصف به الحياة". فالتربية هي الخبرة وبتالي فهي الحياة هناك مبدئين ضروريين عند ديوي حول الخبرة يقول: " قد حاولت أن أبرز حاجتنا إلى مثل هذه النظرية بلفت النظر إلى مبدئين أساسيين في تكوين الخبرة ألا وهما مبدأ التفاعل ومبدأ الإستمرار".²

أ- مبدأ التفاعل: يعيش الفرد في بيئة مادية وإجتماعية يؤثر ويتأثر وهكذا تتكون لديه الخبرة عن طريق التفاعل، فالإصلاح التربوي الذي قدمه ديوي يعني أن المدرسة وجدت من أجل الطفل وليس العكس، حتى وإن لم تكن هذه الفكرة أصلية بحيث دافع عنها "روسو rousseau" إلا أنها أصبحت مع ديوي إجتماعية وتجريبية.³ فالخبرة فاعلة ومنفعلة وقيمتها تقاس بالعلاقات.

ب- مبدأ الإستمرار: يعتبر المبدأ الثاني للخبرة أو تواصلها expérientiel continuum أي كل خبرة تؤثر في خبرة أخرى مستمرة دائما يقول ديوي: " الحق أن كل خبرة يجب أن يكون لها شأن إلى حد ما في إعداد الشخص لخبرات تالية من نوع

¹- المصدر نفسه، ص79

²-جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة محمد رفعت رمضان ونجيب إسكندر، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، ص20

³- المصدر نفسه، ص41

أعمق وأوسع أفقا، وهذا هو عين المعنى المقصود من نمو الخبرة وإستمرارها وإعادة بنائها.¹

يقول ديوي: "نحن لا نستطيع إدراك النتائج إلا بسبب وجود الخبرات السابقة." بمعنى أن مبدأ الإستمرار يشكل معيارا نفصل به بين الخبرات التربوية وما يضرها حيث يقول ديوي في موضع آخر: "إن الإعتقاد بأن التربية الصحيحة إنما تتحقق عن طريق الخبرة، لا يعني أن كافة الخبرات لها قيمة تربوية حقيقية أو أنها تتساوى من هذه الناحية."² تبقى عملية التربية نمو متواصل غايتها زيادة القدرة على النمو في الحياة والإستمرار والتفاعل لهما أهمية في تبين الخبرة التربوية الحقيقية التي تأخذ طابعها الإنساني.

تؤدي الخبرة التربوية إلى النمو الذي هو إكتساب خبرات جديدة تتصل ببعضها لتكون شخصية الفرد، أكد ديوي أن النمو لا يحقق هدف بل يزيد في النمو نفسه وهكذا يعارض المدرسة التقليدية، التي ترى أن نمو الطفل في مرحلة معينة يجب أن يتجه لتحقيق أهداف في الكبر، أي أن النمو يكون مستمرا دائما أي يكون نماء *Growing* وليس نموا *Growth* حسب ديوي ففي الكلمة الأولى معنى الإستمرار بإستمرار الحياة. إذن هدف التربية النماء المستمر والطفل يعيش في الوقت الحاضر ويتعلم معرفة أساسية تمكنه أن ينميها وتصبح قدرة في المستقبل. فالنمو عملية مستمرة يتعلم فيها الطفل خبرات تربوية تساهم في نجاح حياته، وهكذا يستطيع أن يحتفظ بخبراته السابقة

¹ -Gerad Deledalle, *l'idée d'expérience dans la philosophie de jhon dewey*, paris, 1967, p194

² - محمد جديدي، *فلسفة الخبرة جون ديوي*، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان ، ط1، سنة 2004 ص242

وينقلها إلى خبراته المستقبلية، وبالتالي يكتسب العادات وينمي ميوله وشخصيته ويستمر النمو في الحاضر والمستقبل أي العملية التربوية هي النمو المستمر.¹

يعرف ديوي الديمقراطية بقوله: "الديمقراطية هي تحرير العقل للعمل المنتج المستقل تحريرا يجعله يؤدي وظيفته على أنه عضو له كيانه وفرديته."² أزمة التربية هي أزمة الحضارة بكاملها والديمقراطية لا تعمل إلا في أحضان التربية ومن شأن التعليم الإلزامي أن يجعل المجتمع ديمقراطيا ولا نقصد المساواة السياسية فحسب، بل المساواة الإجتماعية أي تكافؤ الفرص فالنقد الإنساني يكون عن طريق التربية.

يتجلى الدور السياسي للتربية ودورها في البناء الديمقراطي في قوله: "من الحقائق المألوفة تعلق الديمقراطية بالتربية والتعليل السطحي، لذلك أنه يتعذر النجاح على الحكومة القائمة على التصويت العام ما لم ينال الأفراد الذين ينتخبون حكاهم ويولونهم الطاعة نصيبا من التربية."³

دور التربية الأول تحرير الإنسان من ألوان القهر والإستغلال والغزو الثقافي ويتم هذا بسعي التربية الديمقراطية، إلى بناء إنسانية الإنسان الكاملة وتغيير العالم من خلال تغيير الفرد والنهوض الإجتماعي والثقافي والسياسي ينطلق من النهوض التربوي. عندما نقول أن التربية وظيفة إجتماعية ترمي إلى توجيه النشء وتنميتهم بإشراكهم في حياة المجتمع الذي ينتمون إليه، كقولنا أن التربية تتغير بحسب نوع الحياة الذي يسود المجتمع. يمكن الإشارة هنا إلى إعتقاد أفلاطون بأن التربية تنشأ من المثل التي تقدمها المؤسسات والعادات والقوانين وتكون في حكومة عادلة، ووظيفة التربية إكتشاف إستعدادات الأفراد وإثرائها وتدريبها على النحو الذي يضمن إتصالها بأعمال

¹- محمد لبيب النجبي، مقدمة في فلسفة التربية، ص120

²- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مصدر سابق، ص65

³- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ص96

الأخرين فالغاية النهائية للحياة ثابتة عند أفلاطون والتربية الصحيحة ممتعة الوجود حتى توجد الحكومة المثلى.

لقد كان لأفلاطون تأثير كبير في روسو Rousseau فهدف التربية تكوين المواطن، لا الرجل كما حاول بستالوتزي Pestalozzi تحقيق التربية الجديدة التي ينتظر منها خلف مجتمع جديد يتوقف على فعاليات الدولة القائمة.

إن فكرة النمو التي إتصفت بها مثالية المؤسسات الإجتماعية institutional idealism حسب فلسفة هيغل Hegel جاءت توضح فكرة تحقيق شخصية الفرد على وجه الكمال وفكرة الخضوع النظامي الخالص للمؤسسات القائمة، ونجد كانط Kant يعرف التربية أنها العملية التي بها يصير الإنسان إنسانا.

فالإنسان بدأ تاريخه مغمورا في الطبيعة وهي لا تزود الفرد إلا بالبذور التي تنميها التربية وتبلغها الكمال وما يميز الحياة الإنسانية الصحيحة، هو أن على الإنسان أن يخلق نفسه بمجهوداته الصادرة عن محض إرادته وأن يجعل نفسه كائنا خلقيا عاقلا حرا وهذه الجهود الخلاقة إنما تتم بالتربية على مر الأجيال.¹

يعتقد فيخته Fichte وهيغل Hegel أن وظيفة الدولة الأساسية، هي التربية لهذا كانت ألمانيا أسبق دولة للعمل بنظام التعليم الإجباري العام في مدارس عامة يمتد نطاقها من المدارس الابتدائية إلى الجامعة.

يمكن القول أن المجتمع يكون ديمقراطيا بمقدار ما يعده من العدة لإشراك جميع أعضائه في خيراته على قدم المساواة وبمقدار ما يكفل لمؤسساته التكيف بتفاعل صور الحياة الإجتماعية المختلفة. لقد إتخذ أفلاطون الطبقة وحدة إجتماعية وليس الفرد، كما

¹- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص108

أن الفردية التي صاحبت الفكر التنويري في القرن الثامن عشر تضمنت فكرة مجتمع له سعة الإنسانية والفرد فيه أذات التقدم.

في القرن التاسع عشر إتخذت الحكومة القومية وسيلة للهدف الإجتماعي وأعدت من جديد فكرة إخضاع الفرد إلى المؤسسات الإجتماعية. إن التربية في حد ذاتها ليس لها هدف لكن أصحاب الأهداف هم الأباء والمعلمين وهكذا لا نهاية لتنوع أهدافهم فهي تختلف باختلاف الأطفال ونموهم.¹

تبقى الديمقراطية أذات التربية في بناء مجتمع ديمقراطي فالنظم التربوية التي تستند إلى مبادئ ديمقراطية، تعتبر نظاماً ضرورية ومهمة لبناء مجتمع عصري تسود فيه مبادئ وأخلاقيات وممارسات الديمقراطية، ويتحقق فيه مبدأ تكافؤ الفرص لجميع أفراد المجتمع وظهور الديمقراطية وتطورها عبر التاريخ يدعم ويؤكد أهمية النظرة الإجتماعية للتربية. إن الديمقراطية التربوية تتجسد في التوزيع العادل لخيرات التربية والتعليم بين أفراد المجتمع، بهذا فالديمقراطية إطار إجتماعي تنمو فيه التربية على أسس الحرية والعدل والمساواة.²

مشكلة التربية في المجتمع الديمقراطي هي القضاء على ثنائية التربية الحرة والتربية العملية وسن منهاج للدراسة من شأنه أن يجعل الفكر مرشداً للحياة العملية الحرة. يقول ديوي: "يكون المجتمع ديمقراطياً بمقدار ما يعده من العدة لإشراك جميع أعضائه في خيراته على قدم المساواة، ولا بد أن يكون لمثل هذا المجتمع نوع من التربية يغرس في أفرادهِ روح الإهتمام الشخصي بالعلاقات والسيطرة الإجتماعية."³

¹ - المصدر نفسه، ص121.

² - نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، سنة2004، ص90

³ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص102

التربية الدينية خبرة إجتماعية:

تطورت التربية الأمريكية في بداية القرن العشرين بفضل أفكار جون ديوي والتي إنتقلت إلى الكثير من أقطار العالم، وقد عمل أستاذ للفلسفة والتربية في جامعة شيكاغو حيث أنشأ أول مدرسة تطبيقية ليختبر عمليا آرائه التربوية. لقد جمع ديوي في نظرياته بين تيار علم النفس التجريبي وتيار علم الإجتماع التطوري، وجعل المدرسة تعد الفرد عن طريق الخبرة ليكون عضوا إجتماعيا في تطوير البيئة، فهو يتصور التربية كعمل ونشاط في الحياة الإجتماعية وإعتبر المجتمع جهاز معقد التركيب يصعب فهمه. أراد تحويل المدرسة إلى صورة مبسطة للحياة الإجتماعية عن طريق " طريقة المشروع" التي تعود جذورها إلى "روسو Rousseau" الذي دعى إلى إستخدام المشروع لمرحلة المراهقة في كتابه "إميل" وإلى "فروبل Frobel" الذي وضح أهمية النشاط الذاتي وأشار إلى كيف نستفيد من الهدايا في كتابه "تربية الإنسان" وإلى بستالوتزي Pestalozzi الذي قدم تعليم الأشياء والمحسوسات على الكلمات والأقوال .

إعتمد ديوي على أسس نفسية وإجتماعية تستند عليها التربية الحديثة وتتجلى الأسس النفسية على مبدأ الإهتمام بطبيعة المتعلم، وإعتبره محور العملية التربوية ومبدأ النشاط الذاتي والتعلم عن طريق العمل ومبدأ الحرية. أما الأسس الإجتماعية فأهمها إعتبار المدرسة مؤسسة إجتماعية، فهي الحياة نفسها وأنواع المشروعات نوعان مشروع فردي وجماعي وهناك أربعة خطوات تحدد طريقة المشروع هي: الهدف *purposing* التخطيط *planning* ، التنفيذ *executing*، التقويم *evaluation*¹ .

¹- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مصدر سابق، ص590

يؤكد ديوي على طريقة المشروعات Project method وطريقة حل المشكلات problem solving method وتقوم هذه الطريقة على:

- وجود مشكلة نابعة من ميول التلميذ
- وجود غرض في ذهن التلميذ يدفعه
- القيام بنشاط متعدد الألوان عقلي وجسمي وإجتماعي
- يسود الموقف التعليمي جو طبيعي إجتماعي ديمقراطي يؤدي إلى النمو الفردي والإجتماعي
- الحكم والتقييم

يقوم المشروع على أساس سيكولوجية التعلم التي تعتبر الفرد كائنا حيا له قدراته ومعرفته، كما له خصائص خلقية تنمو وتتكون خلال خبراته في البيئة الإجتماعية فالطفل يقوم بتجارب شخصية مع أصدقائه، وهكذا يكون التفاعل بين البيئة الطبيعية والإجتماعية وتوظيف مهارات مختلفة حركية حسية عقلية.

طريقة المشروع تشبع حاجة المتعلم النفسية لأنها تراعي الفروق الفردية وتدفعه إلى التعلم الجماعي، عن طريق الملاحظة والتجربة وتحرره من قيود الكتاب المدرسي.

إن سيطرح الطفل تساؤلات مختلفة كيف يعمل هذا؟ لماذا نعمل هذا؟ هذه الأسئلة التجريبية هي التي تساعد على الفهم والتحليل وحل المشكلات العملية والإبتعاد عن طريقة الحشو بالمعلومات، فالأصل في التعليم غرس المنهج العلمي في التفكير.¹

¹- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص365

إن طريقة المشروع أهم طريقة يكتسب بها الطفل الكثير من الخبرات والمهارات أما وظيفة المدرسة فهي مساعدة التلاميذ على توسيع دائرة معارفه، وتميز طرق التدريس التي يؤمن بها جون ديوي في:

- مساعدة الفرد على بناء الخبرة وإستمرارها
- ربط خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها
- مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ مع مراعاة قدراتهم
- الإعتماد على طرق التدريس والعمل على إيقاظ قدرات التلاميذ العقلية وتشجيعهم على الإبداع

- التعليم الفعال يظهر عندما يشعر التلميذ بالفرحة ويهتم بالدراسة

- طريقة المشروع وحل المشاكل حيث تكون مشكلة ويعني المشروع الديوي:

- * وجود مشكلة تتبع من ميول وحاجات التلميذ
- * هدف واحد يدفعهم للقيام بحل هذه المشكلة
- * وضع خطة للقيام بنشاطات متعددة عقلية وإجتماعية وجسمية وإشباع حاجة التلاميذ
- * يسود الموقف التعليمي جو ديمقراطي يؤدي إلى النمو الفردي والإجتماعي
- * لا يقتصر مجال التعليم على الصف بل خارج المدرسة إذا إقتضت الضرورة.¹

¹ فوزية الحاج على البديري، التربية بين الأصالة والمعاصرة، مفاهيمها، أهدافها، فلسفتها، دار الثقافة للنشر والتوزيع الأردن، ط1، سنة 2009، ص 237

مع نهاية القرن التاسع عشر إهتم المربيين الأمريكيين بالتدريب اليدوي في المدارس الابتدائية لأنه ينمي القدرات العقلية، لكن ظهر إتجاهان مختلفان فمنهم من يرى أن الطفل محور العملية التربوية والإتجاه الثاني يرى أن المادة محور العملية التربوية وقد أصدرت رابطة التربية الأهلية national education association عام 1894 تقريراً حول مناهج المدارس الابتدائية.

ضمن هذا الصراع تدخل جون ديوي وقدم رأيه في كتابه "الطفل والمنهج" سنة 1912 حيث تطرق إلى الطفل في جانب وإلى الأهداف الإجتماعية وقيم الراشدين في جانب آخر، وهكذا فرق لنا ديوي بين مدرستين الأولى تهتم بالنظام والمدرسة و الثانية تهتم بالميلول. إن فكرة الطفل مركزاً للعملية التربوية بدأت مع "روسو" ثم تناولها "بستالوتزي" ومن بعده "فروبل" وبعدهم طورها ديوي.¹

أسس المدرسة التجريبية ليطبق فيها آرائه التربوية وأنشأت خمسون مدرسة في أمريكا ويرى أن الثورة الصناعية حطمت الروابط الأسرية والإجتماعية، فالمدرسة تقدم إلى الطفل خبرات حيوية واقعية ونشاطات يكتسب منها المهارات ويتعلم الأخلاق ويطبق آرائه في الواقع.

فالمدرسة نتاج المجتمع فهي ليست جزءاً من الحياة الإجتماعية ولكن هي الحياة الإجتماعية، والهدف الأساسي من المدرسة هو توجيه وتدريب التلاميذ على الحياة وإنتشرت آراء ديوي في أمريكا وأدخل فكرة المشروع التي تقول أن العمل الكامل ينتج عن حاجة الفرد وحله لهذه المشكلة.²

¹- أحمد سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط10، سنة 1986، ص491

²- المرجع نفسه، ص494

الحياة المثمرة هي التي تسعى إلى تحقيق أهدافها وهذه الأهداف إجتماعية والمواطن يبحث عنها، لقد عارض ديوي أستاذه "وليم جيمس William James" الذي أسس لمذهب التعدد والكثرة، بينما ديوي كان ينادي بالواحدية ولا يؤمن بثنائية العقل والجسم ولا المادة والروح، كما أن تصوره للتربية هدفها تعاون الفرد مع مجتمعه وإستبعاد كل المفاهيم الميتافيزيقية.

يعتقد ديوي أن الطفل الذي نربه فرد إجتماعي والمجتمع وحدة متكاملة من الأفراد فإذا أسقطنا العامل الفردي من المجتمع أصبح جمهور بغير حياة، لهذا يجب أن تنظر التربية إلى قوى الطفل وإهتمامه. فالمدرسة هي صورة الحياة الإجتماعية والتربية عملية إجتماعية فهي تمثل الحياة والطفل في المدرسة يتعلم كل أنواع النشاط ويضمن نمو سليم كما يكتسب قيما ترتبط بحياته المنزلية.

والتربية الخلقية تحصل لطفل من خلال وحدة من العمل والفكر في المحيط المدرسي ودور المعلم ليس فرض أرائه وتكوين عادات معينة، بل يعاون الطفل على أن يتعلم نظام الحياة ويحقق تربية أخلاقية، إنه خادم إجتماعي ومساهم في إرساء الحق والعدالة يقول ديوي: "المدرسة هي أولا مؤسسة إجتماعية والتربية في أساسها عملية إجتماعية، فالمدرسة صورة الحياة الجماعية التي تهئ الطفل إلى المشاركة في ميراث الجنس وإلى إستخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الإجتماعية، لذلك كانت التربية عملية من عمليات الحياة وليست إعداد لحياة مستقبلية."¹

ترتبط التربية بالطفل والمدرسة لكن قبلها الأسرة ثم البيئة الثالثة المجتمع لكن التربية لا تقتصر على الطفل، فقط وإنما تشمل الراشد أيضا فهي عملية مستمرة عن طريق خبرة الحياة كما يرى أفلاطون Platon في كتابه الجمهورية تكوين الإنسان

¹ - المرجع نفسه، ص 503

يتطلب خمسين سنة. فالتربية هي العمل الذي يحول كائنا إنسانيا أن ينمي إستعداداته الجسدية والفكرية، كما ينمي مشاعره الإجتماعية والجمالية والأخلاقية في سبيل إنجاز مهمته كإنسان ما إستطاع إلى ذلك وهي نتيجة هذا العمل.

ما الذي يميز التربية عن التعليم؟

إن كلمة Education في اللغة الإنجليزية معنى ضيق وتعني التعليم المدرسي وعندما نتكلم عن الأسرة نستعمل كلمة Bringing up وهذا يعني أن فلسفة التعليم Philosophy of Education لا تهتم إلا بالتعليم. لكن التعليم الأنجلوساكسوني هو فكر عملي وقد أشار "وليم جيمس" في كتابه "أراء إلى المعلمين" في قوله: "يتحتم عليكم أن تدركوا أن مهمتكم المهنية تقوم خاصة وأساسا في تنشئة سلوك تلميذكم...متخذين كلمة سلوك في معناها الأوسع، إذ تتطوي على جميع أنواع الإستجابات المطابقة للظروف التي قد تؤدي به إليها مصادفات الحياة".¹

فالسلك ينطوي على حقل الأعمال الإنسانية كله، فالتعليم يلقي أما التربية تكتسب بطريقة عمل أخرى لدى المعلم، يقول أفلاطون: "أعني بالتربية الفضيلة التي يكتسبها الولد أولا".² وقد أشار أرسطو Aristotle إلى دور الأسرة التي أغفلها أستاذه أفلاطون وهنا نجد رأي "جان بياجيه Jean Piaget" القائل: "أن الولد لا يتعلم في أسرته سوى علم أخلاق إلترام وخضوع لقاعدة هي مقدسة بمقدار ما هي غير مفهومة".³

¹- أوليفه ربول، فلسفة التربية، ترجمة جهان نعمان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، سنة 1986، ص16

²- المرجع نفسه، ص17

³- المرجع نفسه، ص18

تحمي الأسرة الولد وتربيته فتوشك دائما أن تجعل منه قاصرا مستمرا، إن غاية التربية تنشئة الإنسان، إما بواسطة الأسرة أو المدرسة أي بالتعلم يصبح الإنسان مثقفا. كما تتحمل مسؤولية التربية الأسرة والمدرسة والتعليم الديني والمربي لا يكون في المستوى المطلوب، إذا لم يتصف بالأخلاق والشجاعة وروح المواطنة يقول ديوي: "لا يكفي الإنسان أن يكون صالحا بل عليه أن يكون صالحا لشيء ما."¹

يساهم المعلم في التنشئة الكلية للطفل يقول ديوي: "إن نظرة ضيقة وأخلاقية في علم الأخلاق هي التي تحول دون إدراكنا أن جميع الأهداف، وجميع قيم التربية هي أخلاقية في حداثتها."² فالتربية تنطوي دائما على تحقيق قيمة أخلاقية والإنسان لا يولد مع الأخلاق بل يصبح له أخلاق ترتبط بالتربية. تهتم الحياة بحل تناقضات المذاهب بين المجتمع كهدف والولد كهدف بين علم التربية المثالي وواقع التربية، وبين ضرورة تربية أخلاقية وإستحالتها في الواقع وبين الطفل المعتبر كراشد مستقبلا والولد المعتبر كولد. فما الإنسان لكي يتحتم علينا أن نربيه؟ وهل يتطلب منا تربية دينية؟

يبقى الإنسان كائن يجب صنعه سواء طفلا أو راشدا، وتربيته الحقيقية هي تنشئة راشد مثقف وطفل حر مهذب.³ نذكر ما قاله "هربرت سبنسر Herbert spencer" "التربية إعداد للحياة الكاملة" كما أكد على الطرق التي تدرس بها المواد خاصة التربية العقلية والخلقية والدينية، ويركز على التربية الخلقية التي تكون لنا الفرد والمجتمع.

¹- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص359

²- المصدر نفسه، ص360

³- أحمد سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، مرجع سابق، ص439

التربية الدينية و المدرسة الديوية:

يفرق ديوي بين الدين والتدين، فالدين قوة غيبية ويمكننا التعرف على الأشخاص المتدينين الذين لهم تجارب دينية تظهر من خلال الشعائر والطقوس، ولا وجود للدين بصفة المفرد وإنما يوجد أديان مختلفة. أما التدين فهو ظاهرة إجتماعية تصطبغ بثقافة الحضارة، فالفرد ينشأ في جماعة لها تقاليد وعقائدها.

يرى ديوي أن الأديان لها ميراث من الطقوس والعقائد ولهذا فالعلم ضروري لتجاوزها والتحرر منها، ويرفض قبول فكرة الإله المنفصل عن العالم ويقبل الإله الذي يمثل الخبرة الإنسانية، فالتجربة الدينية حقيقية يستمدّها من ثقافة الفرد وعقائده وهي تقع عند بعض الناس في أوقات معينة كجزء من تيار الخبرة.¹

يدعو ديوي إلى الدين الطبيعي أي دين الإنسانية يقول في كتابه "إيمان مشترك" "نحن الذين نعيش الآن أجزاء من إنسانية تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، وهي إنسانية قد تفاعلت مع الطبيعة. إن الأمور العزيزة علينا في الحضارة ليست من صنع أيدينا ولكنها موجودة ثمرة العرق والدموع للجماعة الإنسانية المتصلة والتي تكون حلقة من حلقاتها"².

يشير ديوي إلى الدين الإنساني ويقصد المسيحية التي تقوم على ثلاث دعائم هي الإيمان والطقوس والكنيسة، أما الإسلام فيقوم على دعامين هما الإيمان والطقوس أو الاعتقادات والعبادات، يحاول ربط الدين بالتربية كونهما يجتمعان في الفرد ويدفعانه إلى تكوين وخبرة وتجربة تحقق تربية دينية مستقبلا.

¹ -جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، سنة 1959

² - John Dewey, **Common Faith**, Henry Hort, new Haven, by Yale university press, u.s.a, 1934,p50.

يبرر ديوي موقفه من خلال قوله: " مهمتنا هي مسؤولية حفظ تراث القيم الذي تلقيناه، ونقله وتعديله ونشره حتى يتسنى لخلفنا أن يتسلمه أصلب عودة وأكثر أمنا وأيسر تناولا وأعظم إنتشارا مما تلقيناه. وفي هذا تقوم جميع العناصر لإيمان ديني لن يقتصر على فرقة أو طبقة أو جنس، وقد كان مثل هذا الإيمان في صميم القلوب الإيمان المشترك لبني الإنسان، ويبقى اليوم أن ينتقل هذا الإيمان المشترك من السر إلى العلن ويتخذ سبيله إلى التحقيق.¹ يتصور ديوي أن الإيمان هو الميل نحو العمل فهو منبع العقائد والعمل.

إذن يقنعنا ديوي أن الدين إنساني وليس إلهيا أو مؤلها، يبدو أن هذه النظرة الإنسانية غير التأليهية للدين هي نظرة البراغماتيين وعلى رأسهم وليم جيمس W.Jemes يعتقد ديوي أن التربية تبدأ لا شعوريا منذ الولادة وتشكل قوى الفرد بإستمرار وتكون عاداته وتهذب أفكاره وتنبه إنفعالاته هذه التربية تجعله يشارك في التراث الإنساني الحضاري.

فالتربية الحقيقية تنشأ من قوى الطفل نتيجة شعوره بمواقف المجتمع ولهذه العملية جانبان، أحدهما نفساني والآخر إجتماعي والجانب النفسي هو الأساس الذي ينطلق منه الطفل وتتضح ميوله ورغباته وغرائزه، ويهيئ للإتصال بالمجتمع والتوافق مع الحضارة يقول ديوي: " إني أعتقد أن الطفل الذي نريد تربيته فرد إجتماعي وأن المجتمع وحدة عضوية مؤلفة من أفراد، وإذا نحن أغفلنا العامل الإجتماعي من حساب الطفل بقينا أمام شيء مجرد، وإذا أسقطنا العامل الفردي من المجتمع لم يبقى إلى جمهور بغير حركة أو حياة.² يتضح لنا من قوله أن الجانب الإجتماعي مهم في تربية الطفل ولا يمكن تجاهله.

¹ - ibid,p56

² - جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ص 157

يعتبر ديوي مربيا وأستاذا في التربية وأكبر فلاسفة التربية الحديثة، حيث يرى أن عملية التربية لا تقتصر على المدرسة، بل في المنزل والعمل وفي الأماكن العمومية ولهذا ركز على عناصر في التربية هي:

- تعاون البيت والمدرسة على التربية والتوجيه

- التوفيق بين أعمال الطفل الإجتماعية والمدرسية والربط بين المدرسة والبيئة

يقول ديوي: "في عالم التربية يصبح الطفل الشمس التي على محورها تدور نظم التعليم والطفل وحده في مبادئ التربية هو مركز الجاذبية"¹.

يوضح لنا ديوي مكانة الطفل في العملية التربوية التي يعتبر محورها الأساسي ويقول أيضا: "الطريقة الوحيدة التي تعد الطالب للحياة الإجتماعية هي الإشتغال بأعمال إجتماعية، فإذا قلنا أن الطالب يستطيع أن يكون عادات إجتماعية بغير الإشتغال بأعمال إجتماعية فإن مثلنا يكون كمثل من يعلم الطفل العوم والسباحة بإتيان حركات فوق اليابسة بعيدة من نهر أو بحيرة أو بحر"².

يعتقد ديوي أن المدرسة مؤسسة إجتماعية تمثل صورة الحياة الجماعية ويجب أن تهتم بالحياة الحاضرة سواء في البيئة أو البيت، لهذا يرى أن التربية عملية للحياة وليست إعداد لحياة مستقبلية. إن التربية التي تبتعد عن صورة الحياة لا فائدة منها فهي تربية ميتة والمدرسة كمؤسسة يجب أن تبسط الحياة الإجتماعية الراهنة وتنمو من حياة البيت.

يرى ديوي أن سبب فشل التربية في العصر الحديث إهمال المبدأ الأساسي الذي يجعل من المدرسة صورة للحياة الجماعية، فهذه التربية جعلت من المدرسة مكان

¹- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، دس، ص11

²- المصدر نفسه، ص12

لتلقين معلومات معرفية معينة ودروس تركز التربية الخلقية على فكرة أن المدرسة لون من الحياة الإجتماعية، وأفضل تدريب خلقي هو الذي يحصل عليه الفرد في علاقته بالعمل يجب أن تكون حياة الجماعة هي السبيل إلى إثارة الطفل ورقابته في عمله، لهذا يشير ديوي إلى مهمة المعلم الذي يكمن دوره في أن يعرف كيف يخضع الطفل لنظام الحياة.

يعتقد ديوي أن الحياة الإجتماعية هي التي تقدم لجميع جهود الطفل وغاياته وحدته اللاشعورية وأساسها، لا يمكن أن تتوحد التربية بدراسة العلوم إلا إذا كانت تساهم في الحياة الإجتماعية وهذا نحو الخبرة وتجديدها. فالشعور في جوهره حركي وإندفاعي وأن الحالات الشعورية تميل إلى إظهار نفسها في حركة. والإنفعالات هي ردود أفعال وإذا حاولنا تنبيهها دون ما يقابلها من نشاط يؤدي إلى إيجاد حالة نفسية مرضية.

يقول ديوي "لو أمكننا غرس عادات حسنة في العمل والفكر تعتمد على الخير والحق والجمال لجرت إنفعالات في الطريق السليم من تلقاء نفسها، وأعظم شر يصيب التربية بعد الجمود والبلادة والشكلية والروتين هو العاطفة هذه العاطفة هي النتيجة المحتومة لمحاولة الفصل بين الوجدان والعمل.¹ فالتربية هي الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الإجتماعي وبها يستطيع المجتمع أن ينظم وسائله وموارده.

يرى ديوي أن المدرسة مؤسسة عميقة البعد عن سائر المؤسسات الإجتماعية الأخرى، فالتربية السليمة عملية تعد الطفل للإندماج في الحياة الإجتماعية والعملية التربوية لها جانب نفسي وجانب إجتماعي وكلاهما يساهم في تربية الطفل، ويجب الإهتمام به وبعاداته وطبائعه حتى يصبح فرد إجتماعي يساهم في بناء المجتمع.

¹ - المصدر نفسه، ص 172

إعتقد ديوي أن المدرسة هي أول مؤسسة إجتماعية والتربية عملية إجتماعية وبتالي فالمدرسة هي صورة الحياة الإجتماعية، فالتربية ليست إعداد الحياة مستقبلا وإنما هي عملية الحياة.¹

إن التربية الدينية تظهر كاللون من الحياة من خلال المدرسة التي تلعب دورا مهما في نقل وغرس الأفكار الأخلاقية لهذا يقول ديوي: " يجب أن تكون حياة الجماعة هي السبيل إلى إثارة الكفل ورقابته في عمله."² بمعنى مهمة المدرس لا تقتصر على تقديم الدروس والمعلومات ولكن يساهم في إخضاع الطفل لنظام الحياة، والإمتحانات التي تقدر درجة الطفل يجب أن تكون نافعة بقدر ما تختبر صلاحية الطفل في الحياة الإجتماعية.

جعل ديوي الطفل مركز للمدرسة ومحور العملية التربوية، حيث يرى أن نجاح المدرسة يرتبط بأنها شكل صادق من أشكال الحياة الإجتماعية النشطة، وأن المعرفة الجديرة بإسمها والتدريب الفعال يتطلب إشراك الطفل في مختلف النشاطات الإجتماعية فيصبح عنصر فعلا منتجا لهذا يقول ديوي: " أن المدرسة ليست إعداد للحياة ولكنها الحياة ذاتها."³ إذن التعلم يكون بالعمل والطفل والمنهج طرفان لعملية واحدة ووظيفة المدرسة أن تتخلى عن الجانب الكتابي، وتقدم نشاط يكتسب به الأطفال الأخلاق والمهارات عن طريق الحياة والعمل والحياة المشتركة التعاونية.

يرى ديوي أن العمل الكامل ينتج عن حاجة الفرد وحل المشكلة تتبع من الحاجة وقد عبر عن البراغماتية، بإصطلاحات مختلفة الوظيفية functionalism والعملية operationalism.

¹- إنطوان الخوري، أعلام التربية، حياتهم، آثارهم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، سنة 1964، ص 204

²- المرجع نفسه، ص 207

³- أحمد سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، مرجع سابق، ص 493

إن الطفل الذي نريد تربيته فرد إجتماعي فإذا أغفلنا العامل الإجتماعي من حساب الطفل بقينا أمام شيء مجرد، وإذا أسقطنا العامل الفردي من المجتمع لم يبقى إلا جمهور يغير حركة أو حياة، ولهذا يبقى على التربية أن تبدأ بالنظر إلى قوى الطفل وإهتمامه وعاداته.

إذن تبقى التربية الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الإجتماعي، فكل إصلاح لا يعتمد على قوة القانون، فهو عابر لا قيمة له إنها فردية لأنها تعترف بتكوين خلق معين على أنه الأساس الصحيح للحياة الصالحة.

يرى ديوي أن الحياة شيء مادي لكن نستعملها للدلالة على الخبرة experience بمعنى الحياة تشمل العادات والعقائد والمؤسسات التي تشمل الجماعة، والأطفال يولدون لا يعرفون شيئاً والتربية عمل تحتمه الضرورة وهذا يتطلب الإتصال بينهم.

يفرق ديوي بين التربية التي يكتسبها الفرد من الحياة مع غيره وبين تربية الأطفال المقصودة، فالنوع الأول طبيعي وعرضي والثانية مباشرة فمثلاً الجماعات الدينية نشأت أول مرة على الرغبة في إرضاء القوى العليا المسيطرة على الوجود ودفع الشر عن البشر، وكذلك الحياة العائلية نشأت بدافع إشباع الشهوات وتخليد الأسرة.¹ يقصد ديوي أن هناك أخطار تنشأ عن الإنتقال من التربية غير المباشرة إلى التربية المقصودة.

ترتبط التربية بالنمو فهي عملية رعاية وتهذيب وتنقيف فالطفل المحروق يخشى النار وكل لعبة يشعر فيها بالإحترق يتجنبها بصورة آلية، لهذا يوجد فرق بين التدريب والتربية وتبقى غرائزه مقترنة بأغراضها الأولى من اللذة والألم. فالطفل الذي ينشأ في أسرة متدينة لا بد أن تتحرك مشاعره وعواطفه نحو الدين، وهكذا نفهم أن البيئة

¹ -جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص 17

الإجتماعية تكون الميول العقلية والعاطفية في سلوك الفرد فالبيئة تؤثر في تكوين العادات اللغوية، والأداب الإجتماعية، والذوق السليم وتقدير الجمال.

إذا كانت التربية نمو فكل شيء يتوقف على طريقة إدراكنا لهذا النمو، إذ عملية التربية هي عملية مستمرة من التحويل وإعادة التكوين والتنظيم كما أنها ليس لها هدف غير نفسها.¹ إن الطفل والراشد كلهما مستغرق في النمو والفرق بينهما في أساليب النمو الملائمة للظروف المختلفة، التي يوجد فيها كل منهما فالتربية هي عملية تهيئة الظروف التي تتكفل بالنمو أو بالعيش الكامل بغض النظر عن سن الأفراد.

يجب علينا إحترام الطفل وتوجيهه توجها سليم في الحياة، لأن التربية تكون شخصيته من الناحية العقلية والخلقية، ويؤهله إلى الإستفادة من البيئة الإجتماعية التي تؤثر عليه مباشرة، فإذا نشأ الطفل في وسط وبيئة دينية تكون تربيته دينية مستقبلا.

يعتقد ديوي أن الإنسان يدرك الواقع بخبرته ورفض أن تكون الميتافيزيقا تحقق الحقيقة، فالتغيير جوهر الحقيقة التي تتولد من التفاعل بين الإنسان وبيئته لهذا لا يجب أن تنفصل المدرسة عن الحياة، وأن تستخدم المواقف الحقيقية والإبتعاد عن النظرية هذا يعني أن التربية تهدف إلى تعليم الفرد كيف يفكر حتى يستطيع أن يتكيف مع مجتمع دائم التغيير وبالتالي يجب على المدرسة أن تنمي لدى التلميذ خبراته في حياته.²

أخذ ديوي مدرسة إبتدائية نموذجية في مدينة شيكاغو سنة 1896 كحقل للتجربته ونظرياته وأرائه التقدمية في التربية، وفي سنة 1902 انضمت هذه المدرسة لكلية

¹ - المصدر نفسه، ص 62

² - محمد منير مرسي، فلسفة التربية إتجاهاتها ومدارسها، علم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2002، ص 191

التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية لها، لقد كان لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا خلال القرن العشرين.

أمن ديوي بمبدأ الواحدية monism ونادى بوحداية الجسم والعقل والروح فطبيعة الإنسان وحدة متكاملة لا فصل فيها¹، والمعرفة الحقيقية هي التي تساعد الفرد على تكيف بيئته وتطويعها لخدمة حاجاته وبتالي يبقى المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية الخبرة التي على مبادئ الأدوات الوظيفية إمكانية التطبيق والإستمرار.²

إذن الأخلاق ظاهرة إجتماعية تتوقف على حسن تربية الفرد يقول ديوي: "إذا كانت موازين الأخلاق منحطة، فذلك ناشئ من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الإجتماعية".³ لكن كيف رسمت ملامح التربية الدينية عند ديوي؟

ذكر ديوي في مقاله عقيدتي التربوية My pedagogy greed سنة 1897 أن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشر وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة. وتتم التربية لا شعوريا بحكم وجود الفرد في المجتمع كما أن التربية المقصودة تقوم على معرفة نفسية الطفل ومطالب المجتمع فهي ثمرة للعلم النفس والإجتماع.⁴ إن الهدف الأسمى للتربية يكمن في تحقيق إستمرارية التربية حيث تساعد الفرد في إستمرار تربيته ونموه وتكيفه مع بيئته وحياته، ويشارك التلميذ في التربية من خلال خبراته ونشاطاته، وقد ذكر ديوي في كتابه الديمقراطية والتربية ثلاثة موازين للأهداف التربوية السليمة:

¹- عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، سنة1999، ص616

²- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، سنة1975 ص339

³- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، سنة1968، ص136

⁴- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مصدر سابق، ص17

- الغرض التربوي يؤسس النشاط الداخلي للتلميذ وحاجاته
 - ترجمة الهدف إلى أعمال وخبرات دراسية تقوم على نشاط المتعلم
 - الربط بين الأهداف ووسائلها¹
- إن التربية حسب ديوي ليس لها هدف خارج عملية التربية نفسها، فهي عملية نمو وتفتح لشخصية الفرد، وهي أيضا عملية إجتماعية تهدف إلى تطوير المجتمع وتحسينه وأبرز مميزات المجتمع الديمقراطي هي الإيمان بالتطور والتحسين المستمرين والمدرسة وسيلة من أهم الوسائل لإصلاح المجتمع وتحسينه وإعادة بنائه.
- لقد طبق ديوي منهجه في مدرسته الابتدائية التي أنشأها حيث جعل الأطفال يبدؤون بالنشاطات التي كانوا قد ألفوها في حياتهم المنزلية واليومية ويصنفها إلى ثلاثة أنواع:
- الأنشطة والأعمال اليدوية التي تدور حول المهن الإجتماعية كالطبخ والخياطة يتعلم بها الخبرة
 - المواد التي تساعدنا على فهم الحياة الإجتماعية كالفن والتاريخ
 - الدراسات التي تنمي قدرة التلميذ على الإتصال القراءة والحساب
- تستمد عملية التربية أساسها ومناهجها وأهدافها من المجتمع وثقافته، فكل مجتمع له نوع من الثقافة التي هي وعاء للتربية، فالمدرسة عاملا فعالا في نقل ثقافة المجتمع إلى الجيل الناشئ عن طريق تعلم الخبرات وتوظيفها في خدمة الحياة مستقبلا.

¹- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص37

يعتقد ديوي أن هدف التربية هو التربية نفسها ومساعدة الفرد على أن يستمر في تربيته ونموه وتعلمه وتكيفه مع حياته. فالتكوين الهدف عنده ليس عملية سهلة بل عملية عقلية معقدة تتطلب وجود دافع ورغبته لدى المتعلم، كما يتطلب ملاحظة الظروف الموضوعية المحيطة به، ثم تأتي عملية الربط بين ملاحظته وما إسترجعه ومحاولة ترجمة الهدف إلى خطة وطريقة للعمل.

ينقد ديوي منهج المواد المنفصلة والتي تقوم على الترتيب المنطقي وهذا مالا يخدم تفكير الطفل، فالمنهج الحقيقي هو الذي ينبثق من نشاطات الطفل وميوله خاصة في المدرسة والنشاطات اللاصفية وتعلم المواد الأخرى التي تدرس وترتبط بالحياة.¹

يقول ديوي: "إن الحياة الإجتماعية للطفل هي الركيزة وليس المركز الصحيح للربط بين المواد الدراسية هو العلم أو الأدب أو التاريخ أو الجغرافيا، بل النشاط الإجتماعي الخاص بالطفل" إذن يتصور ديوي أن التربية هي الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الإجتماعي، كما يجب أن تبدأ التربية بالتبصر النفسي في قدرات الأطفال وإهتماماتهم وعاداتهم، فالمدرسة تعتبر الأدوات الرئيسية للتقدم الإجتماعي وبهذا فهي بحاجة ماسة إلى الإثراء والتغيير في المناهج التي تتماشى وفق تطلعات المجتمع.²

أنهى ديوي عقيدته التربوية بقوله: "ليست مهمة المعلم مجرد تدريب الأفراد بل تكوين الحياة الإجتماعية الصحيحة، وأخطر ما يهدد التربية خضوعها تحت رحمة الأهواء العاطفية."

¹- فوزية الحاج علي البدرى، التربية بين الأصالة والمعاصرة مفاهيمها، أهدافها، فلسفتها، دار الثقافة، عمان

الأردن، 1ط، سنة 2009، ص 236

²- أحمد سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، مرجع سابق، ص 507

يشير ديوي إلى أن المعلم هو مصلح إجتماعي دوره هام في بناء أجيال متميزة ويجب على المربي أن يبتعد عن العاطفة في التربية لأنها تهدد التربية الدينية.¹

إن عقل الطفل ينمو عندما تزداد خبراته من خلال تعامله مع البيئة التي يعيش فيها وتتاح له فرصة لإختبار أفكاره عن طريق تطبيقها وإكتشاف صحتها، لأن هدف التربية تنمية التفكير وإستغلال الذكاء وبتالي فهي تحقق حرية الطفل. والمجتمع الحر هو الذي يشترك أفراده في تحقيق المصلحة العامة، وبتالي بناء مجتمع متفتح ومتطور يستخدم المعرفة والإختراع والبحث العلمي.²

¹- جون ديوي، عقيدتي التربوية، مصدر سابق، ص 57

²- غاستون ميالاريه، مدخل إلى التربية، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط4، سنة 1985

يرى ديوي أن عملية التفكير عند الطفل تؤدي إلى ضبط النفس بواسطة الملاحظة والتذكر وعملية التعلم هي تعلم كيفية التفكير عند الفرد، وتبقى أفكار التربية عنده مرتبطة¹:

- التربية مرتبطة بالبيئة الإجتماعية وهي الحياة

- التربية تهتم بالخبرة والعمل والمهنة

- التربية تهتم بالحرية والديمقراطية

ينادي ديوي أن التربية هي الحياة نفسها وغايتها الطفل الذي له قيمة إجتماعية في الحاضر والمستقبل، والمدرسة هي صورة مصغرة للمجتمع يتعلم فيها حل مشاكله بديمقراطية، وتبقى المدرسة مؤسسة إجتماعية ترتبط بالحياة من خلال ربط التعليم بالعمل، إذن ديوي يعترف بمحو الدين من المؤسسات التربوية وتنمية النظرة الإلحادية هذه النظرة نادى بها ماركس Marx وإنجليز Engels إنه يتجه بفكرة المدرسة الملحدة.

لقد نظر ديوي بمنظار معاصر على أن التربية تعمل على جبهتين متصلتين المستوى الداخلي تسعى فيه التربية إلى تقليص التفاوت الإجتماعي إلى أذنى حدوده الممكنة وذلك بتهيئة الأفراد على قدم المساواة لمواجهة المستقبل، أما المستوى الخارجي مهمة التربية تولى العناصر التي تجمع الإنسانية وتكرس مبدأ التعاون والتواصل الدولي لقد صنع المجتمع الديمقراطي ديمقراطية ودافع عنها وأبرز الوسائل لإستمرار التربية.²

¹ -John Dewey, **Democracy and Education**, jim manis, the pennsylvania state university,2001,P97

² - لطفى حجاوي، التربية والديمقراطية، مرجع سابق، ص89

يرى ديوي أن التعليم نوع من الثقافة أو يعد تربية حرة، لكن تدريب المحامي والطبيب والفلاح والتاجر يعتبر فنيا وحرفيا خالصا، وهكذا ينقسم الناس إلى متقنين وعمال. وقد أشار ديوي إلى علاقة المدرسة بالطفل وتصور أن التربية التقليدية تقدم حاجات الطفل من الناحية الصحية والتربوية، لكنها لا تساهم في تنمية قدرات وميولات الأطفال وهذا الواقع الذي يعيشه الطفل في المدرسة التقليدية يجب أن يتغير نحو الأفضل. إذن إعتبر ديوي المدرسة بكل معادتها التربوية مصنوعة للإصغاء ومجال العمل فيها ضئيل، فعملية التعليم تكون عن طريق الحياة ومسألة التربية هي الهيمنة على فعاليات الطفل وإمدادها بالتوجيه.¹

لهذا يتصور ديوي مدرسة ديمقراطية يعيش فيها الكل متعاونين لتحقيق هدف مشترك، فهي تجمع بين الواقع والمستقبل الذي يعيشه الطفل ويحققه في حياته. وقد ربط الفن بالمدرسة وحاول توضيح أثر المدرسة وتطورها وما خلفته من آثار فنية وعملية إمتدت إلى الفترة المعاصرة، لكن أي مستقبل يريد أن يحققه ديوي ضمن المدرسة؟

يرى ديوي أن المدرسة محلا يعيش فيه الأطفال حقيقة ويكتسبون فيه خبرة حياتية يجدون فيها معنى، كما أن الدافع الفني عند الأطفال مرتبط بصورة رئيسية بالغريزة الإجتماعية التي تعني الرغبة في التحدث والتمثيل. ويعتمد ديوي على أربعة أنواع تساهم في نمو الطفل هي: الولوج بالتحدث أو الإتصال، الولوج بالبحث، الولوج بصنع الأشياء والولوج بالتعبير الفني. وركز ديوي على روضة الأطفال لأن هدفها النمو الخلقى، كما تحدث عن المدرسة الأولية التي ظهرت بصورة فعلية من الحركة الشعبية في القرن السادس عشر حيث أصبحت تعلم الكتابة والقراءة والحساب وإرتباطها بالمهن.

¹ - جون ديوي، المدرسة والمجتمع، مصدر سابق، ص64

تم تليها المدرسة النحوية grammar school التي تأخذ دراسة اللغة لأن اللغتين اللاتينية واليونانية وجدت عند الرومان واليونان. وفي القرن التاسع عشر تأسست المدارس الفنية ومدارس إعداد المعلمين normal schools فقد نتجت المدارس الفنية كمدارس الهندسة للظروف تجارية في القرن التاسع عشر. ونشأت مدارس المعلمين نتيجة لضرورة إعداد المعلمين من أجل إكتساب تدريب مهني وثقافي.

لقد نمت فن عصر النهضة من أعمال الحياة اليدوية ويشمل الفن الأعضاء الجسدية العين، اليد، الأذن، الصوت لأنه يتضمن الرأي والفكر ونقل الأشياء عقليا، فهو أكثر من تعدد الأفكار نفسها لأنه توحيد حي بين الفكرة وأدات التعبير، وهذا التوحيد تعبر عنه المدرسة المثلى إذا ربطنا المدرسة بالحياة فإن مثلها وأهدافها المختلفة في الثقافة والنظام والمعلومات. تبقى المدرسة مختبرا يرى فيه طلبة التربية النظريات والأراء في دور تطبيقها وإختبارها ونقدها وتنفيذها كما يرون تطور الحقائق الجديدة والهدف هنا هو خلق تربية موحدة بين الجامعة والمدرسة.¹

يؤكد وليم جيمس William James على الأساس الفسيولوجي للخبرة الإنسانية حيث يعرف التربية على أساس العادة يقول: "إن التربية هي تنظيم للعادات المكتسبة."²

يعترف جيمس بإستمرار الشعور بينما نجد ديوي يعلق أهمية خاصة عند مناقشته للخبرة على إستمرارها، فكل خبرة تؤثر في الفرد الذي يمر بها والنتيجة هي التعلم الذي يحتفظ به في شكل تغير فسيولوجي أي بمعنى العادة. على هذا الأساس تكون الخبرة في معناها السيكولوجي والعملية والتي تمثل التربية هي عملية تكوين العادات.

¹ - جون ديوي، المصدر نفسه، ص 97

² - محمد لبيب النجيمي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981، ص 174

نفرق بين تصور جيمس للتربية كعملية تشكيل للعادات وبين تصور ديوي للتربية كعملية نمو برغم من أن العادة عامل مشترك بينهما، بمعنى أن التربية هي عملية تكوين للعادات وعملية نمو على أساس إعادة بناء الخبرة وتشكيلها باستمرار. ينظر ديوي إلى العقل ليس هو المفروض على الخبرة بل هي التي تقترحه وهي التي تختبره وتوجهه، لقد أصبح العقل يستخدم عن طريق المخترعات إستخدامات متنوعة لتوسيع الخبرة وزيادة معانيها. وأصبح العقل نوع من النشاط يقوم به كمجموعة من المعاني المنظمة التي تكونت سابقا عند الطفل.¹

لقد رفض ديوي أن يوجه الإنسان عقله نحو البحث فيما وراء المجهول المطلق فهو أذات يستعملها في حياته يقول: "نحن نفكر ليس لغرض التفكير، ولكن هدف التفكير ما هو إلا مرحلة من مراحل العمل من أجل الحياة، فالعقل ليس شيئاً منزلاً بشكل كامل إنه ينشأ في الخبرة ويعمل ويتطور تحت حالات معينة."² بمعنى أن الخبرة أساسها التفاعل بين الإنسان وبيئته الإجتماعية والمادية. لكن نتساءل كيف وظف ديوي الخبرة في التربية الدينية؟ هل إكتفى بأراء البراغماتيين؟ أم تجاوزهم؟ هل قدم ديوي نقد حول فكرته؟

¹-جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ترجمة مرسي أمين قنديل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، دت

ص169

²- المصدر نفسه، ص170

المبحث الثالث: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما بعد جون ديوي

توطئة:

*ريتشارد رورتي Richard Rorty شكل ظاهرة متميزة في عالم الفكر الأنجلوساكسوني المعاصر، فقد دافع عن فلسفة من دون فلسفة وبحث عن الحقيقة في اللاحقيقة، وقد أمكنه بأفكاره المثيرة للجدل أن يبعث البراغماتية من جديد على ساحة الفلسفة العالمية ويصبح المحرك الرئيسي للفلسفة البراغماتية الجديدة.

كما يعرف بأنه صاحب مشروع بعث حوار فلسفي جدي وجسر بين الفلسفتين التحليلية Analytique والقارية Continentale الأوروبية Européenne وبالنظر إلى أن البراغماتية فلسفة أمريكية المنبت في نهاية القرن التاسع عشر فإنها، وعلى مدى قرن من العطاء والتواجد الفلسفي قد عرفت تحولات هامة، يرى رورتي أنه إذا إتجهنا بأنظارنا صوب نهاية القرن العشرين وليس إلى بداياته سنجد أن البراغماتية عرفت نوعا من البعث أو الميلاد الجديد، لكنه لم يكن شبيها بتلك النزعة السيكولوجية Panpsychisme التي ترد كل مادة إلى طبيعة نفسية أي إشارة إلى ما طبع البراغماتية في بداية عهدها مع وليم جيمس خاصة¹.

*ريتشارد رورتي، Richard McKay Rorty فيلسوف ومفكر أمريكي، ولد في نيويورك سنة 1931 والداه يساريين يعتبر رورتي أحد أبرز الفلاسفة الأمريكيين الذين إنفتحوا على الفلسفة الأوروبية أو القارية في شقيها الألماني والفرنسي، بل إنه قطع مع الفلسفة الأنجلوساكسونية التحليلية حين إدعت الصرامة العلمية وصاغ مفهوم "ما بعد الفلسفة التحليلية" رورتي من أشهر المناهضين الأمريكيين للنزعة العلمية عامة والنزعة العقلانية خاصة، من أهم مؤلفاته "الفلسفة ومرآة الطبيعة" عام 1979 الموضوعية النسبية والحقيقة" عام 1991، الحقيقة والتقدم عام 1998، توفي سنة 2007

¹ رورتي، ريتشارد وآخرون، البنيوية والتفكير، مداخل نقدية، ترجمة حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، سنة 2007، ص 178 .

مسألة الميتافيزيقا عند رورتي:

إهتم رورتي بالفلسفة التحليلية ثم حمل بعدها لواء البراغماتية الجديدة new pragmatism مع دونالد ديفيسون Donald Davidson وريتشارد برنشتاين Richard Berenstien وغيرهم، من الفلاسفة الذين كان لهم الفضل في بعث الفكر البراغماتي من جديد خاصة بعد وفاة جون ديوي، جمع رورتي بين موقفين:

- الإستفادة من خبرات الفلاسفة القاريين وفي توظيف أليات وطرق البرهنة والتدليل عند التحليليين

- العودة إلى المنهج البراغماتي¹

يشير رورتي إلى أهم فلاسفة الفترة المعاصرة بدأ بـ ديوي Dewey وهايدغر Heidegger وفيتجنشتاين Wittgenstien ويعتقد أن أمريكا إذا أرادت نموذجاً فلسفياً فهو جون ديوي.²

يقول رورتي: "سأصف ما كان ممكناً لـ ديوي قوله، وما كان يتوجب عليه قوله في نظري بدلاً مما قاله فعلياً، سأعتمد إلى بناء ديوي إفتراضي ذلك البراغماتي من دون أن يكون تجريبياً وراديكالياً وطبيعانياً من دون أن يكون نفسانياً".³

يظهر في قوله الأثر الكبير الذي خلفه ديوي عليه ويشير إلى إنتسابه إلى مذهبه الفلسفي، وقد تبنى الكثير من أفكاره خاصة السياسية والدينية التي سبق إليها جيفرسون وتبعه ديوي، وأكمل المشوار رورتي.

¹ - Jean Francois Cote, *L'interprétation postmoderne de la culture américaine*, cahiers de recherche sociologique n15, automne 1990, p20.

² - تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، دط، سنة 1996، ص 21.

³ - Richard Rorty, *Dewey between hegel et darwin*, volume 3, Cambridge University, 1994, p54

إن البعد الإنساني للدين في نظر رورتي لا يحيل إلى رفض الخصوصيات الدينية بل، هو تأكيد على العلاقة بين فلسفة الدين التي هي شديدة التعقيد من منطلق الإختلاف المنهجي بين التفكير الفلسفي القائم على النقد والإستدلال، بمقابل معطى الإيمان في التفكير الديني ليصبح دور الفلسفة معمقا للتجربة الدينية كحالة فردية لا تتجه نحو فرض معتقداتها على الآخرين، خصوصا أن رورتي لا يفصل الدين عن الوعي المنفتح إذ المثقف الحقيقي كما يقول: " هو الذي ينظر إلى الدين حسب تصور واينهايد Whitehead أنه " ما نقوم به في عزلتنا أكثر مما نقوم به مع غيرنا"¹.

وبالتالي فإن الفهم الفلسفي للدين كحالة شاعرية باعثة على القدرة على الأمل والإيمان والحب هو في الوقت نفسه، محاولة لإحداث المواءمة بين الرومانسية والعلمانية بالشكل الذي لا يعطي أية فرصة لمبرر التمييز على أساس ديني، ومن ثمة محاولة تحجيم دوره عن طريق عدم الإعتراف بأي شكل من أشكال المقايسة بين الخطاب البراغماتي والديني، وهو الأمر الذي يتماهى مع الإطار العام لمشروع رورتي البراغماتي الذي يندد بكل فلسفة ماهوية تعالج الفكر كهبة إلهية².

والواقع أن رورتي لا يعتبر الدين مشكلة إذ ما بقي في حدود إعتباره حقا فرديا يسمح للفرد بتفسير علاقته مع قوة أو قوى مفارقة، وبذلك يرفض كل حكم ثيوقراطي يدعو إلى الإستغراق المفرط في الميتافيزيقا، وإيراز ذلك في التعاملات مع الآخرين وهو بهذا يتجاوز موقف وليم جيمس في إقرار هذا الأخير بحيادية البراغماتية على المستوى الديني من خلال عدم تقديم توصيف محدد لدين معين³.

¹-Richard Rorty, **philosophy and Social hope**, Penguin books , New York , first publishing 1999,p168.

²-Hottos Gilbert ,**de la Renaissance a la postmodernité** :Une Histoire de la philosophie Moderne et Contemporaine,3éme , édition , bruxelles , de boeck universite,2002 ,p260.

³- Hardwich richard and Donald Crosby, **pragmatism, neo- pragmatism and Religion**, Conversations with Richard Rorty, petre Lang, publishing, new yourk, first edition, 1997, p87.

هذا لا يعني أن رورتي يرفض الأشكال الدينية التي يبرزها الأفراد عبر الطقوس والشعائر، بل أنه يعتبر التدين حق من حقوق الإنسان ما دام في إطاره الداعي إلى التفتح والتسامح وكذا تمجيد الحرية.

يقدم رورتي توصيفا لنمط الدين الأنسب لمشروعه البراغماتي، في شكله المدني الرومانسي كحالة علاج بالمعنى الفتغنشتايني، وكوسيلة لمحاربة العزلة بغرض تحقيق التضامن، لكن براغماتية رورتي الجديدة وإن كانت تعطي للفرد أحقية الإنتماء لأي دين شاء، فإنها بالمقابل لا تمنع من مناقشة المسلمات الدينية، بالشكل الذي يدرء منطق التسليم والقبول والتصديق في إدراك وإمتلاك الحقيقة الواحدة والمطلقة.

يفهم رورتي الدين بوصفه إيمانا بقدرة الإنسان على التغيير والسعادة، ويعترف بالطبيعة الإجتماعية للدين بوصفه تقليدا وممارسة للتعاليم والطقوس من طرف جماعة إيمانية.¹ ويقيم رورتي الإيمان على المحبة والتضامن في سياق براغماتي يعطي للديمقراطية الليبرالية أهمية كبيرة، لهذا يبقى البعد الإنساني للدين عنده هو إتجاه لتقويض كل محاولة لجعله وسيلة لتحقيق غايات فردية إجرائية لا تتفصل عن الرغبة في علمنة الحياة الإجتماعية.² إن البعد الإنساني للدين عند رورتي لا يرفض الخصوصيات الدينية، بل تأكيد على العلاقة بين فلسفة الدين والإيمان بالتفكير الديني ليصبح، دور الفلسفة معمقا للتجربة الدينية كحالة فردية لا تفرض معتقداتها على الآخرين. لا يفصل رورتي التدين عن الوعي المنفتح إذ أن المثقف الحقيقي كما يقول هو الذي ينظر إلى الدين حسب تصور وايتهد Whitehead على أنه: "ما نقوم به في عزلتنا أكثر مما نقوم به مع غيرنا."³

¹ -Ibid, Richard Rorty, **philosophy and social hope**, p169

² -Ibid, 168

³ - Ibid, 170

لا يعتبر رورتي التدين مشكلة مادام حق فرديا يسمح له بتفسير علاقته مع قوى مفارقة، لهذا يرفض كل حكم تيوقراطي يدعو إلى الإستغراق المفرط في الميتافيزيقا ويقبل بالتدين الذي يمارسه الفرد عبر طقوس وشعائر. ويعتبره حق إنساني يدعو إلى التسامح والحرية.

لقد قدم وصفا للدين المناسب في مشروعه البراغماتي في شكله المدني الرومانسي، كحالة علاج بالمعنى الفتحشنتايني ويسلك طريق جون ديوي في حديثه عن دين الديمقراطية، التي تؤدي إلى العدالة الإجتماعية ومن جهة أخرى يتجاوز موقف وليم جيمس الذي يقر بحيادية البراغماتية على المستوى الديني من خلال عدم تقديم وصف محدد للدين.¹ يقول رورتي: "أمريكا ستعوض دين الخوف بدين الحب."²

إن التصور الفلسفي للدين عند رورتي يقوم على مركزية الإنسان بمعنى خدمة الدين المدني للمشاريع الحياتية، لهذا لا ينفي الإيمان ويشترط سمة الإنسانية ضرورته تكمن في تنظيم أفعال الإنسان في حياته.³

يعتبر رورتي الدين حق إنساني ويسعى بذلك لتعميق التجربة الإنسانية وإعتراف بدوره كمحرك قوي للحياة في أشكالها الثقافية والإقتصادية والسياسية. إن براغماتية رورتي الجديدة تعطي حق الإنتماء لأي دين كما أنها تناقش المسلمات الدينية، هذا التصور ينسجم مع الطرح الديمقراطي ومبادئ حقوق الإنسان العالمية التي تعارض التمييز على أساس ديني، وتدعو إلى الإيمان على حسب إختلاف سلوكيات الآخرين وإحترام مشاعرهم في إطار المحبة والقدرة على التجربة.⁴

¹ - Ibid, Hardwich richard and Donald Crosby, **pragmatism, neo- pragmatism and Religion**, p88.

² - Richard Rorty, **Achieving Our Contry**, Harvard University press, USA, first publishing, 1999, p17

³ - Richard Rorty, **Contingency, Irony and Solidarity**, combridge university press, Uk, First publishing, 1989, p75

⁴ - Richard Rorty, **philosophy and social hope**, p160

يشير رورتي إلى الشعر أنه البديل الحقيقي للدين بمعناه التقليدي، فالرومانسية أو ما بعد الميتافيزيقا هي محاولة للبحث عن أرضية مشتركة للتفكير كتقافة تساعد الإنسان في حياته الإجتماعية أكثر من إعتبره مسؤولاً أمام قوة مفارقة.¹

يرى رورتي أن المتقنين لا يمكنهم العيش بلا رومانسية أو بتعبير الفيلسوف الأمريكي المعاصر توماس ناغل thomas nagel: "الطموح بإتجاه الترسندالية" بعيداً عن تأسيس لماهية أخرى ودعوة لتأويل الدين بمعناه الإنساني الإبداعي، فالآلة الرومانسية في شكلها العام إحتفالية بالإرتباط بين الحياة الإنسانية والعالم الطبيعي.²

يشير رورتي إلى دعوة ديوي لعلمنة الثقافة في قوله: "ما وجدته متميزاً عند ديوي هو نقده للأفلاطونية وللديكارتية والكانطية، وكل أنماط التقاليد الميتافيزيقية التي يعارضها دريدا وهيدغر، نقده ينبع من بعد إجتماعي يحوز على التناؤل من منطلق أنه لم يرى بأن نهاية الميتافيزيقا هي مسألة يأس أو عدمية. لقد فكر بهدوء وأكد بأن نهاية الميتافيزيقا هي بداية الإنتهاء من اللاهوت. ديوي كان يرى أن تحرير الثقافة من الإعتبارات اللاهوتية ومن التناقضات الميتافيزيقية، هي فكرة جيدة وكان واعياً بأن الأمر سيأخذ وقتاً طويلاً لإنهاء علمنة الثقافة."³

يرى رورتي أن الميتافيزيقا كانت سبباً في الإدعاء بإمكانية الوصول للمنطق فيما يتعلق بقضايا الفكر الديني الغربي بحجة تحقيق العلم والمعرفة، هذا الأمر لا يتماشى مع تصور رورتي الذي يندد بكل فلسفة ماهوية، تعالج الفكر كهبة إلهية، ويبقى الشعر البديل المناسب للدين.

¹ -Ibid,170

² - Richard Rorty, **philosophie as cultural politic**, cambridge univertsity press, Uk, first publishing, 2007, p136

³ -Mendieta Edwardo, **Interviews with, Richard Rorty**, University of Virginia, 1979, P34

يعتبر جيفرسون أحد رواد عصر الأنوار في أمريكا الذي قلص من مساحة الدين وفصله عن الدولة، ذكره في قانون فرجينيا للحرية الدينية. إن هذا الطرح علماني ثنائي الوجهة بحيث يضمن للحياة السياسية حيادها، ويحفظ حقوق الفرد في حرية الاعتقاد وحرية الدين وعدم إجباره على إعتناق ديانة معينة.

لقد سار رورتي على درب جيفرسون وقد وصف الثقافة الليبرالية الجديدة أنها علمانية تنويرية، ولا أثر لفكرة الألوهية وفكرة القداسة يقول: "حظ من قيمة البرهنة العقلانية لإتفاق الأنوار، فالمتقنون المعاصرون هجروا لإفتراض الذي قاد الأنوار إلى إعتبار الدين والأسطورة والتقليد، يمكن أن يتعارضوا مع حجة لا تاريخية مع شيء يمتلكه البشر جميعا بوصفهم بشر."¹ يشير رورتي في قوله إلى تخلص الليبرالية من التفكير الميتافيزيقي. يعتقد رورتي أن إقحام الدين في المحادثة العامة والمناقشات السياسية يؤدي إلى تحطيم المناقشات الديمقراطية، لهذا يقترح الفصل بين ما هو سياسي وديني لأن الدين مسألة شخصية.

من هنا نقول أن نتائج البراغمتية عند رورتي هي إنهاء للدين بمعناه الدوغمائي والقضاء على بقايا الميتافيزيقا في الفكر البراغمتي الجديد. فالأمر في نظره لا يتوقف في حدود مشروعه الفلسفي بل يتعداه إلى السمة الغالبة من الفلسفات التي تشهدها أمريكا في القرن الحالي، والتي تختلف وتتفصل عن الدين في شكله المجسد تحديدا مع ثبات العقيدة المسيحية². يقول رورتي: "إن كتابا واحدا لا يكفي لإزالة اللاهوت كجزء مرتبط بالحياة الثقافية الغربية، ولا إنسانا واحدا، ولا حتى جيلا ، ولا حتى قرونا."³

¹ - Richard Rorty, **objectivisme, relativisme et vérité**, traduit par jean pierre cometti, p. v. f, France, 1994, p190.

² - Richard Rorty, **l'homme spéculaire**, Tr Marchaisse thiery, edition du seuil, 1 edition France, paris, 1990, p15

³ - Richard Rorty, **Conséquences du pragmatisme**, Tr Cometti jean peirre, edition du seuil, France, 1993, p112

الفلسفة البراغماتية الجديدة عند رورتي:

ساهم في بناء أفكار رورتي الفلسفية قراءاته المتنوعة للكثير من الفلاسفة اليونانيين والحدثيين والمعاصريين، وأكد إنتسابه إلى جون ديوي ونيتشه وقد إمتزج فكره بالمذاهب الفلسفية وتنوعها الفكري.

يؤكد رورتي أن الفلسفة إنتقلت من التأمل إلى العلم خاصة، مع صدور كتاب رايشنباخ Reichenbach " نشأة الفلسفة العلمية" الذي بين فيه تصور الفلسفة التحليلية في فكرتين:

- فلسفة تأملية قديمة هدفها الحقيقة المطلقة ومصدرها الإدراك الحسي

- فلسفة علمية جديدة غايتها التنبؤ بالمستقبل ومصدرها الملاحظة الحسية والفهم فيها وظيفي¹

ظهر إهتمام رورتي بالفلسفة التحليلية التي برزت في أمريكا سنة 1951 في قوله: "كنت لأزال أعتقد وأن حينها طالب يتمرس على الفلسفة ويتحول نحو الفلسفة التحليلية، بوجود جملة من المشكلات الفلسفية المتميزة والخاصة تتطلب أو تستدعي حلولاً".² من أهم مؤلفاته " مدخل إلى البراغماتية Introduction au pragmatisme " و"نتائج البراغماتية conséquence du pragmatisme".

يشير رورتي إلى مكانة البراغماتية من خلال موقفين: إن مواضيع الإهتمام والصدارة في نوعي البراغماتية الكلاسيكية والجديدة، ليس واحدة فقط حصل فيها

¹ - هانز رايشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، دط

سنة 1979، ص 222

² - Ibid, p382

تحول، ولم تعد الأفكار والخبرة هي ما يحوز إهتمام براغماتي نهاية القرن العشرين وإنما مواضيع أكثر إلتصاقا باللغة في منطوقاتها وقضاياها.

تمكنت البراغماتية في صيغتها الجديدة من تحرير مكان لها وسط زخم التيارات الفلسفية، وفرض رؤيتها التي تحمل وجاهة ومصداقية ينبغي أخذها بالجدية الكافية.

يتميز رورتي في المنهج البراغماتي بين كلاسيكي مثله بيرس وجيمس وديوي من جهة، وبين تيار جديد مثله هو نفسه وكواين وغودمان وبونتام وديفيدسون فالتمييز الذي يدعونا إليه رورتي، معياره هو المنعطف اللغوي الذي إتجه إليه الفلاسفة في الوقت الذي هجروا فيه موضوعا أساسيا، وبالتالي ساروا على خطى فريجه *frege* وبدلا من جون لوك *jhon locke*.

البراغماتية الجديدة أو المحدثه أو النيوبراغماتية، هي التسمية التي تطلق على تيار فلسفي، برز في الظهور مع بداية الستينات في الولايات المتحدة الأمريكية مع فلسفات عرفت رواجاً واسعاً، في الأوساط الفكرية الأمريكية قرابة عشرين سنة وبالخصوص الفلسفات التحليلية بداية من خمسينيات القرن العشرين إلى غاية الستينيات منه، وكذلك ما بعد البنيوية التي حملتها معها العقول المهاجرة إلى أمريكا، فإزدهرت هناك وشكلت حركة واسعة داخل المجال الأكاديمي وخارجه، أي في ساحة الثقافة عامة. ولفترة قاربت عقدين من الزمن ظلت الوضعية المنطقية العنصر الأهم في الحركة التحليلية الفلسفية في أمريكا، مانحة بذلك إمتداد جغرافي لمؤسسة عرفت النور في فيينا بالنمسا حول موريس شليك إمتداد *Morris Schlick* و رودولف كارناب *Rudolf Carnap*¹.

¹ - جديدي محمد، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتسارد رورتي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1،

حاول رورتي أن يتجاوز كل الخلافات بين الوضعيين والواقعيين حول الحقيقة الاجتماعية يقول: "أن الحقيقة كما تقدم في الوصف الاجتماعي اليوم وصلت إلى مستوى من التقديس الذي لا يجب أن يمسه. والحل يكون بأن نعرف ما يمكن أن نعتبره بأنه حقائق وصلت أو لا مست الإطلاق، وهذه الحقائق في مجملها هي حقائق مرتبطة بالنتائج العلمية التي يمكن التدليل عليها في مرة مادما نلتزم بالظروف الموضوعية المرافقة لها، هذا بالإضافة للحقائق الرياضية والمنطقية والتي تعتمد على ألياتها الداخلية في الوصول إلى الإطلاق"¹.

رورتي هو كغيره من فلاسفة البراغماتية يبتعد قدر جهده من الالتفات إلى البعد النظري والذهاب إلى التجريد والتأمل، إذ يرى أن الفلسفة عمل ونشاط ضمن السياق الأنجلوساكسوني، وهي إصرار على الممارسة والواقعية لدى البراغماتيين، ولذلك لا يمثل الجانب النظري والميتافيزيقي بالنسبة للحقيقة، إلا بعدا واحدا من أبعادها المتعددة وخاصة التطبيقية منها، وهكذا تحاول براغماتية رورتي ردم هذه الهوة ووصل الجانبين ضمن التصور الذي أصبح شغله الشاغل الإنسان في الواقع، الإنسان التاريخي، الإنسان صانع الحقيقة وصانع السعادة.

إن البراغماتية هي الفلسفة التي وجد فيها رورتي الصورة الحقيقة للثقافة الأمريكية، فالبراغماتية في صيغتها الجديدة لم تكن بنفس مواصفات البراغماتية الكلاسيكية، وهي تختلف عنها أو على الأصح تتميز عنها بإدخال بعض التعديلات المنهجية والفكرية، التي برزت ما بين فترة البراغماتية في نهاية القرن التاسع عشر مع بيرس وهي ما يمكن أن نسميه البراغماتية الأولى أو الكلاسيكية أما فترة إحياء

¹- رورتي، رينشارد، نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة، مجلة العرب والفكر العالمي، ترجمة فريق

مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان 23-24، سنة 2008، ص 82.

البراغماتية بدأت من نهاية سبعينيات القرن العشرين وهو ما يمكن أن نصلح عليه بالبراغماتية الثانية أو الجديدة¹.

لقد وقع رورتي مشروع حينما أتم أطروحته عن الإمكانية أو القوة عام 1956 حيث تبين أن مسعاه الرئيسي، هو التأسيس لمحدثه بين الفلاسفة المعاصرين والتراث الكبير للفلسفة الغربية، ولقد تعزز هذا المشروع الرورتي أكثر بإصدار الفيلسوف لكتابه الأساسي عام 1979 وعنوانه " الفلسفة ومراة الطبيعة"، تحولت الفلسفة من ميدان نظرية المعرفة لتصبح فعلا منشأ غرضه إعادة بناء الفلسفة².

لقد كشف في كتابه هذا عن ثرات مسار الفكر الفلسفي الغربي وإعادة بناء مسار جديد تحدد فيه معالم الحقيقة والمجتمع، وقد وضع فيه محطتين فكريتين:

- يعتبر كتاب " الفلسفة ومراة الطبيعة"، نقدا للفلسفة الغربية والأنجلوساكسونية والتي وضع فيه تصورات الفلسفية.

- أما كتابه " نتائج البراغماتية" في سنة 1982 تميز بالمجالات الفلسفية الأخلاق، الفن المجتمع.

هذا التمييز جعل من رورتي يثير إهتمام وإعجاب الكثير من المفكرين مثل جاسك بوفراس Jacques bouversse في قوله: "إنني أجد رورتي بوجه عام أكثر أهمية من بعض الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين الذي يعجب بهم رورتي ذاته"³.

¹ - رورتي، ريتشارد وآخرون، البنيوية والتفكيك، مداخل نقدية، مرجع سابق، ص180.

² - جديدي محمد، ما بعد الفلسفة، مطارحات رورتية، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، سنة 2010،

³ - Jacques bouversse, sur quelque conséquence indésérables du pragmatisme, 1994, p24.

فهو يشير إلى أن مشروعه ينطوي على مهارة حرفي أو مرقع، يقوم بجمع قطع أو أجزاء من جاك دريدا Jacques Derrida ووضعها إلى جانب ديوي Dewey وإقتطاع عناصر من ديفيدسون Davidson وتقريبها من فتجنشتاين Vtgnstein وأمور من هذا القبيل أكثر من أن يكون عملاً أصيلاً. إلا أننا نرى في موقف رورتي Rorty تقارباً كبيراً في مشروعه مع موقف ديوي الذي سعى فيه إلى التجديد في الفلسفة متخذاً من القاموس البراغماتي، الذي يعج بمفاهيم الخبرة والبحث التفاعل الكائن مع المحيط، الديمقراطية والتربية الفعل والنتيجة، جدلية الغاية والوسيلة بوصفها أدوات منهجية ومعرفية لتحقيق مشروعه.

تختص الفلسفة الرورتية بخواص رئيسية أهمها أنها لا تضم فقط المفردات الفلسفية وإنما تتميز بمفردات الإنسانيات والأدبيات والفنون والعلوم، زيادة على أنها بعثت البراغماتية من سباتها وجمودها ومكنتها من نفس جديد، إذ بفضل جهوده الدؤبة وحضوره في المنتديات العالمية المختلفة، وكذا كتاباته الكثيرة المدافعة عن البراغماتية تمكن من إلباسها ثوباً جديداً وتحيينها بناء على التطورات الحاصلة أمريكياً ثم عالمياً كما أنها فلسفة تتقن لعبة القراءة والكتابة الفلسفية¹.

عرف رورتي بإتجاهه البراغماتي بعد أن إهتم في بادئ الأمر بالفلسفة التحليلية التي عدل عنها ليحمل لواء البراغماتية الجديدة، ساهم بقدر كبير في إحياء البراغماتية من خلال أعماله العديدة، التي غالباً ما تشير إلى الجذر والعنصر والمبدأ البراغماتي في كتاباته. لقد إتسمت الفلسفة الرورتية من جهة بنقدها للفلسفة الغربية بشكل عام

¹ عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، الإسكندرية، مصر، ط2، سنة 2002، ص128.

والأنجلوساكسونية بشكل خاص، ومن جهة أخرى إتضحت في البناء أو التشييد التدريجي للبراغماتية ما بعد الحداثة أي البراغماتية الجديدة¹.

يقول رورتي عن البراغماتية "هي النظرية التي تحاول عملاً أن تعزز من حرية الإنسان في عالم مأساوي غير مأمون، عن طريق الفنون العقلية والاجتماعية وقد تكون المحاولة قضية خاسرة ولكن لا أعرف أفضل منها."²

تريد البراغماتية بشكل من الأشكال أن تعيد الاعتبار إلى هوامش الفكر وأن تعتمد إلى إحداث تسوية لميادين الثقافة البشرية، من ثم تصبح الفلسفة سوى مجرد عنصر فاعل في هذه الثقافة كبقية العناصر الأخرى (الفن، العلم، الدين، الشعر) وعندما نصل إلى تجسيد هذه النظرة لا يكون النظر مجرد أو التأمل، الذي يكون هدفه الرئيسي البرهنة والحقيقة الموضوعية عنواناً للفلسفة. وإنما تكون الأفكار الفلسفية عوناً مساعداً على توجيه مخططات العمل وتحقيق الفلسفة إحدى غاياتها في المحادثة والحوار وفي التصدي للمعضلات التي تجابه الكائن البشري.³

يجعل رورتي اللاماهوية أهم خاصية تميز البراغماتية متمثلة في نزعه التي تنطبق على مفاهيم مثل (الحقيقة، المعرفة، اللغة، الأخلاق) وكذا جميع المواضيع التي تكون محل تنظير فلسفي من هذا القبيل. يقول رورتي Rorty: "إذا كان هناك شيء مميز للبراغماتية فهو لا محالة يمكن في إستبداله لمعاني الواقعي، العقل، الطبيعة

¹ - جديد محمد، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة رينشارد رورتي، مرجع سابق، ص 85

² - المرجع نفسه، ص 87

³ - Richard Rorty , *l'espoir au lieu du savoir, introduction au pragmatisme*, édition française établie Claudine Cowan et jacques poulain ,paris ,éditions Albin michel,1995,p45.

بمفهوم مستقبل أفضل للإنسانية، يمكن أن نقول عن البراغماتية ما ذكره نوفاليس Novalis عن النزعة الرومانسية بأنها تعظيم للمستقبل¹.

حسب رورتي فقد أصبحت الفلسفة بعد إدعائها بقدرتها على البحث في طبيعة العقل وطبيعة الأفكار مرتبطة بدور شبيه إلى حد ما بدور الدين في الأزمنة السابقة للعصر الحديث، فهو يتحدث عن ضرورة علمنة الثقافة فتتزع تلك القداسة والتتويج والتفوق الذي يحلو للدين أو الفلسفة، أو حتى العلم أن يحتكر فيه الحقيقة ويمارس نوعا من الأبوية على الميادين الأخرى.

يلخص لنا رورتي " لقد وضعت الفلسفة القديمة والوسيطية الأشياء مركزا لإبستميتها، أما الفلسفة كما تطورت في القرون من السابع عشر إلى التاسع عشر فقد وضعت الأفكار في مركز الصدارة، واليوم بواسطة الكلمات حيث يتم توضيح الساحة الفلسفية"².

ترتب مواضيع الفلسفة كما يلخصها رورتي وفق تعاقب زمني للفكر الفلسفي من القديم إلى المعاصر مرورا بالوسيط والحديث، وهو ما يتجسد في نتيجة مهمة تتمثل في أن الفلسفة القديمة والوسيطية موضوعها الأشياء، بينما الفلسفة الحديثة موضوعها الأفكار أما الفلسفة المعاصرة موضوعها الكلمات.

بدأ المجتمع الأمريكي يحدد ملامح شخصيته ويرسم خرائط لفكره ويوجد لنفسه فلسفة خاصة به غير أن الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين، لم يتبعوا أساليب الفلسفة الأوربية التي درجت على وضع صيغ كاملة عن المسائل الكونية والعقلية والوجودية والأخلاقية وغيرها، وإنما عبروا تعبيراً واضحاً بسيطاً عن الروح الأمريكية وأمالها وفهمها للحياة فكانت الفلسفة البراغماتية.

¹ - المرجع نفسه ، ص 57 .

² - المرجع نفسه ، ص 60

لقد برزت البراغماتية من خلال كتابات أعلامها ومن أشهرهم بيرس وجيمس وديوي و رورتي فقد إعتبر هؤلاء أن لا وجود لحقائق مطلقة، وإنما توجد معارف مفيدة أقل أو أكثر من غيرها. وتتنطبق هذه النظرة على المعتقدات العادية، كما تنطبق على المعارف العلمية وعلى القيم الأخلاقية، كما على المذاهب السياسية.

من هنا القول وبغية إخراج الفكر من غطائه الميتافيزيقي أن الحقائق المعتمدة توافق تام بين الفكرة والعالم، هي وهم من أوهام الفكر لذلك ينبغي التخلص من الأفكار العامة للوصول إلى معارف أكثر وضوحاً، وفي الوقت نفسه يمكن التأكد من صحتها بالتجربة. يمكن تحديد العلاقة من خلال الإعراف المتبادل بينهما حيث يقول بيرس: "إنك من بين أصدقائي الوحيد الذي يوضح البراغماتية في أكثر أشكالها طلباً إنك جوهره البراغماتية"¹.

يقول جيمس في تقدير بيرس: " لا يوجد مفكر أكثر إبتكاراً وإبتداعاً منك في جيلنا برمته لقد أوحيت لي شخصياً بأمور في غاية الأهمية أكثر من أي شخص آخر قدرلي أن أعرفه. ومع ذلك فلم أعطيك أبداً ما فيه الكفاية من الإقرار على الملء بالفضل لقاء ما أدين لك به مما علمتني من لدنك"². لقد إتفق جيمس مع بيرس في أن السلوك العلمي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة لكن إختلف جيمس عنه في السلوك على أن يكون نافع.

يرى بيرس أن البراغماتية هي تلك الفلسفة التي تعني أن الدلالة الكاملة لأي شيء لنا تتمثل في الآثار الملحوظة المترتبة عليه. وقد تناول جيمس هذه الفكرة الأساسية وطورها يرى أن الفلسفة البراغماتية منهج وليست مذهباً فلسفياً، وهو إتجاه

¹ - شنايدر، هربرت، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة محمد فتحى الشنيطي، القاهرة، مصر، سنة 1964، ص 370

² - جديد محمد، المرجع نفسه، ص 374

إلى توضيح الأفكار وإعطاء دلالات صادقة لتصوراتنا وقضاياها، وهناك قاعدتان في المنهج البراغماتي وضعهما بيرس وعبر عنهما جيمس في منهجه هما: إذا كان لديك قضيتان واعتقدت بصدقهما معا فأنظر إلى أثر كل منهما على سلوكك العملي.

وإذا لم يوجد خلاف عملي بينهما بمعنى لم يوجد خلاف في السلوك، نتيجة إعتقاد الفرد بكل منهما فتأكد أنهما قضية واحدة بصورتين لفظيتين مختلفتين. إذا لم يوجد أي أثر عملي في سلوكك نتيجة إعتقادك بصدق قضية ما، يختلف عن سلوكك نتيجة إعتقادك بكذبها فأعتبر أن هذه القضية لا معنى لها بل لا وجود لها إذ أن دلالة الفكرة فيما ينتج عنها من أثر في السلوك.

موضوع الحقيقة مرتبطا أشد الإرتباط بالبراغماتية عند فلاسفتها وعند الدارسين لها الذين يرون أن أهم ما يميز البراغماتية من بين فلسفات عديدة هو تصورها الخاص للحقيقة يقول رورتي: " لا يعتقد البراغماتيون بأن هدف البحث هو الحقيقة بل إن الهدف من البحث يكمن في المنفعة، وبقدر تعدد الأهداف المبتغاة تتعد الأدوات المختلفة النافعة وليس هدف البحث دوما الحقيقة، بقدر ما هو مطلب حاجات الإنسان وتلبيتها أي المنافع التي يصر الخطاب البراغماتي على إعطائها مقاما أوليا"¹.

يطرح الحقيقة في منظور الفيلسوف الأمريكي إذ أن الحقيقة هي نص مفتوح على القول المختلف، ومن هذا المنطلق فإن رورتي يشارك وليم جيمس في رؤيته للحقيقة، إذ نجده يقول أن "الحقيقي هو فحسب النافع (المناسب) في طرائق تفكيرنا تماما مثلما أن الصحيح ما هو إلا النافع في الكيفيات التي نسلك بها.

¹ - المرجع نفسه، ص 91.

لم تكن علاقة رورتي بجون ديوي لتعرف ذلك الارتباط الذي حدث بين الفيلسوفين إلا في مرحلة لاحقة، ومع التحول الفكري الذي وجهه رورتي صوب ديوي واكتشافه من جديد وإعادة قراءته لتحسينه ومن ثم تحيين الفلسفة البراغماتية.

يقول رورتي عن كيفية بناءه لديوي طبقاً لقراءته " إن أهمية بناء ديوي كالذي أسعى إلى تشكيله تكمن في فصل ما اعتقد أنه حي، من الذي يكون ميتاً من فكره وكذا في إيضاح الاختلافات بين حالتي الساحة الفلسفية ما بين 1955 والآن"¹.

ابتداءً من سنة 1972 ينتقل ديوي إلى مركز الصدارة في كتابات رورتي وفي مؤلفه الأساسي " الفلسفة و امرأة الطبيعة " قاد هذا الأخير حملة قوية لإحياء وبعث صورة وأثر ديوي في الفلسفة المعاصرة.

يعرب رورتي في أكثر من موضع أنه تابع لخط ديوي الفلسفي أي البراغماتي الوسيلى الذي عرف به الفيلسوف، حتى وإن أنكر عليه البعض عدم التقيد بتوجهات ديوي وأفكاره، غير أن رورتي على الرغم من إعتراضه على مثل هذا التداخل لكنه في نفس الوقت يرحب بموقف ديوي، حينما ينصب البراغماتية فلسفة الديمقراطية وأن توحيدهما عبارة عن نفس الذهنية التجريبية الفياضة بالأمل في إمكانية تحسين الأشياء.

ويقول رورتي معلقاً على موقف ديوي: " أعتقد بأن أقصى ما يمكن أن نفعله بربط البراغماتية بأمريكا، هي القول بأن هذا البلد وفلاسفته الأكثر يقترحون علينا بأننا قادرين في السياسة، أن نضع الأمل بدل المعرفة"².

¹ - المرجع نفسه، ص 126

² - المرجع نفسه، ص 130

نجد رورتي يتتى على عمل ديوي في الفكر السياسي الذي أبعد كل تبرير يتصل بالأسس الليبرالية، إعطائها تعبيراً فلسفياً كما أنه إقترب معه في فكرة الديمقراطية يقول رورتي: "إن كل ما يقربنا اليوم من مجتمع كهذا ديمقراطي تماماً، علماني كلياً، بيدولي أنه يمثل النجاح الأكبر لجنسنا".¹

من هذا المنبر نقول أن البراغماتية تميزت بالتعدد، ليس هناك براغماتية واحدة محددة فبراغماتية بيرس تختلف عن براغماتية جيمس، وبراعماتية ديوي تتميز بطابعها الأداةي ومثل رورتي براغماتية جديدة، لكن هناك طابع عام يجمعهم وهو الإطار البراغماتي العملي.

من ذلك الموقف يتضح أن الخصائص التي تميزت بها الفلسفة البراغماتية بالإضافة إلى العوامل التي أدت إلى ظهورها، توحى كلها بأنها بما تحمله من تعدد وتنوع في القضايا التي تطرحها، وبهذا تكون البراغماتية قد أنزلت الفلسفة من برجها العالي إلى العالم الواقعي المتغير، وأرادت أن تجعلها طريقة عمل في الحياة ولهذا فهي تتحكم إلى التجربة والنتيجة العملية في معالجة القضايا الفلسفية.

الطروحات التي صاغتها مختلف المذاهب الفلسفية المادية منها و المثالية حول الوجود والإنسان أصبحت عاجزة عن إستيعاب التطور، الذي إجتاح إنسان القرن العشرين بشكل مرن ومستمر ومتسارع، من هنا قامت البراغماتية من أجل التأسيس العلمي لحلول وبدائل الأزمات الإنسانية منطلقة مع التجربة المعاشة، داعية مع جيمس لميلاد فكر فلسفي جديد يعتمد على السياق المنهجي لا المذهبي.

¹ - Richard Rorty, **Trotsky et Les orchidées Sauvages**, traduit par j.p.cometti, edition du seuil, France, 1992, p270.

الفصل الثالث

إستقبال جون ديوي في

الوطن العربي

الفصل الثالث: إستقبال جون ديوي في الوطن العربي

المبحث الأول: نقد نظرية جون ديوي في التربية الدينية

المبحث الثاني: مكانة نظرية جون ديوي في أمريكا الثقافة - المؤسسات

المبحث الثالث: إسقاط العالم العربي ونظرية ديوي التلقي والأفق

توطئة:

وصفت جامعة باريس جون ديوي أنه أعمق وأكمل تعبير للعبقريّة الأمريكيّة حيث منحت له الدكتوراه الفخرية سنة 1930، وقد إهتم بالمجال التربوي وله عدة مؤلفات حوله منها: " الديمقراطية والتربية"، "المدرسة والمجتمع"، "عقيدتي التربوية" "الإيمان المشترك".

حاول ديوي الربط بين الفلسفة والتربية، وإهتم بالعمل الذي يمثل عملية تربوية ودعى إلى مبدأ الفعالية Activity في الحصول على الخبرة والتعلم، وقد نتجت عن هذه الفكرة ما سماه بطريقة المشروع Project Method وخالصة هذا أن المواضيع تدرس على أساس نفسي وتعتمد على عملية تجريبية إختبارية.

أكد ديوي على علاقة الفلسفة بالتربية بقوله: "إن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة نظامية معروفة لم تنشأ إلا تحت ضغط مسائل التربية على عقول المفكرين، فجميع مسائل التربية هي نفسها مسائل الفلسفة، فالعلاقة بين الروح والجسم وبين المعرفة والأخلاق وبين الفرد والجماعة، أمور تبحثها التربية كما تبحثها الفلسفة في كل زمان ومكان".¹ تعتبر التربية الجانب التطبيقي للفلسفة فهي الجانب الفعال في تأكيد مبادئها وتأسيس إيجابياتها ومثلها العليا عن طريق غرسها في الأجيال الجديدة، وقد تعددت النظريات التربوية الفلسفية بين التقليدية والتقدمية.

إذن كيف يمكن نقد التربية الدينية عند ديوي؟ ما المكانة التي مثلها بنظريته في المؤسسات الأمريكية ودورها الثقافي؟ كيف إستقبل العالم العربي النظرية التربوية الديوية؟ على أي أساس تلقاها وكيف أثر مشروعه على المنهاج التربوية العربية؟ هل إستفادة الدول العربية من التجربة التربوية لجون ديوي؟ ما مستقبل التربية العربية؟

¹ - منير المرسي سرحان، في إجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981، ص42

المبحث الأول: نقد نظرية جون ديوي في التربية الدينية

التجربة الجمالية بديلا للتربية الدينية:

أسس ديوي من خلال كتابه "الفن خبرة" نظريته الجمالية وأكد أن الأفكار ليست مجرد خبرات نظرية وإنما هي خبرات عملية أي نوع من التجريب، لهذا نجد ديوي ينتقد النظرية الجمالية التي تأسست في العصر الحديث بإعتبارها تعزل الفن عن سياقه الإجتماعي والتاريخي، على هذا الأساس نفهم الخبرة الجمالية أنها ليست متعة.

يرى ديوي أن المعبد اليوناني شيده اليونانيين القدماء لا ليكون عملا فنيا، بل ليكون نصب وممارسة الطقوس الدينية المدنية، هذه التفرقة لا ترجع إلى طبيعة العمل الفني ذاته وإنما ترجع إلى ظروف إجتماعية.¹

نظرية ديوي الجمالية تصطدم بنظرية النزاهة الجمالية *disinterestedness aesthetic* التي أسسها كانط Kant ووصف الجميل بأنه غائبة من دون غاية معينة وفصلها شوبنهاور Schopenhauer خلال منتصف القرن العشرين "الفن من أجل الفن".²

لكن ديوي يرى أن الفن الجميل لا يمكن أن يحي فوق منصة منعزلة عن مجال الحياة العملية، فالفن مثل الدين لا يمكن إستبعاده من مجال الحياة الإجتماعية، يقول ديوي: "الريش المتموج والملابس المزخرفة والحلي الزاهية المصنوعة من الذهب والفضة كان هذا داخلا في مضمون الفنون الجميلة".³

¹ - جون ديوي، *الفن خبرة*، ترجمة زكريا إبراهيم، مراجعة زكي نجيب محمود، تقديم سعيد توفيق، المركز القومي

للترجمة، القاهرة، مصر، طبعة جديدة، سنة 2011، ص 10

² - المصدر نفسه، ص 11

³ - المصدر نفسه، ص 12

يبين أن فن الرقص والتمثيل هما من فن المسرح وهما جزء من الطقوس والإحتفالات الدينية، ونجد هذه الأفكار بينها الفيلسوف الألماني "هانس جورج غادامير Hans Georg Gadamer" عندما تكلم عن الفن في عالم اليونان كان يعبر عن عالمهم الإجتماعي والديني والأسطوري.

هذا ما يسميه ديوي "التصور الإنعزالي للفن" حيث ينتقد الفصل بين النشاط الفني والعلمي بدعوى أن الفنان لا يفكر في حين أن الباحث العلمي لا يقوم بشيء آخر سوى التفكير، يمكن التساؤل ما موقف ديوي من الخبرة الفنية؟ هل يدعو إلى التوحيد بين الجميل والعلمي؟ أليس للخبرة الجمالية سمات تميزها عن غيرها من الخبرات العلمية؟

يهدف ديوي لعدم الفصل بين خبرة الفن وخبرات الحياة العملية ليس معنى هذا التوحيد بينهما، فالحقيقة أن الشيء المشترك بين الفنون هو الإمتزاج بين الوسائل والغايات يقول: "إن ما يكون لب كل إبداع فني وكل إدراك جمالي، إنما هو الإحساس بالواسطة من حيث هي واسطة".¹ لكن هل هناك خصائص تميز الخبرة الفنية بإعتبارها خبرة جمالية وإن تداخلت مع غيرها من الخبرات؟

هناك سمات عديدة تميز الخبرة الجمالية عند ديوي منها المادة والصورة في طبيعة النشاط الفني، فالصورة بوجه عام هي الأسلوب الذي يصطنعه المرء في التعبير عن المادة. ما يميز الخبرة الجمالية هو الإستماع الجمالي المرتبط بالإحساس والرغبة وهنا نجد ديوي ينقد كانط Kant كونه جعل من الإشباع الجمالي مقصورا على خبرة التأمل المعرفي يقول ديوي: "إنه لم يقدم لنا في مؤلفاته أي دليل على تمتعه بحساسية جمالية خاصة".²

¹ - المصدر نفسه، ص15

² - المصدر نفسه، ص16

هنا يوجه إتهاما مباشر إلى كانط ويرى ديوي أن العدو الحقيقي للجمالي، هو الشيء الرتيب المتبدل Rumdrum كترخي الأهداف المائعة والأدعان للتقليد في الحياة العملية والنهج العقلي وليس العملي والعقلي.

أثرت القيم الدينية على الفن ونجد هذا ضمن الأقاليم العبرية والمسيحية خلال التاريخ الأوروبي، كانت مادة أساسية لجميع الفنون فهناك لوحات بيزنطية وإيطالية فيها لوحات دينية، ولا شك أن الأشكال الفنية المختلفة مرتبطة إرتباطا وثيقا بما هناك من إختلاف في التفكير الديني والممارسات الدينية، ويبقى التأثير المباشر للقيم العلمية على القيم الفنية، إنما هو أقل بكثير من تأثير الدين.¹

لقد أثر الفن في الفرد تاريخيا فمن الحضارة الصينية والفرعونية إلى الأساطير اليونانية مرورا بالكنيسة في العصور الوسطى، إنتقالا إلى الإبداعات الجمالية في عصر النهضة وصولا إلى مناظر الحياة المعاصرة التي إصطبغت بالناحية الإجتماعية. بمعنى أن لكل ثقافة فرديتها الجماعية الخاصة التي يصدر عنها العمل الفني فهي حضارية ولها دلالة جماعية، فالكيفية الجمالية واحدة بالنسبة إلى الفرد اليوناني أو الصيني أو الأمريكي.²

فالتجربة الجمالية مظهر للحياة ووسيلة لترقية تقدم الحضارة لهذا قديما كانت أئينا موطن الشعر الحماسي والغنائي ومقر فنون الدراما، والبناء والنحت ولم تفهم فكرة الفن وربما ما كان يطلبه أفلاطون من رقابة على الشعر والموسيقى، هو ضريبة للأثر الإجتماعي بل السياسي الذي حقيقته الفنون، وبتالي فالإنسان ينسج اللباس ويرسم على الجدران ويبني المباني والكثير من الأعمال.

¹ - المصدر نفسه، ص 545

² - المصدر نفسه، ص 554

إذن هذه طريقة تغير العالم بالأفعال والطريقة الأخرى هي تغير النفس بالفكرة والإفعال. فهل الفنون هبة الألهة أم إستغلال لمواهب البشر؟

لقد عاش الناس سعادة وإستمتاع بالفنون التي يمتلكونها وإستطاع الفلاسفة تغيير الأفكار بالعمل، أما رجال الدين يرفعون شأن التغيير في عواطف القلب وهذا يتم بالعاطفة الذاتية، يقول ديوي: "يمكن للمرء أن يفعل ما يريده في الفن، بشرط أن يحرص على ألا يعجبه ما أنتجه."¹

أعيد ربط الفنون بالحياة البشرية مع الكنيسة فقد عملت من خلال قداستها وأسرارها الدينية على إحياء ما كان مؤثرا في كل الطقوس والشعائر، وإرتبطت الفنون كالنحت والموسيقى والأدب بالأماكن التي كانت تمارس فيها العبادات. وبتالي فإن التعاليم الدينية كانت تتقل بسهولة وتدوم طويلا، ومعنى هذا أن وجود الفن في تلك التعاليم الدينية قد حولها من مجرد عقائد أو مذاهب إلى خبرات حية أصبحت تربية دينية في الفرد.

ونشير ما حدث سنة 787م حينما أصدر مجمع "نيقيه الثاني" بصفة رسمية قراره: "إن مادة المشاهد الدينية لا ينبغي أن تترك حرة تحت تصرف إبداع الفنانين، بل ينبغي أن تستمد من المبادئ التي وضعتها الكنيسة الكاثوليكية والتقليد الديني، فالفن وحده ملك للفنان وأما تنظيمه وتنسيقه فهما ملك لرجال الدين."²

بمعنى أنه ينتج إتصال النفس الإنسانية بالعالم الخارجي تجربة جمالية ودينية فكلاهما يصدران عنها، فالتجربة الدينية يحس المرء بشعور من الأمن والإجلال والإستسلام أما في التجربة الجمالية يحس بشعور من الغبطة والمتعة والإرتياح.

¹ -John Dewey, *In Art As Experience*, ny, 1934, ch, xiv Harvard, p326

² -جون ديوي، الفن خبرة، مصدر سابق، ص552

إن الإنسان كائن حي يتفاعل مع بيئته وتتكون له خبرة متواصلة ولكي نفهم الجمال في صورة النهائية، علينا أن نبدأ بالمشاعر الأولية في صورها الخاصة في الحوادث والمناظر التي تلفت نظر الإنسان وسمعه. يقول ديوي: "لست أرى أي أساس نفساني كمثل هذه الخصائص عن الخبرة سوى أن الأثر الفني يعمل على تعميق وتوضيح ذلك الإحساس بوجود كل محيط، ولا نهائي مما يصحب أي خبرة عادية وعندئذ نشعر بهذا الكل وكأنه إمتداد لأنفسنا."¹

المقصود بكلمة الكل "Whole" أي العلم كله بما فيه أنفسنا كما صور "بارمينيدس parmenides" فعلا العالم الذي نعيش فيه عالم تغير متصل وجريان دائم ولكن هناك إيقاع منتظم خلال هذا التغير. يتصور ديوي فكرة الفن أنها أشبه بالكائن الحي تسري من أول صفحات الكتاب هكذا يفسر جميع المشكلات التي تواجه علم الجمال يشبه رسم الفنان بالمولود الجديد يجب أن نعيش معه حتى نفهمه. إذن الفن إنساني أي إجتماعي فالتجربة الجمالية مظهر لحياة الحضارة والفن قوة عظيمة تحقق الترابط الإجتماعي لهذا فعظمة الإغريق والرومان ومصر القديمة تلخص أثارها ومعابدها وأدائها، فالفنون هي المظهر المعبر عن حضارات الأمم.

حسب ديوي الفن وثيق الصلة بالحضارة بدليل أن شتى خبرات المجتمع العملية والإجتماعية والتربوية، قد إصطبغت في كل مكان وزمان بصبغة جمالية واضحة فالكل حضارة فنونها الخاصة، وبالتالي فالحضارة لصيقة بالفن وتابعة لها فلا حضارة دون فن بإعتبار أن الخبرة الجمالية هي مظهر لحياة كل حضارة وسجل لها ولسان ناطق يخلد ذكراها ويحفظ أمجادها.²

¹ - John Dewey, In Art As Expérience, p195

² - منتهى عبد جاسم، فلسفة الفن عند جون ديوي، مجلة كلية الآداب، جامع المستنصرية، العدد 101، سنة 2011

يعتبر الفن إنتاج جمالي ينتجه الإنسان الواعي ويضيفه إلى الطبيعة، فقد رأى أفلاطون Platon أن الفن طريقة في التعبير بواسطة أشياء حسية من عالم المثل، لهذا فهو يلعب دورا مهما على تذكير النفس بالعالم الذي كانت فيه، بينما يرى أرسطو Aristote أن الفن له دور مزدوج هو محاكاة الطبيعة ثم التسامي عنها وعلى الفن أن يقدم لنا نماذج وصورا مشتقة من القوانين العامة التي تحكم الطبيعة.

يرى توماس الإكويني Thomas Aquinas أن الفن يعبر عن صراع النفس والألم التي تعانيتها عندما تبتعد عن الإله، ودور الرسم والموسيقى لا يخرج عن هذا الهدف بمعنى بقي الفن خادما للدين ومرتبطة أشد الارتباط بالقيم الدينية. أما الفن عند المسلمين فقد إرتبط كثيرا بالفن الشعري، وقد شمل نظرة دينية ونجد إيمانويل كانط Emmanuel Kant في القرن الثامن عشر بأن الفن ليس إظهار الشيء الجميل بل إنه طريقة جمالية في إظهار الشيء والفنان ليس رسولا أو مبشرا وقيمة عمله الفني لا تستمد من الهدف الذي يعمل له بل من قيمته الجمالية الذاتية.¹

من هنا تأسست نظرية "الفن للفن" التي ترى أن الفن يحمل معناه وقيمه بداخله كالدين والأخلاق، كما نادى هيغل Hegel في القرن التاسع عشر أن الفن غاية فهو يرى أن الفن ماهو إلا حركة جدلية وتعبير أصلي ونهائي عن "الفكرة المطلقة" وتطورت فكرة الفن مع ديوي، الذي إعتبر الفن خبرة وقد ربطه بالتجربة أو الخبرات فخلع عنه الصبغة النفعية والعملية وجعله إنساني يحمل طابع جمالي.

من خلال كتابه "الفن خبرة" يدعو ديوي إلى فهم جديد لمعيار الجمال، فالفلسفة تبدأ بالدهشة وتنتهي بالفهم، أما الفن يبدأ مما سبق فهمه وينتهي بالدهشة.

¹ - عطية، محسن محمد، غاية الفن، دراسة نقدية، عالم الكتب، القاهرة، دط، سنة 2010، ص46

ركز ديوي على المفاهيم الأساسية للفن مثل الخبرة الجمالية، نظرية التعبير دور الإنفعال في العمل الفني، المادة والصورة، البعد الزماني والمكاني في الفن، النقد الفني أو الحكم الجمالي. لا ينظر ديوي إلى الفن على أنه محاكاة Imitation بمعنى الفن يحاكي الطبيعة بل أن الفن هو العمل الفعلي التجريبي، الذي يحاول أن يكشف عن مكامن الفجوات بين الإنسان والمجتمع والبيئة، يقول ديوي: "فلسفة الفن لا بد أن تصبح عقيماً ما لم تتبناها إلى وظيفة الفن في علاقته بما عداه من ضروب الخبرة."¹

ينتقد ديوي النزعة الجمالية المتطرفة التي ترى أن "الفن للفن" حيث يتفق هيغل وأرسطو في إعترافهما، من أن للفن وظيفة تطهير أخلاقية فهو ينفى العواطف والإنفعالات ليظهرها.² يرى ديوي أن الإدراك الحسي المتسامي إلى درجة النشوة وإن شأت فقل التقدير الجمالي لهو في طبيعته كأى تُلذذ أخر نندوق بمقتضاه، أي موضوع عادي من موضوعات الحياة اليومية.³ إذن العنصر الجمالي في رأي ديوي ليس خاص بالفنون الجميلة وحدها بل إنه ليكسوا أي عمل يقوم به الإنسان يستحق أن يحمل سمة جمالية، يستشهد ديوي على أداتية الفن بقول جورج سانتيانا George Santayana: "تأمل الطبيعة يقتادنا إلى إيمان عميق بالمثل العليا، وهذا يصدق على الفن كما يصدق على الطبيعة، فهو يظهر لنا على أن العمل على تكوين نظرة جديدة نحو ظروف الخبرة العادية ومقتضياتها."⁴ يتضح أن الفن في نظر ديوي خبرة تساعد الإنسان في حياته على التعلم.

¹ - جون ديوي، الفن خبرة، مصدر سابق، ص 419

² - أبوريان، محمد علي، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط 4، سنة 1974 ص 39

³ - جون ديوي، المصدر نفسه، ص 419

⁴ - المصدر نفسه، ص 234

يرى ديوي أن الخبرة الجمالية هي خلاصة ذلك التفاعل مع البيئة وإستجابة طبيعية لمظاهرها، إذن لا يوجد فاصل بين التجربة الجمالية والحياة اليومية العملية ويشير في نقده لأرتور شوبنهاور Arthur Schopenhauer: "أراد أن يفرض نظرية فلسفية لا تصدر عن التجربة."¹ بمعنى أنه ينفي أن الفن تجربة في حياة الإنسان وهذا ما يرفضه ديوي. لقد رفض ديوي كل الصيغ الإلهامية والحدسية القديمة والحديثة التي تضع الفنان بموضع الأنبياء والملائكة، فهو يرى أن الفنان إنسان عادي إختار الفن كقيمة وعمل في حياته لتحقيق خبرات ميدانية، ويشير ديوي إلى أن فنون النحت والتصوير والموسيقى والأداب قائمة في أماكن العبادات، وكانت هذه الأعمال الفنية أكثر من مجرد فنون فهي تنقل التعاليم الدينية بين المصلين الذين يتجمعون في المعبد وتدوم مدة أطول بمعنى أن الفن حول هذه التعاليم الدينية من مجرد عقائد أو مذاهب إلى خبرات حية.² ذكر ديوي في محاضرات ألقاها بجامعة هارفارد أنه يسعى إلى محاربة مفهوم الجمال، كمظهر معزول عن بقية المفاهيم البشرية التي تؤدي إلى عزل المتاحف عن أشياء الفن objets d'art لأن الجودة الجمالية، هي تجسيد لخبرة مشتركة وليست ظاهرة منفصلة، لأن أي تجربة هي نتيجة لعبة متبادلة للقوى التي تنتقل بين حدث خارجي وشخصي لهذا يجب توصيل العمل الفني كعمل للتعبير عن الآخرين. يميل الفن في الأساس إلى وضع الفرد في إتصال مع الآخرين وتشكيلهم فيما بينهم ووجود صلة بالتجربة المشتركة المباشرة، وهي طريقة للهروب من الفردية إلى فضاء الجماعة وتبادل الخبرات وتطوير مهارات التعلم والتربية بعيدا عن التجربة الدينية التي تهدف إلى وضع الفرد تحت لواء الجماعة.³

¹ - المصدر نفسه، ص 195

² - المصدر نفسه، ص 596

³ - Dewey John, **L'art comme expérience**, traduction, jean pierre cometti et alii, Editions farrago, université de Pau, 2005 et Gallimard 2010, p132

رؤية نقدية للتربية الدينية عند ديوي:

يجمع المفكرون على أن فكر ديوي يبقى يلعب دورا علميا وعمليا وحيويا في الميدان التربوي المعاصر، رغم كل الانتقادات الموجه له، وأول ما يشار إليه أن ديوي غرس في أعماق التربية فلسفته الإلحادية *Atheistic philosophy* حيث أصبحت القيم نسبية. لقد كتب ديوي تقريرا عن طرق إصلاح التعليم في تركيا ينص على ضرورة توسيع دائرة التعليم المهني وتوجيه التعليم نحو الدراسات العملية، وقد جاء هذا التقرير وفق زيارة قام بها ديوي إلى تركيا، حيث وجد أن العلوم النظرية هي السائدة في حين أن العلوم العصرية مهمة، لهذا طالب بإنشاء مؤسسات وتخصصات تلبى التطورات في ذلك العصر الصناعي.

لقد تعرض ديوي للنقد عندما اقترح طريقة حل المشكلات كطريقة من طرائق التدريس في المدرسة، ورغم كل ما قيل عنها إلا أنها لم تقلل من قيمة هذه الطريقة فالكل وسيلة تربوية نقاط إيجابية وسلبية، وأكد هناك نمو متزايد لأفكار ديوي التربوية لأن التكنولوجيا المعاصرة ستفتح آفاق البحث الحر والمشاريع الإبداعية، والانفتاح الثقافي العالمي كما أن سقوط الشيوعية زاد من إنتعاش الديمقراطية، وبتالي إنتشار أفكار ديوي على المستوى العالمي.

تعلم ديوي من إسهامات الفلسفة الكلاسيكية ثم رسم مدرسته الحديثة على أسس نفسية وإجتماعية، لقد أخذ من سقراط صبره ومن أفلاطون عمق التأمل ومن أرسطو واقعيته، وحاول تقديم فلسفة جديدة إنها البراغماتية.

ربط ديوي الفلسفة بالتربية تم ربط التربية بالحياة العملية ومشكلاتها وتحدياتها بأفكاره، ذات النزعة العملية وتركيزه على النشاط الذاتي للفرد والخبرة المستمرة له.

تحمل كتابات ديوي في طياتها نقدا لادغا للتربية التقليدية السائدة في عصره حيث إنقذ التربية، التي تعتمد على حفظ المعلومات وإعداد المتعلم للمتقبل مع تجاهل الحاضر وتهميش المرحلة التي يعيشها المتعلم.

التربية التقليدية قاعدتها أن المعلم هو أساس العملية التربوية لكن ديوي غيرها وأصبح المتعلم هو أساسها، أشار ديوي وأكد على دور الأسرة والمدرسة والمجتمع في تنمية المتعلم وقدراته. ينكر الغربيين فضل الحضارة الإسلامية وأثرها في النهضة الغربية أما ديوي فأكد على أن الغرب لا يذكر فضل الحضارة الإسلامية عليهم يقول: "إننا عادة نغض الطرف عن الاعتراف بفضل الحضارة المحمدية وأثرها في الحضارة النصرانية فلقد كانت الحضارة الإسلامية متقدمة بشكل كبير، هذا كان صحيحا في ميدان الفلسفة وأيضا في الميادين الأخرى."¹

تحدث ديوي في كتابه "نظرية الحياة الأخلاقية" عن دور العقل في غرس القيم والأخلاق، فهو يعتقد أنه لا يكفي المدح والدم والثواب والعقاب والتحليل والتحرير كأساس للأخلاق، لهذا يؤكد على الذين يضعون القانون ويشركون في إيجاد العادات يجب عليهم أن تكون لديهم رؤية ثابتة للحقائق.

يرى ديوي أن أسلوب المحاضرة لا ينفع المتعلمين كونه يجمع المعلومات لهذا يفضل طريقة حرية المتعلم أكثر إيجابية في تقصي المعلومات. كما رفض الإتجاهات التربوية التقليدية التي تجعل المادة الدراسية محورا لها، و يرى أن الخبرة الذاتية للفرد والنجاح الفردي هما الأساس للأخلاق وليس تراكم التراث الثقافي للإنسانية أو لمصلحة المجتمع وقيمه.²

¹ -John Dewey, **And,american democracy**, by robert b.westbrook,cornell university press,1993,p105

² - عمر أحمد الهمشري، **مدخل إلى التربية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، سنة 2009، ص 135

التربية الدينية عند ديوي لا تتقيد بمعايير روحية بحيث لا وجود لقيم سابقة فهي تنشأ أثناء القيام بالتجارب الناجحة وتتحقق بحل المشكلات، والمصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية هي الخبرة والنشاط الذاتي للفرد.

يؤمن ديوي أن القيم الأخلاقية هي إنسانية تتبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان وليست أخلاق متعالية، بهذا الاعتقاد يخالف الأديان السماوية والنظريات الأخلاقية القديمة التي تعلي من شأن الحياة الروحية وأن السعادة مرتبطة بتصفية النفس وتركية العقل. ويعتقد أن هدف التربية هو النمو ولا وجود لهدف نهائي يقول: "الفكرة القائلة بأن النمو والتقدم يرميان إلى هدف نهائي لا يغير ولا يتبدل هب آخر أمراض العقل البشري في إنتقاله من نظرة جامدة إلى الحياة إلى نظرة مفعمة بالحركة."¹ بمعنى أن النمو والحياة والتربية هي مسميات لإسم واحد.

الإهتمام بالعملية التربوية نظريا وتطبيقيا لأن التربية تشكل جوهر إهتمامات الإنسانية جمعاء، ويبقى العلم هو التفكير النظري والأخلاق هي السلوك العملي في الحياة ويجب تخليص علم النفس من جميع الأفكار الميتافيزيقية والتركيز على الشعور والوعي وتطبيق علوم الحياة على نفسية البشر.

إختار ديوي التجربة والملاحظة كمصدرين للمعرفة وطبقها في مجال الأخلاق والدين فهو لا يؤمن بحقيقة مطلقة، وتتنوع الأديان والمعتقدات مع تنوع البشر ولا ندري من هو على صواب، لكن يجب علينا الإختيار بناء على الإيمان والأمل في أن يكون إختيارنا هو الصواب. والإله عند ديوي هو وحدة كل القيم العليا التي تسموا بالإنسان وتعلي من شأنه، والسلطة الدينية لا تأتي من خرافات وإنما يجب أن تأتي من تجارب كل مجتمع في كل عصر لكي تحقق حاجة المجتمع وتساهم في حل مشاكله.

¹ -عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، دط، سنة 1987

يرى ديوي أن الدين ليس عبادات وطاعات بقدر ما هو تفاعل الإنسان مع مجتمعه ومع بيئته، فهو لا يعارض التدين ولكنه يرى أن الدين طريقة لتفاعل الفكر الإنساني مع تعاليم الإله ومع الطبيعة، فالدين نشاط ومشاركة في الحياة وإيجاد حلول لكل الأديان طرق مختلفة للوصول للحقيقة المطلقة.¹

يفرق ديوي بين الدين والتدين، فالدين قوة عليا ومعرفته تقتصر على رجال الدين، الذين لهم تجارب دينية من شعائر وطقوس أما التدين فهو ظاهرة إجتماعية خاضعة للثقافة أو الحضارة، فالإنسان يولد في جماعة لها وحدتها الإجتماعية ونظمها وتقاليدها ويحتفل بها في طقوس وعبادات وعقائد تصدر عن ديانة جماعية.²

يعتبر ديوي عدو للميتافيزيقا حيث يرى أن التفكير الميتافيزيقي لا يبدي في واقع الأمر أدنى إهتمام بما يتصل بسيطرة الإنسان سيطرة عاقلة على الطبيعة، ومن جهة أخرى التفكير الميتافيزيقي يعوق البحث ويصعب الفلسفة بصبغة قطعية جامدة، ولهذا هاجم ديوي الدين لهذين السببين. وقد دعى إلى التفريق بين المعنى التقليدي للدين وبين معنى صفة الديني.³ لقد رفض الميتافيزيقا ويعتقد أن مشكلة الفلسفة إختلاطها بالأبحاث الدينية. يعرف ديوي ما هو ديني: "أي نشاط نتابعه سعيا إلى مثل أعلى وعلى الرغم مما يواجهنا من عقبات وما يتهددنا من خسارة تلحق، بأشخاصنا ولا سبب إلا لإقتناعنا بقيمة العامة النافقة هو نشاط من نوع ديني."⁴

¹ -John Dewey, Acommon Faith, new Haven and London, by Yale University press, 1934, p29

² - زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، سنة1987، ص 6

³ - مارثن أي مارتني، الديانة في أمريكا، بحث ضمن كتاب بناء أمريكا، لوترين لوديك، ترجمة إيمان نور ملمس، مركز الكتاب الأردني، الأردن، سنة1989، ص329

⁴ - المرجع نفسه، ص333

يقول ديوي عن الدين: "لا ينبغي لأحد أن يزيل التعارض بين القيم الدينية كما أتصورها وبين الأديان لا شيء، إلا لأن إطلاق هذه القيم من عقالها هو على جانب كبير من الأهمية، ولأن التوحيد بينها وبين معتقدات الأديان وطقوسها ينبغي أن ينفصم."¹

يمكن القول أن المعتقدات تعددت في أمريكا بحيث وصل عددها حوالي 1200 مجموعة دينية منها الديانة الكاثوليكية، التي جاءت من خلال رجال الدين، الذين قدموا من أوروبا خلال القرن السادس عشر. أما الديانة البروتستانتية فقد غلبت على أكبر عدد من الأمريكيين المتزمتين وهؤلاء يعلنون من شأن إرادة الفرد إعلاء، حيث تحفظ حقوقه ويعيش حراً.²

وكانت لهم حروب دينية مع الكاثوليك أعداء المسيح ومع مطلع عصر التنوير في أمريكا تحولت البروتستانت الفلسفة جديدة بأبعاد دينية، حيث إهتموا بالطبيعة بدلا من التاريخ والعلم بدلا من الإيمان والمنطق بدلا من العقيدة. ووسط هذا الكم الهائل من المعتقدات الدينية كان لابد أن يتعرض ديوي للدين في مذهبه الطبيعي الذي حاربه الكاثوليكية دائما يقول ديوي: "واجبنا يقضي علينا بأن نأخذ الطفل على أنه عضو في مجتمع بأوسع ما في ذلك من معنى، وأن نطالب بكل ما هو ضروري لمساعدة الطفل على أن يتعرف على علاقاته الإجتماعية وأن يلعب دوره في تحملها."³

يشير ديوي في قوله أن الطفل يتأثر بمحيطه الإجتماعي، بمعنى جانب التربية الدينية تتبع من هذه الجماعة، إما أن تكون كاثوليكية أو بروتستانتية أو تحمل طابعا

¹ -John Dewey, **Common Faith**, Henry Hort, U.S.A, 1934, p60

² -أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، مصر، ط2، سنة1968، ص30

³ - جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة 1960، ص240

ديني آخر هذه العلاقة تغذي النمو عند الطفل وتغير من سلوكياته وفق أسلوبها التربوي الديني.

يرفض ديوي النظام التربوي التقليدي لأنه نظام مفروض من سلطة عليا خارجة عن التلاميذ أنفسهم، وهو يرفض معايير البالغين ومادة دراستهم والطرق التي تلائمهم مع أولئك الذين يسرون سيرا بطيئا نحو النضج ولم يبلغوه بعد.¹

فإذا كان الكبار هم الذين يختارون ما يدرس وما يفيد الصغار في المستقبل فإن النتيجة، هي أن ما يتعلمه الصغار يقع خارج مجال خبرة الحياة الحاضرة لهم فتكون المادة الدراسية غريبة عنهم لأنها ترتبط بالماضي، من النوع الذي تبينت فائدته لأفراد من الأجيال الخالصة". هذا ما يرفضه ديوي رفضا مطلقا لأن الخبرة في نظره هي دائما خبرة الحياة الواقعية لفرد ما.²

يرى ديوي أن المجتمع الذي إقترحه أفلاطون في نظريته التربوية هو مجتمع غير ديمقراطي، لأن أفلاطون وقع في تناقض صريح بحيث أكد أن مكانة الفرد لا ينبغي أن تحدد وفقا للمولد أو الثروة، بل تتحدد بطبيعته الخالصة التي تكشف عنها التربية غير أنه من جهة أخرى لم يكن لديه أي إدراك لتفرد الأفراد".³ هكذا فإن التقسيم الأفلاطوني هو تقسيم سطحي في نظر ديوي لأن التقدم في المعرفة، نبهنا إلى سطحية حشد أفلاطون الأفراد وقواهم الأصلية في طبقات قليلة حاسمة التمييز بعضها عن بعض، فقد علمنا هذا التقدم أن القدرات الأصلية لا حد لعددتها وتباينها.⁴

¹ - جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة محمد رفعت رمضان نجيب إسكندر، مراجعة مجد بدران، مكتبة

الأنجلوالمصرية، القاهرة، مصر، دط، سنة 1977، ص 12

² - المصدر نفسه، ص 64

³ - جون ديوي، التربية والديمقراطية، مصدر سابق، ص 83

⁴ - المصدر نفسه، ص 84

يكمن العيب الأساسي للتربية التقليدية في نظر ديوي في تهميشها لدور مكانة الطفل في العملية التربوية، وإتباع طرق بالية تجعل من المعلم مركز تلك العملية هذا ما جعل المتعلم أشبه بدلو يملئ بالمعلومات وأشبه بألة تسجيل كل ما يسمعه.

لقد دعى ديوي إلى جعل التلاميذ يتعلمون عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي ورفض طريقة الحفظ لأنها من المخلفات غير مرغوب فيها للتربية التقليدية فحشو أدهان المتعلمين يجعلهم يشعرون بالإعاقة في حالة التفكير يقول ديوي: " لا يجوز أن يمد الآخرون الكتاب والمعلم حلولا جاهزة، بدلا من تقديم مادة على التلميذ أن يكفيها ويستخدمها في المسألة التي بين يديه بنفسه".¹ أي أن تعليم الأفكار مهما كان نوعها وحجمها لا يفيد المتعلم في شيء إذا لم يحسن هو عملية التفكير الذاتي وتنمية التفكير لدى الطفل هي الخبرة.

لقد ذكر روزن Rosen نقده على هذه النتائج وإعتبر المدرسة التجريبية لجون ديوي في شيكاغو تجربة فاشلة، حيث لم يتعلم فيها الأطفال ما هو ضروري لهم وظهر الفارق خاصة بعد تفوق الإتحاد السوفياتي، في مجال الفضاء مقابل أمريكا هذا ما جعل البراغماتية تتعرض إلى هجوم ونكوس وإنتشرت الدعوى لتعديل المناهج الدراسية وعاد الإهتمام بالمواد العلمية مثل الرياضيات".²

يمكن القول أن البراغماتية فلسفة مادية تنظر إلى الإنسان ككائن مادي بيولوجي ولا تهتم بالجانب الروحي، فأصبح الدين حسب ديوي بلا دور يؤديه في العملية التربوية وتم تهميشه في المناهج الدراسية، وأصبح تعلمه يقتصر على الفرد هكذا

¹ -Dewey, John, **Démocratie et Education**, Présentation de gerard, bordeaux, presses des imprimeris Delmas, 1983, p193.

² -Rosen, F.B. **Philosophie Systems and Education**, Ohio, Charles Merrill, 1968, p18.

أصبح التعليم والتربية الدينية خارج الإطار الرسمي العام.¹ بمعنى علاقة الدين بالتربية أصبحت تقتصر على الجانب الفردي وليس الاجتماعي، وبتالي تم إقصائه من المدرسة وحتى الطفل حسب ديوي ليس له القدرة على فهم الفكر الديني، فهو يهمل التعلم واللعب في بداية حياته.

يعتبر ديوي الأخلاق المدرسية وجه من الأخلاق العامة التي فيها جانب اجتماعي وجانب فردي يهتم بالسلوك، فيمكن تطبيق هذه الأخلاق في المدرسة، كما أن الأخلاق فردية حيث أن دراسة الطفل تكشف لنا عن مصدر السلوك في الغرائز والدوافع، كما أن حاجتنا إلى إيمان صادق تحققه المبادئ الأخلاقية التي ندرسها والجماعة المدرسية هي الحياة الحقيقية.²

تلكم ديوي عن الطبيعة الإنسانية فهي متغيرة كما أن البيئة متغيرة وهناك تفاعل بينهما، لهذا ركز في العملية التربوية على الناحية الجسمية والعقلية في تربية الطفل الذي يكتسب تعلماته من خبراته وتعامله، وبتالي أصبح التعلم عملية وظيفية غايتها الأساسي المساعدة على تجدد الحياة وعلى تتميتها يقول ديوي: "إذا حاولنا أن نصوغ فلسفة التربية التي تقوم عليها ممارسات التربية الحديثة، فمن الممكن فيما أعتقد أن نكتشف عن طائفة من الأسس المشتركة بين مختلف المدارس التقدمية".³

¹ -بدران سليمان شبل، الأصول الفلسفية للتربية، شركة الجمهورية الحديثة، الإسكندرية، مصر، دط، سنة 2002 ص 26

² -كفاح يحي صالح العسكري، الفلسفة التربوية بين الإمام الغزالي وجون ديوي، في ضوء رؤيتهما للطبيعة الإنسانية، مطبعة الرند، دمشق، سوريا، سنة 2013، ص 141

³ -جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، مصر، دط، دت، ص 17

قسم ديوي حياة الطفل إلى ثلاث مراحل:

- مرحلة اللعب التي تتميز بالنشاط الثقافي

- مرحلة التقنية يتعلم فيها الطفل التمييز بين الوسائل والغايات

- مرحلة الإنتباه التأملي تتميز بحل المشكلات¹

جمع ديوي مراحل حياة الطفل بين اللعب في المراحل الأولى، والتقنية في المرحلة الوسطى والإنتباه في المرحلة الأخيرة من طفولته ليصبح قادرا على مواجهة الحياة.

يشير ديوي إلى الأهداف التربوية حيث يقول: "إني أعتقد أن كل تربية تقوم على مشاركة الفرد في الوعي الإجتماعي للجنس البشري، وتبدأ هذه المشاركة لا شعوريا وتشبه أن تكون منذ الولادة تم لا تزال تشكل بإستمرار قوى الفرد بتغذية شعوره وتكوين عاداته، وتهذيب أفكاره وتبنيه مشاعره وإنفعالاته وعن طريق هذه التربية اللاشعورية يصل الفرد شيئا فشيئا إلى المشاركة في التراث، الذي نجحت الإنسانية في التوفيق بين جانبيه الفكري والخلقي وبذلك يصبح الفرد وريثا لما جمعته الحضارة من رصيد".²

إذن التربية عند ديوي هي ضرورة الحياة لأنها هي التي تسمح للحياة بأن تتجدد بالنقل، وحياة المجتمع الإنساني لا يمكن أن تستمر إلا عن طريق التربية التي هي سبيل الحياة وليست إعداد لحياة مقبلة، كما أنها السبيل الأساسي للتقدم الإجتماعي وركيزة الإصلاح، وتبقى وظيفة التربية هي مساعدة الطفل العاجز النامي لكي يصبح إنسانا سعيدا له أخلاق قادرا وفعالا، فالتربية عملية نمو القدرات الفطرية الإنسانية منذ ميلاده.

¹- جون ديوي، التجديد في الفلسفة، مصدر سبق ذكره، ص167

²- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص228

يرى ديوي أن الهدف ينبع من الظروف الراهنة يقول: " يجب أن يكون الهدف وليد الظروف الراهنة مبنيا على الأمور الجارية فعلا وعلى ما في الوضع من وسائل أو صعاب".¹ هذا يعني أن نهتم بالحاضر وليس بالماضي أو المستقبل، يمكن أن نلخص أهداف التربية الديوية أنها عملية للحياة وليست إعداد لحياة مستقبلية، فالطفل ينبغي أن يعيش حياته وفق ميوله وإهتماماته وحاجاته، فالحاضر هو ما يحياه الطفل ويعيشه.

فالهدف يخضع للتجربة التي قوامها التغير الذي تلائمه المرونة، فالخبرة أساسا للتعلم وخبرات الطفل تتطلب النمو والعيش في مجتمع ديمقراطي، لهذا جعل من النمو والتطور مقياسه الأخلاقي، فالنمو في نظره هو المقياس الأخلاقي وليس الخير المطلق.²

يرى ديوي أن الأخلاق تتغير بالتربية يقول: " وجود الدافع إلى الخير وتعوده وممارسته العملية... فمعرفة الخير ما كانت تقتبس من الكتب أو من الآخرين، وإنما هي شيء نتوصل إليه بالتربية في أحاد متطاولة مع الزمان هي النعمة النهائية التي تتمها علينا الخبرة الناضجة في الحياة".³ يعني ديوي بقوله أن التربية الدينية تجعل من الطبيعة الإنسانية طبيعة خيرة بعيدة عن الشر.

يعتقد ديوي أن الدين والأخلاق يجب أن يخضعا لإحتياجات الأفراد ويعد كل من العلم والدين مؤشرين للعمل أكثر من عندهما نظريتين عن طبيعة العالم. إعتبر ديوي الدين أنه مخدر للخيال وسباته الذي هو النتيجة النمطية الوحيدة النسق للعقيدة التعسفية الجازمة، وقد صرف الدين إلى ملكية عضوضة ملتصقة لحساب جزء محدود من

¹ -John Dewey, **How we think**, Revised Edition, D.C., Heath and Co. (New Yourk).p74

² - جون ديوي، الخبرة والتربية، مصدر سابق، ص75

³ - جون ديوي، الخبرة والتربية، المصدر نفسه، ص80

الطبيعة الإنسانية، وحساب جزء محدود من الإنسانية لا يجد له سبيلا لتعميم الدين سوى بفرض معتقداته التعسفية وطقوسه على الآخرين.¹

رغم كل الإنتقادات الموجهة لديوي إلا أنه إستطاع أن يكسب شعبية أمريكية و عالمية من خلال إقتحامه للعالم التربوي الذي يعتبر محور الحياة، لهذا نجد التربوي الصيني تسوون شأن Tsuin Chen يقول: " إن تقدير ديوي كفيلسوف بيداغوجي على نحو أفلاطون أو أرسطو أو القديس توما الإكويني أو ديكارت أو لوك أو روسو أو كانط أو حتى سبنسر سوف يكون خطأ فادحا. وهذا لسببين كل هؤلاء الفلاسفة محترفون في الفلسفة والتربية ثانوية عندهم أما ديوي تشكل التربية كل حدود فلسفته. ديوي لا ينطلق من مسلمات نظرية ومقولات نهائية يقوم بتطبيقها على التربية بقدرما ينطلق من فرضيات يمكن أن تزول بإختبارها في التربية".²

¹-كفاح يحي صالح العسكري، الفلسفة التربوية بين الإمام الغزالي وجون ديوي، مرجع سابق، ص167
²-Tsuin, Chen, *La doctrine pédagogique de John Dewey*, Edition Varin, paris, 1958,p443

المبحث الثاني: مكانة نظرية جون ديوي في أمريكا الثقافة - المؤسسات

توطئة:

ظهرت البراغماتية مع الفيلسوف الأمريكي تشارل بيرس Charles Pearce وعرفت بعدة تسميات مثل الأدوات والوظيفية والدرائعية والوسيلية والتجريبية.¹ بمعنى أنها إتجاه فلسفي يؤمن بالتجربة إنطلاقاً من الجانب الحسي للإنسان، وإتجاه ينظر إلى أهمية الأدوات التي تستعمل للمعرفة والوظائف التي تؤديها الأشياء وماتحملة من أفكار ويعتمد معيار الصدق على الإعتقاد حيث أن صدق الفكرة يكون بنجاحها في الحياة.

تعتمد البراغماتية على مبادئ فهي ترى أن التغير جوهر الحقيقة، والقيم نسبية وأهمية الديمقراطية كطريقة في الحياة والإنسان له طبيعة إجتماعية وبيولوجية. لقد بدأت البراغماتية برد فعل سليم ضد الميتافيزيقا وفلسفة المعرفة، وتوقع الإنسان منها تقديم فلسفة عن الطبيعة والمجتمع، لكنها إنتهت بالدعوة إلى إحترام كل عقيدة دينية وتبجيل كل إيمان.² لقد قبل ديوي نظرية التطور الداروينية فالعقل والجسم عضوان تطوراً في التنازع على البقاء. كان ديوي صريحاً في إتجاهه الطبيعي وإستتكر طريقة شوبنهاور والدافع الحيوي الذي تحدث عنه برغسون، أما الإله موجود في نفوسنا وليس في القوى الكونية المحايدة ويجب علينا الإخلاص في الأرض.³ يرى ديوي أن الفرد يمثل دور فعال في المجتمع يرتبط بمدى إخلاصه في الحياة، لكن كيف ربط ديوي المجتمع والثقافة والمؤسسات بالتربية الدينية؟ ما دورها في التنشئة الفردية؟ ما مكانة هذه المؤسسات في أمريكا؟

¹ - يعقوب فام، البراجماتزم أو مذهب الدرائع، دار الحدائثة، بيروت، لبنان، ط2، سنة1985، ص137

² - محمد منير مرسي، فلسفة التربية، إتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، سنة2002، ص188

³ - ويل ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف

بيروت، لبنان، ط6، سنة1988، ص629

المجتمع كرمز للتربية الدينية:

المجتمع تتم به الحياة الإنسانية وإستمرار الوجود، فالشعور بالكل قد إرتبط بالإحترام والحب والإخلاص، وهي أمور مشتركة بين الناس وأصبحت طقوسا إجبارية عليهم هكذا فقد الدين نفسه في الطقوس والمعتقدات والخرافات، بهذا فقد الدين وظيفته كحاسة في المجتمع وفقد الفرد مكانه فيه وحرف الدين ليصبح ملكا للجزء محدود من الناس، هكذا ظهرت جماعة متعصبة متمثلة في القساوسة والقسيسون والكنيسة، ومن هنا أقيمت آلهة أخرى ضد الإله الواحد.

يعتبر الدين كإحساس بالمجموعة هو أكثر فردية وتلقائية لا يتجدد بل يتنوع لأن الفردية تعني إرتباطات في مجموعة، هكذا تشكل الدين في معتقدات ثابتة محددة يعبر عنها في طقوس وشعائر، وبدلا أن يميز حرية الفرد وأمنه في الجماعة تحجز فأصبح عبودية في الفكر والعاطفة وأصبح لا يحتمل من جانب الكثرة.¹

يعتقد ديوي أن تحريف الدين يؤدي إلى خداع يصبح العالم مماثلا لرغباتنا الشخصية، وعند توفر هذا الإحساس نؤجل الفناء ونعيش فيما هو عالمي، فحياة المجتمع التي نعيش فيها ونحقق فيها وجودنا هي الرمز المناسب لهذه العلاقة، والأفعال التي ندرك فيها علاقاتنا التي تربطنا بالآخرين هي طقوسها وشعائرها الوحيدة.

هذا يعني أن ثقافة جماعة ما في عصر معين هي لا شك المؤثر الذي يتعين به نظام هذه الجماعة، وهي التي تميز نشاط أية جماعة أسرة أو قبيلة أو شعبا إذن حالة

¹ -جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة محمد لبيب النجيجي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر،

الثقافة هي التي تعين ترتيب النزعات الفطرية وتحدد نظامها، فحتى الأطفال الذين يتكلمون لغة الجماعة التي يعيشون في وسطها وأيضاً يشتركون في صفات بينهم.¹

الثقافة مركب معقد من العادات تتجه إلى العمل على الإحتفاظ لكيانها وصيانة نفسها، إن صيانة المؤسسات الديمقراطية والمحافظة عليها ليس بالأمر الهين الذي كان يظنه الأباء المؤسسون الأوائل للنظام الأمريكي.

التفكير الفلسفي ليس بحثاً عن الحقيقة المطلقة في إنعزال عن الثقافة التي يعيشها الفيلسوف، ولكن هو تعبير عن الأحداث الإجتماعية والمؤسسات والقيم والنظم التي تسود عصره، والتي تقوم عليها ثقافته يعكس الفيلسوف معتقدات عصره والمشاكل الإجتماعية أو التي تتعلق بالعلم الطبيعي كما يناقش مشكلات عصر تاريخي قد مضى أو في زمانه ويتصور المستقبل ويعكس كل هذا التصور في زاويته الخاصة وبأسلوبه في إطار المعرفة.²

يرى ديوي أنه في أي وسط ثقافي نجد أن النظريات الفلسفية المتصارعة عن طبيعة المعرفة والعقل، يمكن ربطها بوضوح بالأسباب والأسس المتعارضة التي تقوم عليها مختلف الحلول للمشكلات الأساسية إجتماعية أو فردية في الثقافة. ويتضح مفهوم الحرية بتحديد مفهوم الثقافة في المجتمع الذي يتضمن فلسفات إجتماعية وإقتصادية وسياسية، فإذا كان نوع الثقافة يترتب عليه نوع الفلسفة السائدة وبالتالي نوع الحرية فإن نوع الثقافة أيضاً يترتب عليه نوع النظرة إلى الطبيعة الإنسانية.

إن تنمية الحرية والعمل هو عمل التربية الدينية لأنها تقوم على إحترام شخصية الإنسان كما أنها تعمل على تنمية العقل، فيكمن معنى الحرية في نوعين من الخبرة

¹ - جون ديوي، الحرية والثقافة، ترجمة أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرين، الإسكندرية، مصر، دط، سنة 2003، ص 42

² - صادق سمعان، الفلسفة والتربية، محاولة لتجديد ميدان فلسفة التربية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، دط

سنة 1962، ص 49

أحدهما الخبرة الفيزيقية العمياء والأخرى الخبرة الهادفة وهي التي تعطيها الطريقة الذكية للتفاعل مع الأحداث وبتالي نصبح أحرارا ونتعلم كيف نفكر.¹

يعتبر التفكير هدف من أهداف التربية الذي يقوم على أساس البحث التجريبي العلمي ويمر بخطوات حسب ديوي، يمر التلميذ بموقف خبري حقيقي يكون فيه نشاطه مستمر لذاته وتنمو مشكلة حقيقية تنير تفكيره، وتتوفر للتلميذ معلومات هامة ويقوم بالملاحظة عليها.

عندما نتكلم عن الثقافة الأمريكية فإننا نشير إلى المدرسة التي تعتبر مسؤولة عن إنتاج طرق الإحساس والتفكير، التي تعتبر زبدة الثقافة المميزة كما أن تشارك في بناءها المنظمات الإجتماعية والدينية.² إن التعليم يشكل ترابط في الأفكار تعبر عنها الثقافة في المجتمع بمعنى ترتبط الثقافة في البلاد بالتعليم، وأن ما يبديه الجيل الصاعد من إهتمام بالفن لدليل مشجع على نمو الثقافة كما تساهم الصناعة في الثقافة والتربية.

يثابر ديوي في صياغة مفهوم التربية الدينية فهي القادرة على إثارة قوى الطفل نتيجة شعوره بما تتطلبه المواقف الإجتماعية التي يواجهها. كما يرى أن هدف التربية تمكين الفرد من المشاركة في الوعي الإجتماعي للجنس البشري.³ يقول ديوي: "إن الغرض الأسمى للتربية هو القدرة على ضبط النفس". من خلال تعريفه لوظيفة التربية يتضح لنا العلاقة بين الفرد والمجتمع يقول أيضا: "إن قولنا بأن التربية وظيفة إجتماعية

¹ - جون ديوي، الحرية والثقافة، مصدر سابق، ص243

² - جون ديوي، الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيرى حماد، مراجعة مروان الجابري، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، دط، سنة1979، ص118

³ - جون ديوي، عقيدتي التربوية، مصدر سابق، ص152

ترمي إلى توجيه النشء وتنميتهم بإشراكهم في حياة المجتمع الذي ينتمون إليه، هو كقولنا بأن التربية تتغير بحسب نوع الحياة الذي يسود المجتمع".¹

بمعنى يوجد علاقة أساسية بين التربية والمجتمع فهو الذي يفرض على الفرد نوع التربية التي يتعلمها منذ طفولته، ويجسدها في حياته لكن أين تكمن هذه العلاقة بينهما؟

ينفي ديوي بوجود عنصر منفصل وقوة خفية إسمها العقل فهو يسميه التوجه الذكي لضروب التفاعلات بين الإنسان وبيئته، فهو ظاهرة من الظواهر الطبيعية". ونجد وليم جيمس William James في كتابه أصول علم النفس يناهض بإستبدال كلمة العقل بالذكاء. وقد ذهب ديوي إلى أن وحدة تجمع الكائن الإنساني الفكرية والبدنية يقول: "إن الطفل عبارة عن كل عضوي عقليا وإجتماعيا وأخلاقيا بنفس القدر الذي هو به جسماني أيضا".² يقصد أن الإنسان يتكون من مجموعة من الوظائف تساهم في تكوين بنيته.

يوضح ديوي مدى إرتباط الحرية بالثقافة والتفاعل بين الطبيعة البشرية والأحوال الثقافية يقول: "إن طرق التفاعل بين الطبيعة البشرية والأحوال الثقافية هي الأمر الأول والأساس الذي نتناوله بالبحث، وإن المشكلة هي التأكد من نتائج التفاعلات التي بين مقومات شتى الأفراد مختلفين من بني الإنسان وبين عادات وقواعد وتقاليده ومؤسسات مختلفة".³

¹- جون ديوي، تجديد في الفلسفة، مصدر سابق، ص284

²- John Dewey, **Common Faith**, Henry Hort, u.s.a, 1934, p60

³- جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، مصدر سابق، ص233

يذكر ديوي الجوانب الفردية والجماعية في التربية:

- التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري بمقتضاها يصبح المرء وريثا لما كونته الإنسانية من تراث ثقافي.

- بالتقليد والمحاكاة تتم هذه التربية بطريقة لا شعورية تحكم معيشة الفرد في المجتمع وتصبح تاج للحضارة الإنسانية.

- التربية المقصودة تتطلب دراية بنفسية الطفل من جانب وحاجات المجتمع من جهة أخرى. يعرف ديوي المجتمع كلمة واحدة ولكنه أشياء كثيرة، فالإجتماع الناس طرق وأغراض شتى والفرد منهم ينتظم في مختلف الجماعات.¹

يشبه ديوي المجتمع بالإنسان من حيث النمو والإزدهار يقول: " التربية هي عملية توجيه وبناء خبرات الإنسان فرديا وإجتماعيا فكما أن الأفراد ينمون أو يموتون حسب نوعية إختياراتهم، كذلك المجتمعات فإنها تنمو وتزدهر أو تتحط أو تنقرض حسب نوع الخبرات أي حسب نوعية التربية التي تسود المجتمع".²

أمن ديوي بنظرية التطور التي جاء بها داروين يقول: " إن إدخال قوة عاقل متصرفة في الكون دليل على عجز العقل البشري، وعن حل الظواهر وفهمها فالإنسان تطور من خلال سلسلة طويلة ومتعاقبة، من حيوانات أحادية الخلية إلى حيوانات متعددة الخلايا، ثم أخيرا ظهر على مسرح الحياة كوسيلة أفضل للتكيف وفق محيط معقد متقلب وهذا العقل لا يتميز عن عقول سائر الكائنات الحية، من حيث النوع أو المنشأ تميز جوهريا".³

¹ - المصدر نفسه، ص 229

² - John Dewey, **Education Today**, George Allen and Unwin, New Yourk, 1941, p5

³ - John Dewey, **How We Think**, Health and Co, ,New Yourk, 1933, p133

يتصور ديوي العقل أنه عملية بيولوجية طبيعية تتفاعل مع الطبيعة بمعنى الخبرة التي تساهم في حل المشكلات الإنسانية، وينكر الثنائية التي تتولى تربية الإنسان وتطوير ميوله وإستعداداته ويشير إلى البيئة الإجتماعية. يقول ديوي: "إن الوسط الإجتماعي لا يغرز في نفس الفرد أغراضه أو أفكاره مباشرة ولا يغرز فيه حتى العادات الفصلية البحتة مثل إغماض العين وإتقاء الضرب بصورة غريزية".¹

كما يشير إلى التربية التي تلعب دورا في إيجاد هذه البيئة يقول ديوي: "الكائن الإنساني السليم في البيئة الإنسانية السليمة، ففي أية مهنة يجب تهيئة بيئة إنسانية تقوم على توفير خدمات يترتب عليها إنتاج أفراد إنسانين أسوياء كاملين يقومون بدورهم بصيانة وحفظ بيئة إنسانية سوية صحيحة".²

يتكلم ديوي عن علاقة الفرد بالمجتمع ويؤكد على أن هذه العلاقة تكاملية يقول: "فالمجتمع ليس بالطبع إلا علاقات تربط الأفراد بعضهم ببعض بهذا الشكل أو ذاك كما أن جميع العلاقات هي تفاعلات مترابطة متحركة لا قوالب ثابتة، وتتضمن التفاعلات الضمنية المترابطة التي تؤلف مجتمعا بشريا تبادل الأخذ والعطاء في المشاركة".³ فالفرد حر فيما يختار ويتحمل نتائجها في الحياة والفرد إجتماعي من حيث علاقته بالآخرين.

لقد ركز ديوي على الجانب الإجتماعي وعلاقة الإنسان ببيئته الإجتماعية وقد صنف الأهداف الجسمية للتربية، حيث يرى أن الإنسان يعيش في حالة إتران مع بيئته فإذا ما إعترضته مشكلة من المشكلات إختل هذا التوازن، ولذلك كان عليه أن يستعمل

¹ - رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية ، مختارات من مؤلفاته، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو

مصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، ص120

² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص15

³ - المصدر نفسه، ص366

كل ما لديه من وسائل فكرية لعلاج هذا التوازن، وذكر أهداف عقلية للتربية فنقوم بتنمية العقل وتستغل طاقاته في الإبداع والابتكار فهي حياة.

كما حدد أهداف خلقية حيث رفض التسليم بوجود قيم خالدة تقرر ما هو صحيح وما هو خطأ، وهاجم التجريبيين الذين ذهبوا إلى ربط القيم برغبات الفرد يقول ديوي: "بدلاً من هذه الفضائل المفترضة يجب أن يكون الإهتمام بما هو خير قلبياً وثابتاً وغير متحيز ودائم".¹

يريد أن يوضح أن القيم غير ثابتة بل هي متجددة ومستمرة وتسير وفق ثقافة المجتمع، بل هو الذي يصنعها ويمليها على الفرد حتى تظهر فيه تربية دينية أو أخلاقية ويركز حتى على دور اللغة في المجتمع ويشير في قوله: "إن أساليب الكلام الأساسية والجانب الأكبر من المفردات اللغوية تتكون في سياق الحياة المعتادة، بعدها ضرورة إجتماعية لا أدوات موضوعية من أجل التعليم، والطفل كما يقولون يتعلم لغة أمه".²

يسعى ديوي إلى بناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية توازن قيمة الفرد مع قيمة الجماعة والمجتمع، وتبقى الفلسفة سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة وإقترح قيم جديدة تتماشى مع الحياة وتفسر نتائج العلم الإختصاصي، يوضح ديوي دوره كمربياً و تبرز العلاقة بين التربية والفلسفة وعلم النفس حيث يقول: "أول الأمور في تطور تفكيري أهمية التربية نظرياً وعلمياً في نفسي، وبخاصة تربية الصغار لأنني لم أشعر أبداً بتفاؤل كثير فيما يختص بإمكانيات التعليم العالي، إذ بني هذا التعليم على أساس ضعيف وقد إندمج هذا الإهتمام، بالإهتمام بالعلم النفس أم في المؤسسات الإجتماعية أم في الحياة الإجتماعية".³

¹ -Ethics, by John Dewey and James H Tufts, University California Libraries, 1908, p286

² -جون ديوي، الحرية والثقافة، مصدر سابق، ص160

³ -The Encyclopedia of Britannica, A Dictionary Eleventh edition, vol5, p681

يدعو ديوي إلى التربية المستمرة التي لا ترتبط بسن معين وركز على التعلم من خلال العمل اليدوي، كما تحل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطفل وتبقى المدرسة مختبر وليس قاعة للمحاضرات.

يشرح ديوي طريقة التعلم عن طريق العمل يقول: "لا يتعلم الطفل... عن طريق القراءة في الكتب أو عن طريق سماع الشروح ولكنه يتعلم عن طريق حرق نفسه وإطعام نفسه أي عن طريق عمل الأشياء... وتصبح الأيدي والعين والأذان بل في الحقيقة الجسم ككل مصادر للمعلومات".¹

نجد في هذا النص حضوراً قوياً لروسو الذي أثر في ديوي من خلال الفيلسوف الألماني كانط Kant فقد إهتم ديوي كثيراً بالجانب النفسي من تفكيره، تهتم التربية بالطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية، والتعليم يكون فعالاً عن طريق العمل ليحقق الخبرة عن طريق المشروع.² الذي يجمع بين النشاط البدني والعقلي والاجتماعي للطالب ويساعده على التعلم وتعتمد الطريقة على خمسة مراحل هي Project Method المشكلة، موضوعها، الملاحظة، الحل، النتائج.

الثقافة مظهر للتربية الدينية:

أكتشفت أمريكا في القرن الرابع عشر ميلادي ويمثل شعبها أعراق وأجناس مختلفة أغلبيتهم من أوروبا وإفريقيا واللغة السائدة فيها الإنجليزية، استقلت عن بريطانيا سنة 1781 يحكمها نظام سياسي وفيها نظام الحكومة الفدرالية، يتميز التعليم فيها بخصائص حيث يقوم التعليم على الفلسفة المادية والبراغماتية وفيها تعليم علماني.

¹-John Dewey, Evelyn Dewey, *Schools of To Morrow*, Edition United states, 1915, p167

²- أمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، مكتبة تهامة، جدة، السعودية

حمل المهاجرون الوافدون من أوروبا أرائهم السياسية ومعتقداتهم الدينية مما جعل أمريكا تتميز بتنوع في الثقافات المختلفة، بعد الإستقلال عن بريطانيا تمكن الأمريكيون من تحقيق الديمقراطية في التعليم خاصة مع ظهور الأفكار التربوية لجون ديوي من أهم أرائه، تطور مراحل التعليم حيث تعبر المرحلة الأولى عن ضعف المستوى الأكاديمي بسبب المعلم وبتالي وضع برامج خاص لتدريب المعلمين، أما المرحلة الثانية تعتبر أن المعلم هو حل للمشكلة، وشهدت تحسن في الأوضاع حيث سطرت برامج تهدف إلى القضاء على الأمية وأن تكون المدرسة بعيدة عن العنف قريبة من الأسرة.

يبدأ التعليم من مدارس الحضانة ما قبل التمدرس تسمى مرحلة التعليم الإلزامي من ستة سنوات إلى ستة عشر سنة، عندما يبلغ التلميذ ثمانية عشر سنة يصبح التعليم غير إلزامي.

وقد حدد دور مدارس الحضانة في أمريكا:

- إحترام فردية الأطفال مع مراعاة ميولهم وحجاتهم كأساس للعمل في المدارس
- إستثارة التفكير الإبداعي المستقل عند الأطفال وتشجيعهم على التعبير عن ذاتهم
- الإيمان بالمجهود التعاوني في إتخاذ القرارات وحل المشكلات وتهيئة الفرص التي تحقق التعاون.¹

ذكر ديوي في كتابه الحرية والثقافة *freedom and culture* نقاشه للماركسية كفسلفة سياسية وإقتصادية، ويخالفها من حيث حرية الفرد ويؤكد على أن المنزل أول مكان يتعلم فيه الفرد الديمقراطية ويعتبرها منهج الحياة. في نهاية هذا الكتاب يتحدث عن أمريكا كنموذج عالمي يقوم على البحث العلمي والتجربة والإيمان بالتنوعية الثقافية

¹- كفاح يحي صالح العسكري، الفلسفة التربوية بين الإمام الغزالي وجون ديوي، مرجع سابق، ص170

يقول ديوي: "إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري بمقتضاها يصبح المرء وريثا لها كونته الإنسانية من تراث ثقافي".¹

التقدم الذي حدث في المجالين التكنولوجي والإجتماعي لا يسيران بشكل متقارب فقد يسبق التقدم التكنولوجي التقدم الإجتماعي فيسبب ما يسمى بالهوة الثقافية، التي يترتب عليها سوء في التكيف الإجتماعي وكل هذا يبرر الدور الهام للتربية في خدمة المجتمع.

يرى ديوي أن المصلحة العامة وخدمة الحياة الإجتماعية تمثل المحور الأساسي في تشكيل الأخلاق والدين، فالتربية الدينية هي عملية إعداد الفرد بالتعلم وإكسابه أشياء معينة تساعده على تخطي العقبات والإستفادة منها مستقبلا، إذن فالتربية إعداد وتجهيز لشيء هام يحدث لاحقا، هكذا تبقى التربية لب الحياة الإجتماعية للإنسان.

يعتقد ديوي أن حين تتحقق وحدة العملية الأخلاقية بعملية تحقيق النمو تصبح العملية التربوية أفضل وسائل تحقيق التقدم الإجتماعي، وإعادة تنظيم المجتمع فإذا كان للديمقراطية معنى أخلاقي فإنه يعني أن الحكم على كل النظم السياسية والمؤسسات الصناعية والتعليمية يكون وفق مدى نجاحها في تنمية كل فرد من أفراد المجتمع وفق قدراته. فالمجتمع تحكمه روابط وعلاقات مختلفة بين الأفراد فإذا اختلفت هذه العلاقات يعزل الفرد عن الآخرين، ويتوقف النمو والتطور لهذا فكل هذه الأنظمة كالقوانين والدولة والكنيسة والأسرة والصدقة أمرا لنمو الأفراد وفق قدراتهم وإمكاناتهم، فإذا إنقطعت الروابط تصبح الحياة الإنسانية كما قال هوبز Hobbes: "قبيحة ومتوحشة وبهيمة".²

¹- جون ديوي، الحرية والثقافة، مصدر سابق، ص200

²-جون ديوي، إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة

القاهرة، مصر، ط1، سنة2010، ص164

تعتبر التربية ظاهرة إجتماعية تقوم في المجتمع يمثل إطار لها، والفرد يولد لا يعرف شيء وتتولى التربية من خلال التنشئة المعرفية والأخلاقية جعله عنصرا فعالا في مجتمعه. وتعتمد الأهداف التربوية على مجموعة من الأسس التي تعكس حاجة المجتمع وظروفه منها الأساس الروحي الفردي الإجتماعي الإقتصادي السياسي القومي الثقافي.

التعلم عملية أساسية في الحياة والتربية موضوعها الإنسان منذ صغره إلى كبره ويجب أن نعرف خصائص المتعلم النمائية، وحاجاته وميوله وإستعداداته وقدراته ودوافعه إلى التعلم، وتشارك الأسرة مع المدرسة والمجتمع في عملية تشكيل شخصية الطفل فهي البيئة الإجتماعية الأولى التي يعرف الطفل ذاته ويتلقى فيها التعليم التي يجب فعلها والتي يمنع عنها ويغذي بأفكار ثقافية مختلفة تنمي فيه تربية دينية.

يعرف تايلور Tylor الثقافة في كتابه الثقافة البدائية بقوله: "هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والقانون، والأخلاق والعادات والتقاليد وغيرها من القدرات التي يتحصل عليها المرء كعضو في جماعة".¹ تعتبر التربية جزء من الثقافة أي علاقة الجزء بالكل وكلاهما عمليات متداخلة، فإذا كانت الثقافة تمثل كيان المجتمع فإن التربية هي وسيلة الحفاظ عليه وتجديده من خلال التنشئة البشرية فالتربية وسيلة يتعلم أفراد المجتمع ثقافات مختلفة تساهم على الإندماج في جماعة هي التي تؤثر في الفرد لتربيته حسب نمط الجماعة، فإذا كانت جماعة دينية تكونت له تربية دينية.

من بين عوامل الثقافة التعليم الذي يساهم في التغيير الثقافي داخل المجتمع من خلال المواد الدراسية التي تقدم له خبرات وتجارب الآخرين ويدعم السمات الثقافية

¹ -خالد محمد أبو شعيرة، المدخل إلى علم التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1

التي تساهم على البناء والإزدهار كما نجد أن المعتقدات الشعبية تعيق التقدم والمسار الثقافي فهناك صور عديدة من المعتقدات، تعوق التغيير ففي زامبيا تعتقد المرأة أن أكل البيض يسبب شحوب لأطفالها وهزلهم، أما في الفيليبين يعتقدون أن أكل الدجاج والبيض معا في وجبة واحدة يسبب مرض الجذام وأكل الأطفال للحم يزيد من إرتفاع درجة حرارتهم، لهذا فالدور التربوية يساعد في إحداث التغيير والقضاء على مثل هذه المعتقدات السائدة في المجتمع.¹

يختلف تكوين الإنسان العربي عن الإنسان الغربي ويختلف عن الإنسان الأمريكي فنجد كل واحد منهم له لغة وشخصية وعادات خاصة به، ساهمت فيها الثقافة التي تشمل اللغة والعادات والتقاليد والمؤسسات والأفكار، كما أن الثقافة تعني التراث الذي أخذته الجيل الحاضر من الجيل الماضي وزاد في تطويره حسب ظروف الحياة يقول كليد كلكهون Clyde Kluckohn: "الثقافة هي وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ، السافر منها والمتضمن العقلي واللاعقلي التي توجد في وقت معين والتي تكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد الإنسانيين في المجتمع".²

من هذا التعريف نفهم أن السلوك الإنساني يتعلمه الفرد من خلال التربية وهذا السلوك يوضح لنا الإختلاف في الثقافات داخل المجتمع. فالعادة التي يكتسبها التلميذ في المدرسة هي عادة سلوكية تتميز بالذكاء فهي مرنة متطورة تواجه ظروف المستقبل إن العادات الموجودة في ثقافة مجتمع تساعد على مواجهة التغيير الإجتماعي وتطوير الحضارة الإنسانية وتربية الفرد وفق بيئته.

كلما إرتقى الإنسان في سلم التطور إزدادت عملية تجديد الوسط الذي يتفاعل معه تجديدا فعلا ونجد ديوي يقارن بين الإنسان الهجري والمتحضر يقول: " لنفرض أن

¹ - المرجع نفسه، ص151

² - محمد لبيب النجحي، الأسس الإجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، سنة1981، ص169

كليهما يعيش في صحراء مجذبة فإن الهمجي يتكيف بالأحوال التي تكتنفه وينفعل بها إلى أقصى حد ممكن، على حين لا يؤثر هو فيها إلا أقل تأثير فهو يتلقى الأمور التي حوله كما هي وبالشكل الذي يجدها عليه، فباستغلال بعض الكهوف وإستخدام بعض الجذور وبعض البرك أحيانا يستطيع أن يعيش عيشة هزيلة خطيرة قلقة ليس فيها أي مجال للإطمئنان، أما الإنسان المتحضر فنراه يمضي إلى الجبال البعيدة ويقوم السدود على مجاري الحياة ويكون الخزانات ويحفر الأبار ويرسل مياهها إلى ما كان من قبل صحاري قاحلة".¹ من خلال قول ديوي نفهم أنه يشير إلى فرق واسع بين الإنسان الهمجي والمتحضر، وهذا راجع إلى البيئة التي نشأ فيها والثقافة التي تشبع بها تؤثر مباشر فيه.

يعد ديوي رائد من رواد الحضارة الأمريكية التي لها آثار وتقاليد ماثورة عن الحرية والديمقراطية، والعصر الذي ولد فيه وترعرع في أحضانه والنزعات الفلسفية والإتجاهات العلمية، التي أخذت تقوى خاصة مع ظهور التصنيع ومناداة العمال بحقوقهم في ميدان العمل والتغيير المحسوس السريع، الذي نتج عن ذلك في المجتمع والأخلاق والتربية والدين والفن كل هذه العوامل ساهمت في تكوين ديوي فكان بذلك ثمرة هذه البيئة الثقافية والحضارية.² فهو من أصل إنجليزي إلا أن روحه ووجدانه تشبثت بتربية وتقاليد حياة الأرض الجديدة، فهو مزيج متجانس من نشأته الأمريكية ومنبعه الإنجليزي، فهو يتميز عن غيره بأن تأثير الثقافة الأوروبية عموما والإنجليزية خصوصا واضح لكن تأثير البيئة الجديدة عليه، ساهمت في بناء فلسفة مميزة تؤمن بالتطور والنمو في كل شيء وبالتربية العملية القائمة على التجربة وحاول التميز بين مهمة الفلسفة والدين واللاهوت.

¹- محمد لبيب النجيجي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981، ص251

²- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سبق ذكره، ص19

ارتبطت فكرة الفرد بمذهب الأحرار عند الأمريكيين والإنجليزيين لأن الأحرار هم الذين يوجهون سلوكهم ويسيروا أمورهم بحسب ما يميله عليهم العقل، أما الذين يتبعون أهوائهم وشهواتهم فهم محكومون بحواسهم ليسوا أحرارا.

في أوائل القرن التاسع عشر ظهرت سياقات ثقافية تربوية مختلفة بين النظريات الإنجليزية والنظريات الأمريكية، لقد وجد توماس جيفرسون Thomas Jefferson الذي تكلم عن مذهب المؤسسات الحرة، ووجد أن خصائص الأفراد التي ترتبط بها تلك المؤسسات أوثق ارتباطا لا تعدو صفات موجودة في طبقة الزراع. لقد أثر النظام الإقطاعي في الولايات المتحدة الأمريكية قليلا وتطور النظام الصناعي يسيطر على المؤسسات ورجال الأعمال والسياسة والثقافة والإقتصاد.¹ إن الذين قاموا بتأسيس الديمقراطية السياسية في أمريكا تفتنوا لضرورة توفر الأحوال الثقافية لقيام المؤسسات الديمقراطية بعملها.

يرى جيفرسون أن ترقية التعليم الإبتدائي في أوروبا في القوة الحربية وكان العلم في ألمانيا سببا في التطور وإزدهار الثقافة، يرى ديوي أن لا مانع إذا ما قام أحد كبار المربين الممتازين في أمريكا يدعوا إلى إتخاذ الجامعات الألمانية مثلا إذا أرادوا معالجة مؤسساتهم العلمية. فالخطر الذي يهدد الديمقراطية ليس في إنقسام رجال الأعمال أو في رجال الدين أو السياسة أو التربية وإنما في أحوال مواقف شخصيتهم لأنهم خضعوا للتربية التي أبعدتهم عن المجال الثقافي. جمع ديوي بين المادية العلمية وأراء وليم جيمس الذي كان يتجه على وجه الخصوص وجهة دينية، فقد إهتم ديوي بالمذهب السلوكي الذي قدمه جون واطسن John Watson و ينادي أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية.

¹ -جون ديوي، الحرية والثقافة، مصدر سابق، ص60

يقول ديوي: "ينبغي رفض كل الأفكار التي تتعالى على الطبيعة في هذا العصر المتقدم والإتجاه بالكلية إلى الخبرة".¹ بمعنى تعلمنا الخبرة حسب ديوي أن كل شيء يتغير وأنه لا يوجد ثبات لا في المادة أو في العقل والفكر أذات للعمل، ولا يبدأ الإنسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها، وسمي مذهب ديوي الدرائعية وتصور أن العالم مادي وعلمي.²

أمن ديوي بأراء توماس جيفرسون الذي نادى بأفكار التغيير وقدم مثال عن الثورات التنويرية في أوروبا القائمة على الحرية والمساواة، ودعى إلى تغيير المجتمع الأمريكي وفق القيم السياسية والاجتماعية، والدفع بالعجلة الثقافية لأمريكا. لهذا نادى ديوي بضرورة تجديد المجتمع من خلال بناء منظومة تربوية تنشر بين الأفراد والمواطنين الأمريكيين مبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة والحرية.³

يؤكد ديوي على أن التربية تهتم بالنمو والتغيير والثقافة أيضا تتغير وتنمو حسب الفرد، فإذا كان نظام بطليموس يقوم على أن الأرض ثابتة وهي المركز والشمس تدور حولها، والنظام الكوبرنيكي يجعل الشمس مركزا لجميع الكواكب فإن نظام ديوي يعتقد أن الشمس والأرض هما من عالم واحد كله يتحرك باستمرار في تفاعل وترايط بين سائر أجزائه".⁴ إذن تفضي نظرية ديوي أن الكون والأشياء والإنسان في حركة دائمة تتميز بالتطور والنمو والثقافة جزء من هذا التربية أساس هذه العملية. يقول ديوي: "إذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك ناشئ من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية".⁵ بمعنى أن الأخلاق ظاهرة اجتماعية تساهم في بناء ثقافة الفرد.

¹- المصدر نفسه، ص70

²- إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزة قرني، عالم المعرفة، الكويت، سنة1992، ص162

³- المرجع نفسه، ص163

⁴- جون ديوي، البحث عن اليقين، مصدر سابق، ص7

⁵-جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، سنة1959، ص137

المدرسة مؤسسة إجتماعية ثقافية:

إهتم ديوي إهتماما كبيرا بالأخلاق فقد حاول تطبيق المنهج العلمي على المسائل الأخلاقية، كما طور مدرسة شيكاغو البراغماتية من الناحية الإجتماعية والأخلاقية وقد اختلف عن التوجه الفردي لبراغماتية وليم جيمس وتوجه التحليل المنطقي لبراغماتية بيرس. لقد كان ديوي هيغليا صريحا وكان تأثير هيغل واضحا على فكره خاصة في المجال الثقافي، وإستمر في تغيير المثالية الثقافية الهيغلية إلى النزعة الطبيعية الثقافية وساعده في ذلك ظهور علم النفس الوظيفي يقول هربرت ميد Herbert Mead: " إنتقل ديوي من موقفه المثالي عن طريق التحليل النفسي إلى الفعل الأخلاقي".¹ ويقول ميد في مقام آخر حول مكانة ديوي: " إن جون ديوي هو فيلسوف أمريكا بالمعنى العميق لهذه الكلمة". بمعنى تميز وإهتم بالديمقراطية الأمريكية.

يوضح لنا كتاب الديمقراطية والتربية أنه بني على مصطلحين لثالوث ديوي الذي هو العلم، لأنه يؤمن بفكرة المثال الديمقراطي the democratic idéal ويقبل إتصال الإنسان بالطبيعة بمعنى البيولوجيا التطورية، وبين قبوله المنهج التجريبي للعلم وبين نمو الديمقراطية، ويقبل بمجتمع صناعي لكنه يحتاج إلى التربية التي تنشأ في المدرسة وتعتبر عن قوة المجتمع وتصنع ثقافته. يشير ديوي إلى الديمقراطية كتصور إجتماعي بمعنى أنها تصور أخلاقي يقول في بحث نشره سنة 1888 بعنوان "أخلاق الديمقراطية the ethics of democracy": " إذا كانت الديمقراطية لها معنى أخلاقي ومثالي، فإنه ينتج عن هذا المعنى أن يكون لها عائد إجتماعي على الجميع وأن تقدم الفرص للجميع لتنمية القدرات المتميزة".²

¹- تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مطابع رويال، فرنسا، الإسكندرية مصر، دط، سنة 1996، ص 216

²- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سابق، ص 142

يرى ديوي في كتابه التجديد في الفلسفة Reconstruction in Philosophy سنة 1920 أن العلم الحديث إهتم في القرن السابع عشر باختصار على تطبيقه في مجال الفلك، والقرن الثامن عشر في مجال الفيزياء والكيمياء والقرن التاسع عشر بالتطبيق في مجال الجيولوجيا والعلوم البيولوجية، أما في القرن العشرين إهتم بالمجال الحياة الأخلاقية والاجتماعية.¹

نعيش في عصرنا تغير جذري وسريع بفضل إبتكارات الإنسان عن طريق التجريب العلمي من إختراعات علمية وتكنولوجيا، لكن التقدم الذي حدث في المجالين التكنولوجي والاجتماعي لا يسيران بشكل متقارب فقد يسبق التقدم التكنولوجي التقدم الاجتماعي، فيسبب ما يسمى بالهوة الثقافية التي يترتب عليها سوء في التكيف الاجتماعي وكل هذا يبرر الدور الطبيعي للتربية في خدمة المجتمع من خلال المدرسة. يقول ديوي: "إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري بمقتضاها يصبح المرء وريثا لما كونته الإنسانية من تراث ثقافي، وبالتقليد والمحاكاة تتحقق التربية الاجتماعية بطريقة لا شعورية، وبحكم معيشة الفرد في المجتمع يتحقق للحضارة الإنسانية الانتقال من جيل إلى آخر، والتربية المقصودة تتطلب دراية بنفسية الطفل من جانب وحاجات المجتمع من جانب آخر."² يعتقد ديوي أن عملية التربية تستمد أساسها ومنهجها وأهدافها من المجتمع وثقافته فكل مجتمع له نوع من الثقافة، التي هي وعاء للتربية تستمد أصولها منها وتعتبر المدرسة عاملا فعلا في نقل ثقافة المجتمع إلى الجيل الناشئ عن طريق تعلم الخبرات وتوظيفها في خدمة الحياة الفردية، فالتربية تنطلق من مهارات الطفل الحركية والعقلية وتنمو وتتطور حتى تتناسب مع خبرات الفرد لتؤهله إلى عملية الإنتاج الثقافي في مجتمعه.

¹ - جون ديوي، التجديد في الفلسفة، مصدر سابق، ص76

² - عمر أحمد الهمرشي، مدخل إلى التربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، سنة 2001، ص93

مدرسة شيكاغو:

أطلق وليام جيمس William James عبارة مدرسة شيكاغو the Chicago school على المفكرين البراغماتيين، في جامعة شيكاغو في خطبة رئاسية ألقاها سنة 1903 عن جون ديوي يقول: "إن مدرستك أعني مدرستك الفلسفية في جامعة شيكاغو، إن هذه المدرسة تستحق حقا وصفها بأنها نسق جديد في الفلسفة".¹

تكونت مدرسة شيكاغو من ديوي Dewey وإديسون مور Addison Moore وهربرت ميد Herbert Mead وجيمس هايدن توفتس James Hayden Tufts وإدوارد أمز Edward Ames كلهم من رواد البراغماتية، إرتبطوا جميعا لبناء صرح فلسفي مميز جمع بين علم النفس والفلسفة في غطاء براغماتي.

لقد إهتم مور Moore بالمنطق التجريبي الحديث أما توفتس Tufts إعتبر فيلسوف الأخلاق والقيم، وتميز أمز Ames فكان قسيسا بكنيسة الجامعة وكان مجال عمله الأساسي علم النفس الديني وكان لاهوتيا، يدعو لممارسة الدين لمعالجة القيم الإجتماعية العليا للإنسان المعاصر وقد كتب ديوي كتاب إيمان مشترك شارحا كتاب أمز، فيما وراء اللاهوت beyond theology وإهتم ميد بمجال علم النفس الإجتماعي وله كتاب "العقل والنفس والمجتمع" و"فلسفة الفعل".

ساهمت مدرسة شيكاغو في بناء البراغماتية الأمريكية حيث أثرت هذه الجماعة في القوى الليبرالية والتقدمية لأمريكا في عصرهم، وإنتشرت مشاركة ديوي الإجتماعية على إتساع ثقافة الأمة الأمريكية وفي المدارس العامة وفي تنظيم العمل، لقد أعلن ديوي أن مدرسة شيكاغو عاشت مرحلة تطورية جماعيا قبل نهاية عملها.²

¹- تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، مرجع سابق، ص 230

²- المرجع نفسه، ص 212

لقد عمل ديوي على إنشاء المدرسة النموذجية في مدينة شكاغو سنة 1896 وجعلها حقلاً لتطبيق آرائه التقدمية، ثم ضمت هذه المدرسة إلى جامعة شكاغو لتكون مدرسة تطبيقية، أصبحت برامجها تقوم على مبادئ الفلسفة البراغماتية وإرتباط المدرسة بالمجتمع وإعتبار التربية عملية إجتماعية وعملية نمو وتعلم وبناء وتجديد مستمرة للخبرة، فالمعرفة عند الفرد ناتجة عن نشاطه الذاتي وخبرته، فالطفل يتعلم من خلال التجربة فإذا أحرقت النار لا يمد يده مرة أخرى إليها. بحث ديوي في التربية كفلسفة وعلم وفن وقد أخذ عن اليونانيين روح الفلسفة وإتجاهها، إلى البحث في الأمور الإنسانية ومحاولة الرقي بالمجتمع عن طريق التربية التي تمثل دوراً أساسياً في تطور المجتمع والحضارة، وتمثل بيئة التربية في المدرسة التي تعد الطفل لفهم ثقافة حضارته، لكن هل نربي الطفل للمجتمع الراهن أو للمجتمع المستقبل؟

كانت المدرسة حتى القرن الماضى ملائمة لمجتمع له طابع إقتصادي خاص يعتمد على الزراعة والمصانع الصغيرة، لكن أخذ العالم يتطور بسرعة نحو التصنيع والعمل بالكهرباء والإكتشافات العلمية وكل هذا ينطلق من المدرسة التي غيرت أسلوب تعاملها مع التلميذ ليشارك في المجتمع الحديث.

يرى ديوي أن المدرسة لها وظائف مختلفة فهي تبني وتهيئ الفرد لتعامل مع بيئته وحضارته بثقافة التي إستمدتها من مدرسته، التي تجمع أفراد المجتمع تحت عادات وتقاليد موحدة، يشير إلى المجتمع الأمريكي كيف إستطاع أن يبني ثقافته من تربيته ويؤكد على أن الفلسفة هي التربية في قوله: "إن أي شخص عامل قد يرى أن التفلسف يجب أن يدور حول التربية، بإعتبار أنها أقصى إهتمام إنساني تتواجد معه علاوة على ذلك مشكلات أخرى كونية وأخلاقية ومنطقية".¹

¹ - محمد الفرخان، الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1999

يعتبر ديوي أن القدرات الإجتماعية والفردية لا تنمو عند الطفل إلا في ظل مجتمع ديمقراطي، والذي لا يمكن أن يتحقق في ظل أديان تمارس التمييز والتفرقة بين الناس يقول ديوي: "إن الحياة تسعى إلى دوام وجودها عن طريق التجديد المستمر والتربية أذات لنقل أهداف المجتمع ومعارفه من جيل إلى جيل، فهي التجديد المستمر بعينه وهي عملية نمو لا هدف لها إلا المزيد من النمو، بل إنها الحياة نفسها".¹

لقد نجحت البراغماتية لأنها كانت بمثابة جدل قائم بين المثالية الأمريكية والوضعية الفرنسية والتطورية البريطانية، وكانت تحاول التقاط الإيديولوجية المبعثرة التي بشر بها مفكروا ما قبل الداروينية رافضة كل أنواع اليوتوبيا والحقائق النهائية المطلقة، مؤكدة على المجتمع التعددي والذكاء الدرائعي وقرنت الفلسفة بالحياة وإعتبرتها أسلوبا لحل المشكلات الإنسانية. وإعتبرت أن الإنسان بمقدوره تطوير الواقع وفقا لأهدافه وحاجاته وشجعت على المنفعة".²

إهتم ديوي بالعملية التربوية نظريا وتطبيقيا لأن التربية تشكل جوهر إهتمامات الإنسانية جمعاء، وأخرج منطق واقعي لا صوري يلغي الثنائية الموجودة بين منهج العلوم ومنهج الأخلاق، فالعلم هو التفكير النظري والأخلاق هي السلوك العملي في الحياة، كما قام بتخليص علم النفس مما علق به من أفكار ميتافيزيقية والتركيز على الشعور والوعي وتطبيق علوم الحياة على نفسية البشر، كما طبق مبادئ العلم الحديث ومناهجه وطرقه على العلوم الإنسانية.

يعتبر ديوي موسوعي برز على الساحة الفكرية العالمية وقد أثر بأرائه وكل إصلاحاته التربوية في القرن الحالي له الفضل فيها، لقد تأثرت النظم التربوية العربية بأفكاره، فكيف إستقبل العالم العربي ديوي؟ أين يظهر التلقي؟ وأين تكمن الأفاق؟

¹ - جعني نعيم حبيب، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، مرجع سبق ذكره، ص 195

² - المرجع نفسه، ص 197

المبحث الثالث: إسقاط العالم العربي ونظرية ديوي التلقي والأفق

توطئة:

تسعى الأمة العربية للقدوم نحو التطور الحضاري والتقني والعلمي، لكنها تعاني من مشكل التربية للإنسان العربي، رغم أنها تملك أعز وأعلى الدساتير القرآن الكريم الذي ينص على طلب العلم والتحلي بالأخلاق والتربية الدينية. لقد كان التعليم في الوطن العربي يعتمد على المسجد، وفيه يعلم رجل الدين التعاليم التربوية الدينية وطريقة التعليم أساسها الحفظ، ولغة التدريس اللغة العربية وقد ساعد هذا في بروز العديد من العلماء في الوطن العربي والإسلامي. ومع بداية موجة الإستقلال التي جاءت في خمسينيات القرن العشرين، حاولت الدول العربية أن توحد نظام التربية والتعليم وتمضي قدوما نحو الإزدهار، لكن ظل التعليم في الوطن العربي عاجزا عن التطور حيث بقيت مناهجه تقليدية والوسائل التعليمية والتجهيزات في المدارس دون مستوى العصر، كما لا توجد تجارب ميدانية تتماشى مع التكنولوجيا ومراكز للبحث العلمي تساهم في تسطير مناهج وبرامج في التربية ومختصين في علوم التربية والتعليم. على هذا الأساس نتساءل هل إستطاع التعليم في الوطن العربي أن يحدد أهدافه؟ وهل حقق ديمقراطية التعليم؟ هل وظف تقنيات عصرية ومخططات وبرامج تربوية تحقق أهدافه ميدانيا؟ هل وفق بين الأصالة والمعاصرة في المجتمع العربي؟ كيف أثرت المبادئ الفلسفية التربوية البراغماتية على التربية العربية؟ كيف أثر نموذج التربية الأمريكية ديوي على المناهج التربوية في الوطن العربي؟ ما مدى توظيف النظرية التربوية عند ديوي من قبل المربين والمفكرين التربويين العرب؟ كيف تم إستقبال ديوي في المدارس والجامعات العربية؟ أين يكمن توظيف التربية الدينية عند النظم التعليمية العربية؟

استقبال العالم العربي للنظرية التربوية الديوية:

حظي ديوي باهتمام كبير في معظم بلدان العالم خلال القرن العشرين حيث تأثر به عدد كبير من المربين وطبقت معتقداته وأفكاره، كما أترث النظم التعليمية في العالم العربي وترجمت كتبه إلى العربية وطبقت المدرسة نماذجها في التربية والتعليم. لكنه تعرض لانتقادات من قبل الأساتذة الجامعيين وخاصة في مجال الإنسانيات ونظريات التربية المبينة، على الأفكار التطورية وعلى التجربة والنسبية في الأهداف لكن مهما كانت هذه الانتقادات فإن النظرية التربوية لديوي أسهمت بشكل لا ينكر في وضع أسس التربية الحديثة.

لقد أترت المبادئ الفلسفية التربوية البراغماتية على جوانب عديدة من التربية العربية مثل فلسفة التربية، طرق التدريس، الترجمة، المناهج الدراسية، الكتب التربوية الجامعية، البحوث التربوية، السعي إلى تطوير التدريس والعمل على إعتبار الطالب محور العملية التربوية والمعلم موجه فقط.

لقد قام " نيكولاس كوبرنيكس Nicolas Copernicus " في علم الفلك بتغيير مركز الكون إلى الشمس وقد عبر عنه ديوي بالثورة الكوبرنيكية بقوله: " في الوقت الحاضر إن التغيير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية، فهو تغير أو ثورة ليست غريبة عن تلك التي أحدثها كوبرنيكس عندما حول المركز الفلكي من الأرض إلى الشمس التي تدور حولها تطبيقات التربية، وهو المركز الذي تنظمها حوله".¹ غير ديوي العملية التربوية إلى الطفل بعدما كان ينظر إليها في المعلم، لقد وصل إشعاع النظرية التربوية الديوية بريقها إلى الوطن العربي، حيث يرى الكثير من المربين والمفكرين والتربويين العرب أنها وصفة ناجعة شافية للمنظومات التربوية العربية.

¹ - جون ديوي، المدرسة والمجتمع، مصدر سبق ذكره، ص 54

انتقلت النظرية التربوية الديوية إلى الوطن العربي، حيث أمن الكثير من المربين المعاصرين العرب إلى تبني أفكاره في إصلاح المنظومة التربوية العربية لتخطي عقبة التخلف والجمود. ميزت أفكار ديوي التربوية نزعة تقدمية جعلت العديد من المهتمين بالتربية في بلادنا الجزائر يعطون الضوء الأخضر لتبني هذه الأفكار التربوية ومنهم الأستاذ حسين بن عبد السلام، الذي قدم رسالة ماجستير في الفلسفة عنوان موضوعها "فلسفة التعلم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في إستراتيجية الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر"، ذكر فيها الأخذ على فلسفة التعلم بالعمل لأنها تتلائم بشكل كبير مع مقتضيات إصلاح التربية الجزائرية، والإعتماد بيداغوجيا بالمقاربة بالكفاءات في مناهج التدريس، وتبنى هذه الفلسفة يجب أن يتم دون الأخذ بتوجهاتها المادية النفعية على نحو مطلق.¹

يشكل الوطن العربي جزءا مهم من القرية العالمية يتفاعل معها ويتعامل مع ما ينتج من ذلك التفاعل من تأثر وتأثير، لكن يبدو أن العلاقة الثقافية بين العرب والغرب بشكل عام تكمن في التأثر لأن أكثر جوانب الثقافة العربية، تأثرا بالغرب كان ميدان التربية الذي غابت التربية العربية الإسلامية الأصيلة عن معظم أجزائه وحل محلها فكر تربوي غربي مستورد. نتائج ذلك التأثير على الأنظمة التربوية العربية بشكل عام أصبحت ذات طابع غربي يتم توجيهها من قبل فلسفات تربوية غربية، ولذلك أصبح من أهم سمات الفكر العربي التربوي المعاصر الإستغراب، حيث يكاد لا يوجد فكر عربي تربوي خال من هذا الأثر رغم إختلاف الظروف والأوضاع.²

¹ - بن عبد السلام حسين، رسالة ماجستير " فلسفة التعلم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في إستراتيجية الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر"، جامعة الجزائر، 2007، 2008، ص144

² - نوفل محمد نبيل، دراسات في الفكر التربوي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، سنة 1985

يعتبر نظام التعليم العربي موروث إستعماري فقد أعطت حكومات الدول العربية أولوية قصوى للتعليم، وعملت على نشره إعتقاداً على النظم التعليمية التي أنشأها الإستعمار دون تغيير في الأهداف، يقول نوفل محمد نبيل في كتابه: "لا تتضح في مجال كما تتضح في ميدان التربية، حتى أصبح الكثير من دارسي التربية في الوطن العربي ينظرون إلى النموذج الغربي التربوي على أنه يمثل التربية التقدمية في معالجة مسائل التربية والتعليم".¹

لقد تأثرت البراغماتية بالتراث التجريبي البريطاني وتنسب إلى الفلسفة الوضعية المنطقية، التي نشأت على يد أوغست كونت Auguste conte ثم إمتدت إلى إنجلترا بسبب جهود هربرت سبنسر Herbert spencer ثم إنتقلت إلى أمريكا، حيث دعى إليها تشارلز بيرس Charles Pearce الذي ركز على إستخدام الطريقة العلمية في فحص الأفكار تجريبياً ثم إنتشرت على يد وليم جيمس William James الذي أكد على تطبيقها في مجالات علم النفس والدين والتربية، ثم طورها ديوي الذي عمل على تطبيقها في المجال التربوي. والذي نشرها في بلدان العالم وقد حاولت الدول العربية إستيراد هذا المنهج وتطبيقه في المجال التربوي العربي.

تنظر البراغماتية للإنسان ككائن بيولوجي مادي إجتماعي، يعيش في بيئة إجتماعية وبيولوجية ويؤكدون على الجانب الإجتماعي للطبيعة البشرية، يرى ديوي أن الكون محكوم بقوانين التغيير والتقدم فكل الأشياء في الكون في حالة من التغيير فالإنسان ينمو حتى يصبح راشداً ثم يهرم ويفنى، فكل العالم في حركة دائمة والتقدم يعني النمو

¹ - يزيد عيسى السورطي، مجلة دراسات، تأثير الفلسفة البراغماتية على العملية التربوية في الوطن العربي،

الجامعة الأردنية، المجلد 35، السنة 2008، ص 5

ولهذا فالقيم ليست مطلقة ولا ثابتة ولا موضوعية فهي متغيرة ونسبية وذاتية يصنعها الفرد.¹

أسس ديوي منهجه التربوي على الأفكار الليبرالية للفلاسفة مثل روسو وهربرت وآخرون ومن أهم أفكاره التربوية التي حاولت النظم العربية تطبيقها:

- التربية عملية مستمرة لا تنتهي بإنهاء متطلبات مادة دراسية ولا بالحصول على الترقية ولا بالتخرج.

- التربية توجه الفرد لذاته وليس فرض الأمور عليه بطريقة تسلطية وتعتمد مدرسته على رغبات المتعلم وإهتماماته فهو محور العملية التربوية، وتسعى لإنسجام المتعلم مع الديمقراطية وتعلم العيش مع الآخرين وفهم مشكلات المستقبل وحرية التعلم.

- التربية هي الحياة ومركزها الخبرة التي تبقى مستمرة وتهدف التربية إلى تعليم الفرد كيف يفكر ويتعلم.

يقول دارلنج ونورد نوبو Darling and Nordinbo: "يعتبر ديوي أحد أعلام النظرية التقدمية التي أثمرت في الأوساط التربوية العالمية، مع مطلع الربع الثاني من القرن العشرين ظهر الأثر الكبير الذي خلفه ديوي على التربية العربية فكرا وممارسة".²

لقد أظهرت بعض الدراسات في البلدان العربية أن معلمين ومديري المدارس متأثرون بالتربية البراغماتية ومبتنون لأفكار ديوي، فد قدم خالد العمري في مجلة

¹ - Ornstein,A.C, and levine, **Foundations of Education**, Boston, Houghton Mifflin,d.v.1989,p6

² - علي سعيد إسماعيل، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، العدد198، سنة1995، ص98

تربوية أن النظرية التقدمية أثرت على نظرة المديرين والمديرات والمعلمين وسيطرة على المدرسة الأردنية وعلى عملية التعلم وطرق التدريس والمناهج.¹

كما جاءت نتائج دراسة الشويحان صفاء على عينة من أستاذة مرحلة التعليم الثانوي في الأردن، أجريت عليهم الدراسة يتبنون التربية التقدمية الديوية في المنظومة التربوية عامة وقد توصلت إلى أهداف ونتائج ميدانية. بما أن التربية البراغماتية تؤكد على نمو المتعلم من خلال الخبرات التي يمر بها في جو ديمقراطي ملائم وركزت على ميول المتعلم ورغباته ودعت إلى التجربة.²

حدد المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب الذي عقد في الكويت عام 1968 حيث تجلت أهدافه في:

- تربية الطفل تربية سليمة في مجتمع ديمقراطي

- تهيئة الوسائل التي تكشف عن مواهب التلاميذ

- تدريب التلميذ على البحث والتجريب وتنمية فكره

كما ظهرت النظرية التربوية الديوية أثرها في مصر والتي حققت بعض الأهداف ميدانيا، منها خلق ثقافة الإبداع والإبتكار وإكتشاف المهارات الأساسية للتعليم، وإعداد الفرد لتقبل التغير من أجل التطور والتقدم والتعاون مع الآخرين.³

¹- خالد العمري، الفلسفة التربوية لمديري المدارس الحكومية في الأردن، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم

الإنسانية والإجتماعية، العدد2، المجلد8، ص62

²- صفاء الشويحان، فلسفة التربية السائدة لدى معلمي المرحلة الثانوية في الأردن، رسالة ماجستير، الجامعة

الأردنية عمان، سنة1986

³- علي سعيد إسماعيل، هموم التعليم المصري، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، سنة 1990، ص13

لقد عمل بعض التربويين العرب على إدخال طريقة المشروع إلى التعليم العربي بقول عبد الدائم في كتابه "التربية عبر التاريخ": "حسبنا أن نقول أن هذه الطريقة تلخص في أعماقها معظم أفكار التربية الحديثة على نحو ما ظهرت في أوائل القرن العشرين فهي تنطلق من قابليات الطالب وميوله وتأخذ بطريقة الفعالة في التربية، وهي تستند إلى تحليل نفسي دقيق لطبيعة الفكر الإنساني ولأسلوب معالجته للمشكلات وهي فوق هذا وذلك تستند إلى المبادئ الفلسفية القيمة التي وضعها المربي الكبير ديوي حول الخبرة والتعليم، عن طريق العمل والهدف الإجتماعي للتربية ومراحل عملية التفكير وسواها من الأفكار التي أشاعتها فلسفة ديوي الفنية في التربية الحديثة كلها".¹

كما حظي ديوي بمكانة مميزة في الترجمة العربية لكتبه مثل ما إتضح حتى عند بعض المفكرين من الجامعات المصرية، مثل زكي نجيب محمود وأحمد فؤاد الأهواني ومحمد فتحي الشنيطي وزكريا إبراهيم وغيرهم، ولعبت مؤسسة فرانكلين للنشر أيضا دورا هام في تيسير سبل نشر التربية البراغماتية في الوطن العربي.²

إن الترجمة فتحت بابا واسعا لقراءة التربية التقدمية وتبنيها في التربية العربية وحتى مؤسسة فرانكلين للنشر دعمتها رغبة لدى بعض الأطراف الأمريكية في تحقيق تأثير تربوي أمريكي في التربية العربية. فقد قام الكثير من الطلاب والمعلمين والباحثين بقراءة الكتب التربوية وإعتمادها في الكثير من الكليات والجامعات العربية فقد ألف محمد الهادي عفيفي كتابا عنوانه "الأصول الثقافية للتربية" الذي كان محوره وأساسه البراغماتية عند جون ديوي، وكتاب آخر بعنوان "طبيعة الإنسان وتطبيقاتها

¹ - عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، سنة 1984، ص 594

² - يزيد عيسى السورطي، مجلة دراسات، سبق ذكرها، ص 07

التربوية" معتمدا على آراء ديوي في الطبيعة الإنسانية أنها متعددة وغير محدودة والشخصية الإنسانية محصلة للعلاقات الإجتماعية والإنسان يتغير وينمو ويتعلم.¹

كما أنه ركز على التفريق بين التربية التقليدية والتربية التقدمية التي نادى بها ديوي والتي غيرت النظرة العالمية للتربية، ونجحت على المستوى العالمي فقد حققت نجاح ميداني إتضح أثره على التربية العربية.

سيطر فكر ديوي على البحوث العربية المتعلقة بالتنظير التربوي مما أضعف إبداع العقل التربوي العربي، وإبتعاده عن الواقع والإنعزال عن السياق الإجتماعي للمشكلات التي تتناولها.² لقد عمل إسماعيل القباني كعميد لمعهد التربية العالي للمعلمين الذي أنشأ سنة 1929 وتحول إلى كلية التربية في جامعة عين شمس، حيث إستقطب خبراء تربويين أمريكيين وترجمت بعض الكتب التربوية لجون ديوي جعل الساحة التربوية المصرية تنتشع بهذه الأفكار.³

أنشأت في مصر في الأربعينيات من القرن التاسع عشر نوع من المدارس عرفت بإسم "المدارس النموذجية" أشرف عليها كبار من أساتذة التربية وعلم النفس وكانت صورة طبق الأصل للمدرسة التجريبية التي أسسها ديوي في شيكاغو، مثلت هذه المدارس النموذجية بيئة تجريبية لطريقة التدريس تسمى المشروع، إنتقلت هذه الأفكار من مصر إلى الدول العربية.⁴

¹- عفيفي محمد الهادي، في أصول التربية، الأصول الفلسفية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط سنة 1980، ص 147

²- إبراهيم محمود أبو زيد، أزمة البحث التربوي، دراسات تحليلية في بحوث مناهج التربية المعاصرة، العدد 4 سنة 1986، ص 116

³- نجيب كمال، أزمة العقل التربوي في مصر، التربية المعاصرة، العدد 3، المجلد 12، سنة 1995، ص 89

⁴- زينب حسن، هل دخل التعليم في مصيدة التسييس، دراسات تربوية، المجلد 5، سنة 1986، ص 67

بعدما عاد بعد المبعوثين والباحثين العرب من المعاهد الأمريكية متأثرين بالأفكار التربوية التي عملوا على تطبيقها، مثل بعض المفاهيم التربوية الخبرة، النمو النشاط الديمقراطية، العمل، فأصبحوا مبشرين في الميدان التربوي العربي هكذا أصبحت هذه البعثات التربوية إحدى البوابات التي دخلت منها التربية البراغماتية إلى التربية العربية.¹

لكن إذا كان إستقبال النظرية التربوية الديوية في الوطن العربي على هذا النحو فما أثر هذه النظرية على التربية العربية؟ وما نتائج أفاقها في الواقع التربوي؟

أثر التربية الديوية على التربية العربية وأفاقها:

أثرت أمريكا تأثيرا سياسيا وإقتصاديا وثقافيا كبيرا على معظم البلدان العربية ونظرا لتبادل الخبرات، يأتي باحثون تربويون أمريكيون يحملون الفكر التربوي التقدمي محاولين نقله إلى التربية العربية. لقد كان التربويين العرب خلال النصف الثاني من القرن الماضي متحمسين لأفكار ديوي، وكانوا ينظرون إليه كحل مناسب لأزمتهم التربوية.²

هذا الأمر صرفهم عن مجابهة أزمت الواقع فكانت النتيجة إعداد قادة سياسيين وإقتصاديين وتربويين ساهموا في مشكلات وأزمات كثيرة في الوطن العربي، وهناك أشار إلى أن تطبيق المنهج البراغماتي أدى إلى إنخفاض مستوى التلاميذ في أمريكا حتى أن نسبة الأمية زادت عند خريجي التعليم الإلزامي.³ نقل التربويين العرب هذه

¹ - عبده مصطفى عبد القادر، التكوين الفلسفي للمعلم العربي، دراسات تربوية، العدد9، المجلد76، سنة1993

ص16

² - رضا محمد جواد، تربية الخوف، مجلة المنابر، العدد11، المجلد2، سنة1987، ص24

³ - نوفل محمد نبيل، دراسات في الفكر التربوي المعاصر، القاهرة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، سنة1985

ص49

التجربة إلى البلدان العربية بدءاً من مصر متجاهلين إختلاف السياقات والثقافة بين أمريكا والوطن العربي، وتمي إبعاد الدين عن المجال التربوي وأصبح معزولاً عن باقي المواد وأصبح تدريسه مهمولاً، فقد خصصت بعض الدول العربية 618 حصة للتربية البدنية وأعطت 470 حصة للتربية الدينية.

إن توجه التربية العربية بشكل عام نحو إقصاء التربية الدينية في المنهج التربوي زاد من تفاقم المشكلات والإنحلال الخلفي وكثرة الظواهر الإجتماعية الغربية عن مجتمعاتنا العربية، إن البراغماتية تقوي النزعة الفردية وتعزز مبدأ النفعية وترجح المصالح على المبادئ هذه الأفكار إنتشرت في المجتمع العربي، فأصبح الفرد العربي يؤمن بالنزعة النفعية وتحقيق المصالح الشخصية حتى لو تعارضت مع مبادئهم وتعاليم دينهم، هكذا خلقت أزمة قيم مظهرها الفردية المتطرفة وعبادة الذات.¹

يجب على الفلسفة التربوية أن تشتق من العقيدة الإجتماعية فقبول المجتمع العربي بشكل عام للدين الإسلامي، كمنهج حياة يستدعي تبني تربية دينية بعيدة عن الأفكار الغربية التي لا تتناسب مع قيمنا وحاجاتنا ومجتمعنا، لهذا السبب أدى تبني التربية التقدمية تدبداً في فلسفة التعليم وتخبط في إجراءاته وعملياته أكسب ثقافتنا مزيداً من مظاهر الفصام والإضطراب.²

أدى إسترداد التربية البراغماتية إلى الوطن العربي في إنفصام بين المجتمع والمنظومة التربوية، لقد كان شعار التربية التقدمية التربوية ليست مجرد عملية إعداد للحياة بل هي الحياة نفسها والتربية المستمرة لا تنتهي ما دام الإنسان على قيد الحياة. هذه الأفكار لقيت رواجاً كبيراً في الوطن العربي لا سيما وأنها تنادي بالتجريب والتعلم

¹- أبو العينين على خليل، أصول الفكر التربوي الحديث بين الإتجاه الإسلامي والإتجاه التغريبي، دار الفكر العربي

القاهرة، مصر، دط، سنة 1980، ص 86

²- علي سعيد إسماعيل، هموم التعليم المصري، مرجع سبق ذكره، ص 99، ص 100

بالعمل والمشروع والتعلم الذاتي وحل المشكلات، وقد أثر إيجابيا هذا على المناهج التربوية في الوطن العربي، فمثلا أظهرت نتائج دراسة أستخدمت طريقة المشروع في جامعة الإمارات العربية المتحدة بدرجة متوسطة¹. في ضوء هذه النتائج الإيجابية يمكن القول:

- يجب ربط التربية بواقع المتعلم ومستقبله

- التعلم بالعمل والتجربة

- المتعلم محور العملية التربوية وتوجيه أهدافه وميولاته وحاجاته

- بناء فلسفة تربوية دينية عربية تحترم قيم الإسلام

- إعطاء مكانة للدين في المجال التربوي في الوطن العربي

كما عرف المؤتمر العام التاسع لليونسكو في نيودلهي التربية الأساسية: "تسعى التربية الأساسية مع إحترامها للعقائد الدينية إلى تنمية القيم الخلقية، والشعور بتماسك الجنس البشري، وبينما نجد أن هدف المدرسة هو تعليم الأطفال وأن تحصل قسط أوفر من التعليم هو إستمرار للتعليم الذي وفرته المدرسة، نجد أن التربية الأساسية تستهدف تنمية نظام تعليمي غير كامل في المناطق المتخلفة إقتصاديا سواء أكانت مناطق ريفية أو مدنية"².

يعتبر فتح الحوار الفلسفي مع البراغماتية بصفتها القاعدة الفلسفية التربوية السائدة في هذا العصر، ولهذا نجد أن هناك إمكانات نافعة لتجربتنا الفلسفية العربية

¹ محمد سمير عبد العال، أساليب التدريس في جامعة الإمارات العربية المتحدة ودورها في تحقيق أهداف التعليم

الجامعي، ندوة طرائق التدريس في الجامعات العربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، سنة 1988، ص 25

² محي الدين صابر، التغيير الحضاري وتنمية المجتمع، سرس اللبان، دار المعارف، مصر، دط، سنة 1952

المعاصرة، هكذا ندعوا إلى خلق أجواء التعايش الفلسفي الذي سيؤدي بالتأكيد إلى توسيع فكر تربوي وتوفير مناخ فلسفي يساهم في تكوين إطار ثقافي عام للحظة إقلاع فلسفي تربوي عربي معاصر. إن الفهم الجديد لعمل المعلم والتصميم البرامجي للمنهج الدراسي وطرائق التدريس، فالبراغماتية نحتاجها في دراستنا العربية من زاوية نقدية تقويمية ومن رؤية الحوار المتبادل، لأن فيها إمكانيات تنفع إذا ما ضبطت في مناخاتنا العربية أن تكون فعاليات تربوية تعين في تنفيذ مشروعنا الفلسفي المعاصر مستقبلاً.

تذكر الباحثة السويدية ألفا ميردال Alva Myrdal التي نشرت في مقالات توضح فيها نظرية ديوي في التربية والتعليم، خاصة في سنة 1968 مع إنفجار الثورات الطلابية حيث عمت السويد مظاهرات في كل مكان مطالبين بالتعلم من خلال العمل اليومي، وحل المشاكل بطريقة سيكولوجية وتبقى المدرسة مختبر تجريبي، هذا الموقف عملت به مصر.

شهدت الحضارة الإنسانية نزعات قبلية وتنافس بين الشعوب ومطامع الحكام وحروب دامية، حاولت التربية أن تغير من هذا الجو السائد وقد إعتمدت على الدين كمصدر رئيسي، لهذا يعتبر الدين الإسلامي مرجعية مهمة للأمة العربية كونه يحث على التعلم وأول سورة وأية نزلت في القرآن الكريم "اقرأ" وهذا الفعل رسالة إلى كل إنسان، الذي فضله وأكرمه الخالق بالعقل حتى يكتشف الحقيقة وينزع ستار الجهل ويضيء العلم طريق في حياته.

واجهت الأمة العربية حملات إستعمارية خلفت ورائها الفقر والجهل والمرض وهذا ما جعل، التفكير ينصب حول كيفية الخروج من هذا الدمار السياسي والإقتصادي والإجتماعي، حيث لعبت التربية دوراً هاماً في منتصف القرن العشرين لم تشهد من قبل ذلك بفعل ما شهدته من تغيرات سياسية وإقتصادية وثقافية، فظهرت حركات

وثورات وطنية أنهت بها إستقلالها التام وحاولت الدفع بعجلة التنمية الإقتصادية ووضع مخططات مع بداية الستينات وتزايد النمو السكاني وتنوع الثروات الطبيعية والمادية خلال السبعينيات. هذه التطورات الشاملة جعلت تطلعات الأمة العربية نحو مستقبل حافل بالإنجازات وتحقيق حياة جديدة، يسودها ديمقراطية التعليم تتدرج من قاعدة في التعليم الإبتدائي وإستغلال الإمكانيات البشرية والمادية وأساليب تحويلها إلى طاقات تربوية فعالة للأمة العربية.

يتميز العالم المعاصر بسرعة التغير في الحياة والمعرفة والعلم والتيارات المختلفة في تفعيل البناء والتعاون والخير، كما تتخلله عوامل العدوان والدمار والحروب، حيث تقف التربية بين هذه التيارات وعليها إختيار بدائل متعددة وإتجاهات مختلفة و كثيرة. فالتربية المعاصرة تهتم بالقيم والأخلاق وتسعى في تحديد نوع القيم المفيدة والصالحة والقيم التي ترفضها وتحاربها.

تقف التربية العربية المعاصرة أمام عملية الإختيار على أسس من البحث والدراسة في تحديد إستراتيجية مناسبة، لكن كيف تطور النظام التربوي العربي خاصة مع العمل بالنظرية التربوية الديوية؟

من أهم المؤتمرات في المجتمع المعاصر وسائل الإعلام بأنواعها (التلفاز الراديو، الإعلام الألي، الإنترنت) تساهم في تكوين شخصية الفرد وسرعة التبادل الثقافي، تقرب الثقافات بين البلدان وهكذا تواجه التربية مشكلة إستعاب هذه الأفكار وتحويلها إلى خدمة مستهلكيها من الأفراد وبالتالي ظهرت بعض التجارب والإتجاهات لإصلاح المنظومة التربوية.

لقد وظفت الدول العربية التربية المستديمة lifelong education بمعنى التعليم طوال الحياة، حيث يعتبر هذا المفهوم من أبرز المنطلقات التي إرتكزت عليها الإستراتيجيات التي نادت بها اليونيسكو العالمية، في محاولة تطوير التربية في عام التربية العالمي سنة 1970 ثم جاءت تقارير عالمية أشهرها تقرير إيدجار فور 1972 وقد تكلم الكثير من المفكرين عن التربية المستديمة، مثل أرسطو و كونفوشيوس وجون جاك روسو في كتابه "إميل Emile"، ونجدها في الدين الإسلامي "أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" هكذا أصبحت التربية المستديمة مبدأ وإتجاها وأسلوب ميداني للتربية الشاملة.

جاء في تقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية بفكرتين فكرة التربية المستمرة وفكرة المجتمع المتعلم، وقد إستطاع عالم إنجليزي أن يقدم نموذجا للتربية المستديمة عرف بإسم سبولدنج spaulding وهو يراعي الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية للدول ويناسب كل دول العالم المتقدمة والنامية كالدول العربية.¹

تعتبر عملية التعليم عملية إجتماعية ترتبط بالتربية إرتباطا لصيقا، فالمادة التعليمية هي التي تنمي قدرات الطفل في المدارس، وهذا بالإعتماد على عناصر مهمة مثل البرامج ونظام الإمتحانات والتكوين التربوي للفرد منذ الحضانة للطفل إلى الجامعة يسير وفق مراحل مختلفة تتطور قدرات الطفل، وتزداد ليصبح له تربية خاصة و إيديولوجية معينة ونمط تربوي مميز هذا المخطط عملت به الدول العربية.²

¹- مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط10، سنة 1986، ص585

²- مهدي كامل، في قضايا التربية والسباسة التعليمية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1991، ص44

يمكن القول أن محاولة إسترداد النظريات التربوية الغربية وتطبيقها في المجتمعات العربية، قد لا تكفل فائدة لأن كل نظرية ترتبط بعامل الزمان والمكان وما توصل إليه ديوي من أفكار ورؤى كان نتيجة لطبيعة المجتمع الأمريكي القائم على أساس النزعة الصناعية والتوجه الديمقراطي. لا يبدوا أن هذين الأساسين موجودان في الوطن العربي، وهكذا يبقى تطبيق النظرية التربوية الديوية على الأنظمة التربوية العربية أشبه بالمريض الذي تناول دواء ليس له.

لهذا تبقى الإستفادة من أفكار ديوي التربوية ميراثا مشتركا للإنسانية جمعاء لكن يجب مراعاة خصوصية المجتمعات العربية وطبيعتها، وينبغي على النظم التعليمية العربية أن تستفيد من الأفكار التربوية عند ديوي لكن تراعي ما هو مناسب، كون أن التربية وليدة المجتمع ولهذا يجب علينا أن نراعي ما يتناسب مع البلاد العربية ماديا ومعنويا، وبما لا يتعارض مع توابتنا الثقافية والدينية بما يكفي تطور التربية العربية.

كما تحتاج التربية في الوطن العربي إلى نوع الإنسان الذي تكونه أي التنشئة الفردية، يبدوا أننا بحاجة إلى الفرد الذي يساهم في بناء نفسه ومجتمعه وقوميته ووطنيته وعقيدته، إلى الإنسان المؤمن بدينه وعقيدته وأمه العربية كما قال أفلاطون الدولة تنطلق من الفرد بمعنى بناء نمط تربية الفرد يعطينا بناء الدولة التي يتمناها كل مواطن عربي.

نقد وتقويم التربية الديوية والتربية العربية:

تسعى أغلب الأنظمة التعليمية العربية إلى معالجة أزمة التربية في ظل التغيرات الدائمة، وقد شهدت الساحة التربوية ميلاد نظريات متنوعة تبحث في تجديد الأنظمة التعليمية وفي وظيفتها وتطويرها، لتلحق بركب الحضارة الإنسانية المتسارعة. وقد ظهرت مجموعة من النظريات التربوية التي ترى أن المدرسة فقدت مشروعيتها ومن هؤلاء إيفان إيليتش Ivan Illich في كتابه "مجتمع من غير مدرسة".¹

التعليم في الوطن العربي لم يصل إلى المستوى الذي يمكنه فيه أن يعد طلابا من أجل الحاضر أو من أجل المستقبل، لأنه بقي عالقا في الأنظمة الماضية ولهذا يوجد فرق واسع بين التربية الديوية البراغماتية والتربية العربية.

فالتربية عند ديوي أساسها بناء العقل والتفكير المنطقي واكتساب المهارات وتعتمد على التواصل بين التعليم المهني والتعليم النظامي، وتوافق المعرفة النظرية والعملية وتعتمد التربية البراغماتية على التجربة، والتعليم يعتمد على الديمقراطية وقابل للتغيير وفقا لإحتياجات المجتمع وتطلعاته.

أما التربية العربية تهتم ببناء الذاكرة والتركيز على مبدأ الحفظ، ولا يرتبط التعليم مع إحتياجات المجتمع ولا تحقق فيه ديمقراطية تساوي بين المتعلمين، وتعتمد على التلقين وقلة الإبداع وتفصل بين المعرفة النظرية والعملية. كما يتم تهميش الدين كونه يساهم في بناء تربية دينية للفرد، ونظرا لإختلاف وجهات نظر المسؤولين وإنتماءاتهم السياسية يغلب على التربية العربية التغيير وهذا يؤثر سلبا على تطور النظم التربوية والتعليمية مع كثرة نسبة الأمية والفقر والبطالة، وتهميش الطبقة

¹ -Illich Ivan, *une société sans école*, seuil, paris, 1971,p96

الإجتماعية البسيطة وظهور التسرب المدرسي الذي يقدم للمجتمع نموذج من الأفراد بعيدين عن التربية الدينية.

لقد إهتمت أمريكا بالعملية التربوية خاصة في مرحلة سميت بالتربية ما بعد جون ديوي لأنها تساهم في بناء وتكوين الإنسان الأمريكي، وقد عرفت أهم حركة إصلاح تربوي في سنة 1989 حيث عقدت قمة رئاسية حول أوضاع التعليم حضرها الرئيس الأمريكي جورج بوش في 27 سبتمبر 1990 في ولاية فرجينيا وصدرت وثيقة بعدها في 18 أبريل 1991 بعنوان "أمريكا عام 2000 إستراتيجية للتربية" تضمنت ملامح حركة إصلاح تربوي شاملة تعد أمريكا لقيادة العالم في القرن الحادي والعشرين.¹

التعليم في الوطن العربي في عصرنا هو تعليم مستورد بتنظيمه وفلسفته ومحتواه على درجة من الإغتراب والعزلة عن الواقع يقول محمد عابد الجابري في هذا السياق: "التعليم في الوطن العربي غير متجانس ولا يمتلك الحد الضروري من الوحدة والإنسجام، وهو تأسيساً على ذلك يكرس ظاهرة إنفصام الشخصية الثقافية وإزدواجها، لا توجد في أي قطر عربي مدرسة وطنية عربية بل هناك مدارس نستسخ هذا النموذج أو ذاك النموذج الإنجليزي أو الفرنسي أو خليط منهما معا من جهة والنموذج الإسلامي القديم من جهة أخرى، ولذلك فإن النظام التربوي في البلدان العربية نظام غريب ليطفو على سطح المجتمع ويزيد من تعقيد مشاكله".²

يوضح الجابري من خلال قوله أن المدرسة العربية تعاني من مشكل الإغتراب فهي ليست مستقلة بل تابعة للأنظمة غربية، وهي لا تبرر ثقافتها ولا علاقتها مع

¹ عزت عبد الموجود، أمريكا عام 2000، إستراتيجية للتربية، مركز البحوث التربوية، قطر، الدوحة، سنة 1992 ص 19

² محي الدين صابر، ومحمد أحمد الشريف، إستراتيجية تطوير التربية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس الغرب، تونس، دط، سنة 1979، ص 23

المجتمع وقد أشار إلى النموذج الإنجليزي لكن في الأصل إلى النموذج الأمريكي البراغماتي الذي يشير إلى زعيمه ديوي.

يشهد العالم اليوم تحولات سياسية وإجتماعية بالغة الأهمية هذه التحولات تفرض على الوطن العربي النظر في المسائل التربوية بعين التجديد والتغيير وتطوير الأنظمة التعليمية بما يناسب عصر ما فوق التصنيع، وبما يجعل الأمة العربية قادرة على مواجهة صدمات الحضارة، وإعادة بناء موقفنا من الزمن فنتجاوز الماضي ونعطي للحاضر أهميته وللمستقبل ضرورته. خاصة وأن الوطن العربي يعاني من التبعية والتجزئة والتخلف هذا الثلاث يجعله جامد وعاجز عن التقدم.¹ ونذكر بعض مشاكل التربية العربية:

- لا توجد دراسات حول إتجاه التلميذ وحاجاته وصعوباته وتفاعله داخل المدرسة
- غياب ديمقراطية التعليم وتدني مستوى الكتاب المدرسي ونقص التجهيزات
- إزدحام الصفوف بالطلاب في أغلب المدارس مما يؤثر على مستوى الفهم
- غياب الدراسات التي تجمع بين المدرسة والمؤسسات الدينية
- ضعف المناهج وطرق التدريس في مختلف المراحل التعليمية وهذا راجع لضعف مستوى خريجي هذا النظام التعليمي

كما ذكر محمد مرسي في كتابه الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث أن قرار خفض مدة الدراسة في المرحلة الابتدائية في مصر، من ستة سنوات إلى خمسة عام 1989 جاء بناءا مجرد رأي إستشاري من اليونسكو، قدم للسيد وزير

¹ محمد منير مرسي، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، سنة 1992

التربية والتعليم في جمهورية مصر العربية، وهذا يعني غياب الحد الأدنى من التخطيط لعملية الإصلاح في أحد أهم البلدان العربية.¹

تهتم التربية العربية من خلال مؤتمراتها المتكررة على إتجاهات منها الإتجاه الفردي، الإجتماعي، الإقتصادي، القومي، الديني، الأكاديمي، الإنساني، وقد نصت الدساتير العربية على أن الإسلام دين الدولة الرسمي واللغة العربية لغتها الرسمية ومجانبة التعليم وإلزاميته، محاولة تجاوز كل العثرات التي علق فيها وبقيت متأخرة.

يمكن القول أن التربية العربية تحتاج إلى تجديد تربوي شامل يتجاوز حدود الإصلاح الذي بقي يترواح مكانه، والتركيز على الفرد لأنه مصدر التقدم فالمدرسة العربية تنجز إنسان إغترابي سلبي لا يمتلك القدرة على مواجهة التحديات الحضارية أما المدرسة الغربية تنجز إنسان مبدع وناقد وعالم بالتكنولوجية ومشاركاً في بناء الحضارة، منطلقاً من تربية أسرية تهتم بالمعتقدات الدينية التي تعتبر مرحلة أولى لبناء تربية الفرد تربية دينية تجعله مواطن صالح متخلق راقى وحضاري يساهم في بناء البلاد.

يؤكد ديوي على البيئة الإجتماعية التي تحقق التربية وفيها يتعلم الطفل اللغة والكلام والأداب والأخلاق ومعايير الجمال، كما تركز على علم النفس وعلم الإجتماع فالمدرسة هي لون من الحياة الإجتماعية تربط بين الفكر والعمل عند الطفل.

لقد أشار ديوي إلى تصور أفلاطون للتربية الدينية الذي يعتقد أن الإنسان روح في علاقة مؤقتة مع جسم مادي، وقد وجدت قبله وستبقى بعد فنائه فهي تنتمي إلى عالم أسمى من العالم الذي ينتمي إليه الجسم، ووظيفة التربية هي تقوية الروح حتى تتغلب على شهوات الجسد وهذا إعتقاد ميتافيزيقي.

¹- المرجع نفسه، ص 254

لقد فهما أفلاطون وديوي أن التربية هي الأسلوب العملي لترجمة القيم إلى سلوك الأجيال، وللتربية أصول فلسفية توضح مفاهيم مختلفة بالمجتمع وطبيعته والطبيعة البشرية والقيم ونجد إهتمام أفلاطون بالتربية الخلقية، فالمربي يوجه للطفل كلمات يتعلم منها الخطأ والصواب، هذا خير وذاك شر إعمل هذا وإمتنع عن ذلك.¹

يرى ديوي أن المدرسة لا تعلم الجزئيات ولا النظريات بطريقة الإلقاء والتلقين فالأمريكي يرفض النظريات المعدة ويفضل نتائج البحث في المعمل والمصنع، وتقوية المهارة في الأعمال اليدوية، فتجارب الطلبة هي أساس الدرس فهو لا يصدق أن الشهادات تمنح صاحبها شيئاً من الشرف العقلي.

هناك فرق واسع بين المواطن العربي الذي يبعث إبنه إلى المدرسة ليتعلم فيها شيئاً ما، أما المواطن الأمريكي فيريد من المدرسة أن تضمن التربية الكاملة لإبنه التربية العملية والعقلية والخلقية. تعتبر البرامج التعليمية في الوطن العربي ثابتة لا تتغير والمناهج لا تعني إلا بالمبادئ المجردة والإستدلال المنطقي والننائج، والشعب لا يفهم لغة المربين عندنا، أما المدرسة الأمريكية فتتعامل مع التلاميذ وأوليائهم، كما أن المرأة تمثل دوراً هاماً في نقل التربية وأساليبها إلى الطفل لهذا نجد المدارس الثانوية الأمريكية كلها مكتظة بالفتيات التي تتلقى فيها تعليم عن حياة الأسرة والمنزل.

ويمثل الأمريكيين التضامن الإجتماعي إنطلاقاً من ديمقراطية التربية، وكل المدارس تجمعها وحدة وتسعى إلى تربية الطفل وتنمية شخصيته وتقوي فيه كل ما يبعث روح الإرادة القوية.²

¹- إنطوان الخوري، أعلام التربية حياتهم و آثارهم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، سنة 1964، ص 14

²-غوستاف لوبون، روح التربية، ترجمة طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط

لقد إختار الأمريكيون الإعتماد على التعليم بالتجربة، فالطفل الأمريكي يتعلم اللغة دون أن ينظر في كتاب النحو ويتعلم فهم الطبيعة في المعمل لا في قراءة الكتب، إذن التجربة في التعليم تكون للإنسان لهذا نجد ديوي يشير إليها في العديد من مؤلفاته "الفن كخبرة"، و"الخبرة والتربية"، "الخبرة والطبيعة" ويقصد بالخبرة التجربة الفردية.

الخبرة عند ديوي ليست شيئاً إختبارياً empirical بل تجريبياً experimental وقيمتها تقاس بما تؤدي إليه من إدراك العلاقات، إن الطفل قبل أن يدخل مدرسته يتعلم بيده وجميع حواسه كونها طرف في معرفته، وإكتشاف الروابط المفصلة بين أعمالنا وما يعاقبها من نتائج يظهر بوضوح ما في الخبرة المبنية على المحاولة والخطأ من فكرة كامنة، ويسمى علماء النفس أسلوب المحاولة والخطأ trial and error هذه الطريقة الناجحة للتعلم.¹

لقد أثر الفكر التربوي الديوي على أمريكا وإمتد نحو بلدان العالم الغربي والعربي وترجمت كتبه إلى لغات عديدة، خاصة وأنه زار الكثير من الدول التي إستشارته في تطوير أنظمتها التربوية، وكان له الأثر الكبير خاصة على الدول الأجلوساكسونية كما أثر على الدول العربية، ورغم محاولة نقل مشروعه التربوي إلى الوطن العربي إلا أنه بقي يتراوح مكانه وإختلفت وجهات الأراء والنظريات التربوية ولم تحقق الأهداف.²

بناء على ما سبق نرى أن ديوي كان فيلسوفاً طبيعياً وتربوياً إجتماعياً، وقد جعل من الديمقراطية لفظاً مرادفاً للتربية، وجمع بين علم النفس وعلم الإجتماع في تحليله للتربية، وقد حاول في مشروعه التربوي إبعاد العنصر الديني ورغم أن التربية

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مصدر سبق ذكره، ص161

² - منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، سنة2008، ص199

الدينية ضرورية للمتعلم إلا أنه أسس للمدرسة اللائكية التي تقصي الدين تماما من الحياة التربوية، وقد قدم بعض البدائل لسد الفراغ لهذا النوع من التربية الروحية الفردية. فهناك مجال للدين في المدرسة يمثله الإيمان أو الجانب الروحي، وتظهر هذه التربية في جانبها العملي خاصة بالخبرة التي تتحول إلى تجربة فردية، لقد عوض ديوي الدين بالفن وبالتقنية أيضا و بالمشروع الذي ساهم في تأسيس المدرسة التجريبية العملية.

خاتمة

خاتمة: من خلال بحثنا وبعد عرضنا لموضوع التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية عند جون ديوي، توصلنا إلى مجموعة النتائج التالية:

- دعى ديوي في منهجه التربوي إلى الإبتعاد عن التعليم التلقيني وقدم بدائل له مثل التعلم بالعمل والتجريب والمشروع والتعليم الذاتي وحل المشكلات، وربط التربية بواقع المتعلم وجعلها وظيفية وعملية وإعتبر المتعلم محور العملية التربوية، فالتعلم هو إكتساب لعادات وإتجاهات وأنماط سلوكية معينة يحتفظ بها الفرد نتيجة لمروره بالخبرات السابقة ليستعملها مستقبلا، والعادات تساعد التربية على مواجهة التغير الإجتماعي وتطوير الحضارة الإنسانية وهذه العادة سلوكية تتميز بالذكاء فهي مرنة متطورة تواجه ظروف المستقبل.

- تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية في المجتمع فهي الوعاء التربوي الذي تتشكل داخله شخصية الطفل تشكيلا فرديا وإجتماعيا، وبالتالي تتكون التنشئة الإجتماعية المبكرة للطفل فمنها يكتسب اللغة والعادات والإتجاهات والتوقعات. إن المكانة الدينية للأسرة لها أثرها العميق في تنشئة الطفل وتربيته، فالعلاقة بين أفراد الأسرة والقوة الإلهية تنعكس في درجة الإيمان العقائدي والقيام بالعبادات والتمسك بالشعائر والتحلي بالخلق الحسن والأخذ بالقيم الإنسانية الفاضلة التي تدعو لحب الخير وكرهية الشر، هذه التربية الدينية تساهم في تربية الطفل نفسيا وإجتماعيا وتكوين شخصيته وتؤثر إيجابا أو سلبا على المجتمع مستقبلا. وتسعى الأسرة إلى تعريف الطفل بالدين والعقيدة وكيفية العبادة وإحترام الديانات والمذاهب الأخرى أنها نمط لتربية الأبناء تربية دينية، كما أن العبادة تقوم بدور فعال في تربية الفرد وتشكيل شخصيته من خلال ما يكتسبه منها من قيم وإتجاهات ومعارف دينية وخلقية وإجتماعية وثقافية متنوعة، لهذا يلعب دور المعلم في العبادة دور مهم لأنه موجه ومرشد ومؤثر في عقول الأطفال وإتجاهاتهم وسلوكياتهم.

- تقوم التربية الدينية على تجربة إنسانية قوامها العلاقات الإجتماعية التي تربطها المحبة والتعاون والإحترام، فالروح الأساسية للدين التي توفق بين مختلف العقائد هي الجوهر الحقيقي للديمقراطية التي يحققها وتسير نحو حياة الخير والفضيلة وتقضي على التعصب والجهل. وتبقى الحياة الروحية تنمو بفعل التربية الروحية فهي ذاتها تربية أخلاقية بل يكتسبها الفرد من بيئته وتربية مجتمعه، إن التربية الأخلاقية هي نواة التربية فهي تربية ذاتية auto education أي عن طريق الإيمان، الذي يتكون بالممارسة والخبرة التي تحصل عن طريق التفاعل الإجتماعي الذي يعيش في المدرسة فيتعلم الطفل الخطأ والصواب، فالغاية تحسين جوهره حتى يتعلم التربية الدينية ويجسدها في حياته بدون قيود.

- تعتبر طريقة المشروع الديوية إحدى أهم تطبيقات التربية البراغماتية وقد نجحت في تحقيق الأهداف التربوية، ويظهر هذا في إقبال الكثير من الدول خاصة العربية ومنها الجزائر التي إهتمت بالتدريس بالمقاربة بالكفاءات التي تعني إبراز القدرات الخاصة بالمتعلم، وأصبحت التربية التقدمية التي نادى بها ديوي قاعدة أساسية لكل إصلاح تربوي في أمريكا وفي الدول الأوروبية والأسبوية والعربية.

- يجب على مفكرينا بناء مناهج تربوية تقوم على توابث الدين الإسلامي والتخلص من النتائج السلبية للبراغماتية، التي أبعدت وهمشت مكانة الدين في العملية التربوية وركزت على النظرة النفعية للقيم وأمنت بمادية الكون والحياة، وإهتمت بالواقع وبالنتائج أكثر من الأسباب، فالتربية الدينية تؤمن بالقوى الروحية والخلقية، ورجال الدين لهم دور في تعليم الفرد وتزويده بالمعارف وميولات المتعلم خاضعة للتغير حسب الظروف.

- المدرسة عند ديوي ليست مكان لتلقين الدروس للتلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات وإنما هي مؤسسة إجتماعية أنشأها المجتمع لتربية وتعليم الأطفال وفق نظام تحكمه علاقات إجتماعية مدرسية تعليمية تقدم فيها العملية التربوية، كما أنها نموذجاً فعلياً وحيوياً للتجربة التي سوف تكسب الفرد خبرة عملية في حياته، ونمو يشمل الجانب العقلي والنفسي والجسمي والإجتماعي حتى تتكون شخصيته وبنائه التربوي.

- إعتبر ديوي الديمقراطية نمطاً لحياة إجتماعية وفردية ونادى بمجتمع ديمقراطي تتوازن فيه قيم الفرد والجماعة وتستمر الحياة، وأكد على أنه لا يمكن أن يتحقق هذا في ظل الأديان التي تمارس التمييز والتفرقة بين الناس، وبالتالي نفهم أن ديوي توجه نحو نظرة إحادية في فلسفته التربوية وإقصاء دور الدين في التربية، لكن يمكن القول أن العبادة مصدرها المعرفة الدينية وموقع لممارسة الشعائر والطقوس والصلوات والمبادئ الروحية، كما تزرع في الفرد القيم الأخلاقية والتربوية والإجتماعية المنبثقة من الدين، إن المدرسة مكان مهم وأساسي لتعليم وغرس المقدسات الدينية وثقافة المجتمع وقيمه وتعاليمه.

- ساهم ديوي بمشروعه التربوي في بعث ثقافة الحضارة الأمريكية، وتحقيق الحرية الثقافية وترقية الحياة الإجتماعية، وجعلها نموذجاً عالمياً يقوم على البحث العلمي والتجربة والإيمان بالتعددية الثقافية وهذا من خلال تجاوز النظريات التقليدية التربوية التي قيدت الفكر الإنساني وأعاقت الحركة الثقافية في أمريكا، لكن التقنية التي ظهرت في عصره تسببت في ظهور الهوية الثقافية بين الميدان التكنولوجي والميدان الإجتماعي، والفرد عنصر أساسي يعيش في بيئة سواء كانت أسرة أو قبيلة أو طائفة أو حزب أو شعب يتأثر ويحمل كل متغيرات الحياة، لكن تبقى الثقافة مركب معقد من العادات تساهم في بنائه التربوية، لهذا لا يمكن أن نقارن البيئة الأمريكية مع البيئة

العربية خاصة وأن المشروع التربوي مختلف بينهما، وكل واحد له ميزات وأسس وثوابت وعقائد بعيدة عن الآخر.

- رغم كل ما قدمه ديوي إلا أنه هناك نقائص يمكن أن نحددها كتالي:

* جعل التربية وسيلة للمنفعة وأهمل الجانب الروحي في الإنسان وإهتم بالجانب

المادي، فالإنسان كائن طبيعي يستجيب إلى المثيرات البيولوجية والاجتماعية

* إعتد التربية كأساس لمذهبه وإعتبرها فلسفة ورفض أن تتمسك بالماضي فالحياة

تطورت، وأصبحت صناعية أكثر فقد دعى إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف على

السن

* إعتبر المدرسة هي الحياة وجعلها تتعدى حدودها ومبالغتها في التأكيد على ميول

الطفل وحاجاته، والعمل على توفير كل الفرص التي تشبع رغباته وميولاته في

نشاطاته

* أهمل الجانب السيكولوجي عند الطفل في التربية وركز على الجانب العملي

والنفعي أي ما ينفع خير وما لاينفع شر، وأكد على حرية المتعلم في إتخاذ القرارات

* ظهرت ثورة بعض المربين الأمريكيين في مطلع السبعينيات من القرن العشرين

على النظرية التربوية عند ديوي، التي أزاله القيم وأنكرتها وإستغلت مبادئ الحرية

والديمقراطية في الإتجاه العكسي، وتبقى التربية الديوية هي تعبير عن واقع المجتمع

الأمريكي إقتصادي وإجتماعيا وثقافيا.

- في الأخير يمكن القول أن التربية الدينية في فلسفة ديوي لم تحقق على أرض الواقع بل أسس لمشروع تربوي براغماتي نجح في الأرض الجديدة أمريكا، وبقي جامدا ويمثل طرح غريب عن البيئة العربية الإسلامية لأنه منافي لها و لا يراعي حاجاتها وظروفها ومشكلاتها، لهذا يجب على روادنا وخبرائنا التربويين إنشاء ورشات ومناهج مغايرة لها وليس نقلها بحذافيرها كما أبدعها مؤسسها ديوي. بل يمكن تكييفها حسب خصوصيات المجتمعات العربية مع إبعاد منها ما يعارض ديننا ولا يناسب عروبتنا ولا يتماشى وفق قيمنا وأخلاقنا الإسلامية، لأن الموضوع هو من يحدد المنهج لهذا يجب التفكير والعمل على تحقيق مشروع تربوي ديني إسلامي لأجيالنا مستقبلا.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن الإمام نافع، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2010.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

أ- باللغة العربية:

1- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ط، دس.

2- جون ديوي وإفلين ديوي، مدارس المستقبل، ترجمة عبد الفتاح المنياوي، مكتبة النهضة المصرية، ط، دت.

3- جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ترجمة مرسي أمين قنديل، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مصر، ط، سنة 1947.

4- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ترجمة عبد العزيز عبد الحميد، ومحمد حسن الخزوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ج1، سنة 1949.

5- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة متى عفاوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، مصر، ط2، سنة 1954.

6- جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، سنة 1959.

7- جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط، سنة 1960.

- 8-جون ديوي، **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**، ترجمة محمد لبيب النجيجي مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط، سنة1963.
- 9-جون ديوي، **المبادئ الأخلاقية في التربية**، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، دار التأليف، القاهرة، مصر، سنة1966
- 10- جون ديوي، **عقيدتي التربوية**، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة مصر، ط2، سنة1968
- 11-جون ديوي، **الخبرة والتربية**، ترجمة محمد رفعت رمضان نجيب إسكندر مراجعة مجد بدران، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، مصر، ط، سنة1977 .
- 12-جون ديوي، **الفردية قديما وحديثا**، ترجمة خيرى حماد، مراجعة مروان الجابري منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط، سنة1979.
- 13- جون ديوي، **الحرية والثقافة**، ترجمة أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرين الإسكندرية، مصر، ط، سنة2003.
- 14-جون ديوي، **إعادة البناء في الفلسفة**، أحمد الأنصاري ومراجعة حسن حنفي المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، سنة2010 .
- 15-جون ديوي، **الفن خبرة**، ترجمة زكريا إبراهيم، مراجعة زكي نجيب محمود، تقديم سعيد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، طبعة جديدة، سنة2011.
- ب- باللغة الفرنسية:

1-John Dewey, **les écoles de demain**,(schools of tomorrow,1915),in reuben wallenrod,éducateur, trad.R. Duthil, paris, flammarion, 1931.

2-Dewey, John, **Démocratie et Education**, Présentation de gerad, bordeaux, presses des imprimeris Delmas, 1983.

3-Dewey John, **L'art comme expérience**, traduction, jean pierre cometti et alii, Editions farrago, université de Pau,2005 et Gallimard 2010.

ج- باللغة الإنجليزية:

1-**Ethics**, by John Dewey and James H Tufts, University California Libraries, 1908.

2-John Dewey, **the influence of Philosophy**, Peter Smith, new York, 1910.

3-John Dewey, Evelyn Dewey, **Schools of To Morrow**, Edition United states,1915.

4- John Dewey, **How we think**, Revised Edition, D.C. Heath and Co. (New Yourk),1933.

5-John Dewey, **Common Faith**, Henry Hort, new Haven, by Yale university press, u.s.a, 1934.

6-John Dewey, **In Art As Expérience**, ny, ch, xiv Harvard, 1934.

7-John Dewey, **Education Today**, George Allen and Unwin, New Yourk, 1941.

8-John Dewey, **Proplems of Men**, N.y, Philosophical Library,1946.

9-John Dewey, **And,american democracy**, by robert b.westhrook, cornell university press,1993.

10-John Dewey, **Democracy and Education**, jim manis, the pennsylvania state university,2001.

11-John Dewey, **form absolutism to experimentalism anticline contemporary American philosophy ressonal statements**, edited by george adams, and w.m.perperell montague, new Yourk, 1962.

2- المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1- أفلاطون، الجمهورية، تقديم الجيلالي اليابس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، سنة 1990.
- 2- أرسطو، في السياسة، نقله من اليونانية وعلق عليه أوغستينس برباه البولسي اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت ، لبنان، ط2، سنة1980.
- 3- أحمد راجع سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط10 سنة1986.
- 4- أحمد قيس هادي ، دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية، مكتبة المنصور العلمية بغداد، دط، سنة1999.
- 5- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر ط2، سنة1968.
- 6- أوبير رونييه، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، سنة1967.
- 7- أوليفيه ربول، فلسفة التربية، ترجمة جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط3، سنة1986 .
- 8- أبوريان، محمد علي، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعارف،الإسكندرية مصر، ط4، سنة1974.
- 9- أبو العينين على خليل، أصول الفكر التربوي الحديث بين الإتجاه الإسلامي والإتجاه التغريبي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، سنة1980.

- 10- أمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي مكتبة تهامة، جدة، السعودية، دط، سنة 1402هـ.
- 11- أوليفر ليان، مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، ترجمة مصطفى محمود محمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، دط، سنة 2004.
- 12- الحاج علي البدرى فوزية ، التربية بين الأصالة والمعاصرة، مفاهيمها، أهدافها فلسفتها، دار الثقافة، عمان، الأردن، ط1، سنة 2009 .
- 13- الشنيطي، محمود فتحي، وليم جيمس، دار الحمامي للطباعة، القاهرة، مصر ط1، سنة 1975.
- 14- الطويل توفيق، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط6 سنة 1976.
- 15- ابن مسكوية أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، دط، سنة 1966.
- 16- إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزة قرني، عالم المعرفة الكويت، سنة 1992.
- 17- إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ط1، سنة 2000 .
- 18- إنطوان الخوري، أعلام التربية، حياتهم، آثارهم، دار الكتاب اللبناني، بيروت دط، سنة 1964 .
- 19- بيرري، رالف بارتون، أفكار وشخصية وليام جيمس، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة مصر، دط، سنة 1965.
- 20- بدوي عبد الرحمن ، فلسفة الدين والتربية عند كانط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1980.

- 21- بيتر كاز، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام، ترجمة حسنى نصار مراجعة مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، سنة 1980 .
- 22- بدران سليمان شبل، الأصول الفلسفية للتربية، شركة الجمهورية الحديثة الإسكندرية، مصر، دط، سنة 2002.
- 23- تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم مطابع رويال، فرنسا، الإسكندرية، مصر، دط، سنة 1996.
- 24- تركي رابح، النظريات التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط سنة 1982 .
- 25- جون جاك روسو، إميل أو التربية، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، مصر، دط سنة 1958 .
- 26- جديدي محمد ، فلسفة الخبرة جون ديوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2004 .
- 27- جديدي محمد، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتسارد رورتي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، سنة 2008.
- 28- جديدي محمد، ما بعد الفلسفة، مطارحات رورتية، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، سنة 2010.
- 29- جيمس ولیم، بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة العلمية للتأليف والنشر، دط، دت.
- 30- جيمس ولیم، العقل والدين، ترجمة محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية مصر، دط، سنة 1949.
- 31- جيمس ولیم، البراغماتية، محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، دط سنة 1965.

- 32- جيمس وليم، معنى الحقيقة، ترجمة أحمد النصاري، المركز القومي للترجمة مصر، ط1، سنة2008.
- 33- جيرار ديلودال، الفلسفة الأمريكية، جورج كتورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، سنة2009 .
- 34- جورج سارتون، تاريخ العلم، نقلا عن عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين في تطور علم الفلك، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، سنة1985.
- 35- جون هيك، فلسفة الدين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكيمة، بيروت لبنان، ط1، سنة2010.
- 36- جان غروندان، فلسفة الدين، ترجمة وتعليق عبد الله المتوكل، مؤسسة مؤمنون للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، سنة2017.
- 37- حجلوي لطفي، التربية الديمقراطية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1 سنة2013 .
- 38- خالد محمد أبو شعيرة، المدخل إلى علم التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، سنة2009.
- 39- خضر سناء ، الخبرة الجمالية عند جون ديوي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ط1 ، سنة2010 .
- 40- ديورانت ويل ، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وأراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف بيروت، لبنان، سنة1988 .
- 41- ديورانت ويل ، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف بيروت، لبنان، ط4، سنة1979.

- 42- رورتي، ريتشارد، نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة، مجلة العرب والفكر العالمي، ترجمة فريق مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان 23-24 سنة 2008.
- 43- رورتي، ريتشارد وآخرون، البنيوية والتفكيك، مدخل نقدية، ترجمة حسام نايل أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، سنة 2007.
- 44- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، ط1، ط2، ط3 سنة 1969، 1980، 1982.
- 45- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط3، سنة 1987.
- 46- سلطان محمود السيد، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة السعودية، ط1، سنة 1403هـ.
- 47- صالح عبد العزيز، تطور النظرية التربوية، دار العلم، القاهرة، مصر، ط2 سنة 1964.
- 48- صادق سمعان، الفلسفة والتربية، محاولة لتجديد ميدان فلسفة التربية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1962.
- 49- عبد الفتاح الديدي، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، سنة 1966.
- 50- عمر محمد التومي الشباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار العلم بيروت، لبنان، ط2، سنة 1985.
- 51- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، سنة 1987.

- 52- عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، ط5، سنة1973، سنة1984.
- 53- عبد الله موسى، مقدمات في فلسفة القيم، بواكير النشأة وأفاق التواصل الأنطولوجي دار القدس العربي، وهران، الجزائر ، ط2، سنة2011 .
- 54- عطية، محسن محمد، غاية الفن، دراسة نقدية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، سنة 2010 .
- 55- عمر أحمد الهمرشي، مدخل إلى التربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، سنة2001.
- 56- عزت عبد الموجود، أمريكا عام2000، إستراتيجية للتربية ، مركز البحوث التربوية، قطر، الدوحة، سنة1992 .
- 57- عفيفي محمد الهادي، في أصول التربية، الأصول الفلسفية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1 سنة1980.
- 58- علي سعيد إسماعيل، هموم التعليم المصري، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1 سنة 1990.
- 59- علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها مع دراسة تحليلية في فلسفة مؤسسها تشارل ساندرس بيرس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 سنة2008.
- 60- عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، الإسكندرية، مصر، ط2، سنة2002 .
- 61- غاستون ميالاريه، مدخل إلى التربية، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات بيروت، باريس، ط4، سنة1985 .

- 62- غوستاف لوبون، روح التربية، ترجمة طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، سنة 2012 .
- 63- كفاح يحي صالح العسكري، الفلسفة التربوية بين الإمام الغزالي وجون ديوي في ضوء رؤيتهما للطبيعة الإنسانية، مطبعة الرند، دمشق، سوريا، سنة 2013.
- 64- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت.
- 65- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة، دار القلم، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، دت.
- 66- كروزيه، موريس وآخرون، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف داغر وفريد داغر منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، سنة 1998.
- 67- منير المرسي سرحان، في إجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط3، سنة 1981 .
- 68- محمد منير مرسي، الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث، عالم الكتب القاهرة، مصر، دط، سنة 1992.
- 69- محمد منير مرسي، فلسفة التربية، إتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، سنة 2002 .
- 70- مالكي حنان، المدرسة والحراك الإجتماعي، جامعة محمد خضر، بسكرة الجزائر، ج1، ط1، دس.
- 71- محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند العلماء المسلمين، دارغريب، ط4 القاهرة، مصر، سنة 2004.
- 72- محمد لبيب النجحي، الأسس الإجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط2، سنة 1981.
- 73- محمد لبيب النجحي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ط3، سنة 1981.

- 74- محمد عبد الرحمن ببيصار، تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، منشورات المكتبة العصرية، مصر، ط3، سنة 1980.
- 75- محمد الفرحان جلوب، الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، الشركة العالمية للكتاب بيروت، لبنان، ط1، سنة 1999 .
- 76- محمد عاطف عنت وأخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 1981 .
- 77- مارتن أي مارتي، الديانة في أمريكا، بحث ضمن كتاب بناء أمريكا، لوترين لوديك ترجمة إيمان نور ملمس، مركز الكتاب الأردني، الأردن، سنة 1989.
- 78- محي الدين صابر، التغيير الحضاري وتنمية المجتمع، سرس اللبان، دار المعارف مصر، دط، سنة 1952.
- 79- محي الدين صابر، ومحمد أحمد الشريف، إستراتيجية تطوير التربية العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس الغرب، تونس، دط، سنة 1979.
- 80- مهدي كامل، في قضايا التربية والسباسة التعليمية، دار الفارابي، بيروت، لبنان ط1، سنة 1991.
- 81- محمد محمود الخوالدة، مقدمة في التربية، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط1 سنة 2003 .
- 82- مجموعة مؤلفين، فلسفة الدين، علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الأمان، الجزائر، ط1، سنة 2012.
- 83- مايكل كوربت، جوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ج1 ترجمة عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، سنة 2001.

- 84- نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن ط1، سنة 2004 .
- 85- نوفل محمد نبيل، دراسات في الفكر التربوي المعاصر، القاهرة، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، دط، سنة 1985 .
- 86- هانز رايشناخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، دط سنة 1979.
- 87- هربرت شنايدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، القاهرة مصر، سنة 1964.
- 88- يعقوب فام، البراجماتزم أو مذهب الذرائع، دار الحدائث، بيروت، لبنان، ط2 سنة 1985.

ب- باللغة الفرنسية:

- 1-Gerard Deledalle, **l'idée d'expérience dans la philosophie de John Dewey** paris, 1967.
- 2-Hottoi Gilbert, **de la Renaissance a la postmodernité** :Une Histoire de la philosophie Moderne et Contemporaine,3ème , édition , Bruxelles , de Boeck université,2002 .
- 3- Leszek Kolakowski, **philosophie de la religion**, traduit de l'anglais par, Jean Paul Landais, fayard, France, 10-18,1985.
- 4-Illich Ivan, **une société sans école**, seuil, paris, 1971.
- 5-jean francois cote,**l'interprétation postmoderne de le culture américaine**, cahiers de recherche sociologique n15,automne1990.
- 6-Jacques bouversse,**sur quelque conséquence indésérables du pragmatisme**,1994.
- 7- **Lettre de J. J. Rousseau a Christophe de Beaumont**. Oeuvres complètes,T, Vu, Ed, Dep, R,Auguis.
- 8-Richard Rorty,**l'homme spéculaire**,Tr Marchaisse thiery,édition du seuil, 1 édition France,paris, ,1990.
- 9-Richard Rorty, **Trotsky et Les orchidées Sauvages**, traduit par j.p.cometti, édition du seuil, France, 1992.
- 10-Richard Rorty, **Conséquences du pragmatisme**, Tr Cometti jean peirre, édition du seuil,France,1993.
- 11-Richard Rorty,**objectivisme,relativisme et vérité**,traduit par jean pierre cometti,p.v.f, France, 1994.
- 12-Richard Rorty , **l'espoir au lieu du savoir, introduction au pragmatisme** édition française établie Claudine Cowan et jacques poulain ,paris ,éditions Albin michel,1995.
- 13-Reboul Olivier, **La philosophie de l'éducation**, édition PUF, paris,1971.
- 14-Serge Hutin,**La philosophie Anglaise et Américain**,2Ed,preses universitaire de France,Saint Germain,Paris,1963.
- 15-Tsuin, Chen, **La doctrine pédagogique de John Dewey**, Edition Varin, paris, 1958.

ج- باللغة الإنجليزية:

1-Hardwich richard and Donald Crosby, **pragmatism, neo- pragmatism and Religion**, Conversations with Richard Rorty, petre Lang, publishing, new yourk, first edition, 1997.

2-James ,William , **Varieties of Religious Experience** , Astudy in Human, centenary Edition,1982.

3-Mendieta Edwardo,**Interviews with, Richard Rorty**, University of Virginia,1979.

4-Ornstein,A.C, and levine, **Foundations of Education**, Boston, Houghton Mifflin,d.v,1989.

5-Perry, Ralph Barton, **Présent Philosophical** Tendences, Longmans, Grren And Co, London New York,Tornto,1929.

6-Rosen, F.B. **Philosophie Systems and Education**, Ohio, Charles Merrill, 1968.

7-Russel, Bertrand, **Histoty of western philosophy**, Atouchstone Book, New York, london, 1972.

8-Richard Rorty,**Contingency,Irony and Solidarity**,combridge university press,Uk,First publishing,1989.

9-Richard Rorty,**Dewey between hegel et darwin**, volume3,Cambridge University,1994.

10-Richard Rorty, **philosophy and Social hope**, New York ,Penguin books , first publishing,1999.

11-Richard Rorty,**Achieving Our Contry**,Harvard University press,USA,first publishing,1999.

12-Richard Rorty, **philosophie as cultural politic**, cambridge univertsity press, Uk, first publishing, 2007.

3- الموسوعات والمعاجم:

أ- باللغة العربية:

- 1- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط2، دس .
- 2- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الشروق، بيروت، ط4، دت.
- 3- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج3، دت.
- 4- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط1 سنة1983 .
- 5- بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 سنة1984 .
- 6- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، سنة1982
- 7- خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة2007.
- 8- رالف. ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمدعلي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، سنة1974.
- 9- طرابش جورج، معجم الفلسفة، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، دت
- 10- على مولا، أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتوره، المكتبة الشرقية، ط2، بيروت لبنان، سنة2007 .
- 11- عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر ط2، سنة1999.

12- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلد الثالث، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1 سنة1996.

13- لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات المجلد الثاني، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، سنة2001.

14- مصطفى حسبية، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ط1، سنة2009.

15- م روزنتال، ب يودين ، الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 سنة1984.

16- موريس شربل، موسوعة علماء التربية وعلم النفس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1991 .

17- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1 سنة2008.

ب- باللغة الفرنسية:

1-Dictionnaire de la langue pédagogique, p, FOULQUIE, P.O.F, 1971.

2-Larousse Grand dictionnaire de La philosophie, sous la direction de Michel Blay, CNRS édition vuef, imprimé en Italie par LTV la tipogravica Varese, 2003.

3 -Nouveau la rousse encyclopédique dictionnaire en 2 volumes, kondratiev, zythum, imprimé en Italie, année2003.

ج- باللغة الإنجليزية:

1-The Encyclopedia of Britannica, A Dictionary Eleventh edition, vol 5.

4- المجالات والدوريات:

أ- باللغة العربية:

- 1- إبراهيم محمود أبوزيد، أزمة البحث التربوي، دراسات تحليلية في بحوث مناهج التربية المعاصرة، العدد4، سنة1986.
- 2- خالد العمري، الفلسفة التربوية لمديري المدارس الحكومية في الأردن، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد2، المجلد8.
- 3- رضا محمد جواد، تربية الخوف، مجلة المنابر، العدد11، المجلد2، العراق سنة1987.
- 4- زينب حسن، هل دخل التعليم في مصيدة التسييس، دراسات تربوية، المجلد5 مصر، سنة1986.
- 5- عبده مصطفى عبد القادر، التكوين الفلسفي للمعلم العربي، دراسات تربوية، العدد9 المجلد76، مصر، سنة1993.
- 6- علي سعيد إسماعيل، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، العدد198 سنة1995.
- 7- محمد سمير عبد العال، أساليب التدريس في جامعة الإمارات العربية المتحدة ودورها في تحقيق أهداف التعليم الجامعي، ندوة طرائق التدريس في الجامعات العربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، سنة1988.
- 8- منتهى عبد جاسم، فلسفة الفن عند جون ديوي، مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العراق، العدد101، سنة2011.

9- نجيب كمال، أزمة العقل التربوي في مصر، التربية المعاصرة، العدد3، المجلد12 سنة1995.

10- عيسى السورطي، مجلة دراسات، تأثير الفلسفة البراغماتية على العملية التربوية في الوطن العربي، الجامعة الأردنية، المجلد35، السنة2008.

5- الأطروحات والرسائل:

أ- باللغة العربية:

1- الشويحان صفاء ، فلسفة التربية السائدة لدى معلمي المرحلة الثانوية في الأردن رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، سنة1986 .

2- بن عبد السلام حسين، رسالة ماجستير " فلسفة التعلم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في إستراتيجية الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر"، جامعة الجزائر، 2007،2008.

6- شبكة الأنترنت والمواقع الإلكترونية:

- هشام صالح، مقال من الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد14252 الثلاثاء

<https://aawsat.Com> 2017 /12/ 05

الفهارس

الفهارس

- السيرة الذاتية
- فهرس الأعلام
- ثبوت المصطلحات
- فهرس المحتويات
- ملخص

السيرة الذاتية : جون ديوي John Dewey مفكر وفيلسوف وتربوي أمريكي ولد في 20 أكتوبر 1859 بمدينة برلنجتون Burlington ولاية فرمونت Vermont وقد صادف مولده نشر كتاب تشارلز داروين Charles Darwin " أصل الأنواع" سنة 1859 الذي كان له أثر كبير على ديوي، والده ديوي إرخيالد Archibald Dewey كان ينتمي إلى طبقة المزارعين، أما والدته لوسينا إرتيميسيارتش Lucina artemisarith كانت أعرق نسبا وأوفر ثروة، كان أبوها قاضيا وجدها عضوا بمجلس الشيوخ في واشنطن، وقد أنجبت أربعة أطفال توفي أكبرهم وكان ديوي الابن الثالث في الأسرة، فكانت الأم هي المسؤولة عن تعليم أبنائها فنشأ محبا للقراءة والتعليم.

دخل ديوي المدرسة الابتدائية وعرف عنه أنه أضعف التلاميذ في دروسه لكنه تحسن في المرحلة الثانوية، وبدأ يعمل أعمال مختلفة وقد أترث هذه النشأة الأولى في فلسفته التربوية، إذ نادى بأن تكون المدرسة مشاركة في الحياة دخل جامعة فرمونت Vermont سنة 1875، درس اللغتين اليونانية واللاتينية والتاريخ القديم وتعلم العلوم الطبيعية ونظرية التطور يقول: "في أواخر السبعينات 1879 عندما كنت طالبا جامعا لم يكن الإنتخابيين مؤيدي نظرية داروين معروفين في الكليات في نيوانكلاند إلا أنه في الكلية التي التحقت بها في جامعة فرمونت كان تقليد دراسة السنة الأخيرة ولازال قائما والذي أرسى قواعده، وفي هذه السنة تضمنت دراسات في الإقتصاد السياسي والقانون الدولي وتاريخ الحضارة وعلم النفس وعلم الأخلاق وفلسفة الدين والمنطق".¹ درس ديوي في جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins المنطق سنة 1879 على يد تشارل ساندرس بيرس Charles sandres Peirce الذي يعتبر أستاذه.

¹ -John Dewey, form absolutism to experimentalism anticline contemporary american philosophy rersonal statements, edited by george adams, and w.m.perperell montague, new Yourk, 1962, p13.

درس ديوي أفلاطون Platon فأنثر في فكره يقول: "لاشيء يكون أكثر فائدة للمتفلسفين حالياً إلا العودة إلى أفلاطون". كما درس الفلسفة الإنجليزية خاصة مذهب بيركلي Berkeley وإضطلع على الفلسفة الوضعية خاصة أوغست كونت August comte وحاول فهم الصلة بين الظروف الاجتماعية وبين العلم والفلسفة.

تأثر بالفلسفة الهيجلية التي كانت سائدة في تلك الفترة سواء في القارة الأوروبية أو الأمريكية يقول ديوي: "يعد الدكتور مارش March أول شخص في الولايات المتحدة جازف للخوض في مجال التفكير التأملي غير المؤلف، أي أفكار كانط Kant وشيلينغ schilling وهيجل Hegel".² كما كان الفضل لأستاذه توري torrey مدرس الفلسفة بجامعة فيرمونت أثر في توجيه إهتمام ديوي نحو الفلسفة وتخصصها.

درس كتاب "علم الفسيولوجيا" لتوماس هنري هكسلي Thomas Henry Huxley الشارح لمذهب داروين ونظريته النشو والإرتقاء يقول ديوي: "عبر دراسة معالجة هكسلي وفي كل الأحوال حصلت دوافع قوية من هذه الدراسة أكبر من أي شيء آخر تعاملت معه سابقاً، ولعدم تولد أية رغبة عندي لمواصلة ذلك الفرع من المعرفة فإنني من هذه اللحظة أسجل تاريخ بدأ صحوة ميل فلسفي متميز لذي".³ يعتبر جورج سلفستر موريس George Sylvester Morris المشرف على أطروحة الدكتوراه سنة 1884 لديوي الموسومة "علم النفس عند كانط" وهو أول من لقنه أصول الفلسفة الهيجلية يقول ديوي: "إنني لم أتعرف قط إلى رجل ذي قلب واحد، وروح تشمل الجميع مثله وبالرغم من إنقضاء وقت طويل منذ أن تخلّيت فيه، عن معتقداته الفلسفية فأنا أشعر بالسعادة الإعتقاد بأن تأثير روحية تعاليمه كان لها أثر كبير في".⁴

² -ibid, john dewey, from, p14

³ -ibid,p15

⁴ -ibid,p109

كما تعلم من غرانفيل ستانلي هال Granville Stanley hall الإتجاه الحديث في علم النفس، القائم على التجارب لا على النظر العقلي. كما ألف وليم جيمس William James سنة 1890 كتابه "أصول علم النفس" وقد إعتد على تيارين الأول أن علم النفس هو علم الشعور أما التيار الثاني أن علم النفس يقوم على علم الحياة، وهذا الإتجاه الذي تبناه ديوي ورفض الإتجاه الأول.

بعد تخرج ديوي عين أستاذ للفلسفة في جامعة مشينغان سنة 1884 إلى 1894 وقد إتقى مع جورج هربرت ميد George Herbert Mead الذي تأثر بأبحاثه وإهتم بالأثر البيولوجي على الظواهر النفسية، هذه النظرية إعتدها وطبقها ديوي على فلسفته ونظرياته في علم النفس والتربية. بدأ حياته الزوجية سنة 1886 من إليس شامبيان Alice chimpman وأنجبت له ستة أطفال وساعدته كثيرا في حياته العلمية توفيت سنة 1927 ثم تزوج مرة ثانية من روبرتا لوتز Roberta lowitz سنة 1946 وقد كانت هي في سن 42 سنة بينما كان ديوي في 87 عام وأنجبت ولدين.

تحصل على درجة الأستاذية بجامعة ميتشجان Michigan قام بعدة رحلات عبر العالم إلى أوروبا وروسيا والصين واليابان والمكسيك وتركيا، له عدة مؤلفات حوالي 35 كتابا منها: الدعاوي الميتافيزيقية للمذهب المادي سنة 1882 وعقيدتي التربوية سنة 1897 والمدرسة والمجتمع سنة 1900، و دراسات في النظرية المنطقية سنة 1903 وكيف نفكر سنة 1910 و الديمقراطية والتربية سنة 1916، وتجديد في الفلسفة سنة 1920 والطبيعة البشرية والسلوك الإنساني سنة 1922 والخبرة والطبيعة سنة 1925 و الفلسفة والحضارة 1931 والفن كخبرة سنة 1934، و الإيمان المشترك سنة 1934 والخبرة والتربية سنة 1938 والمنطق أو نظرية البحث سنة 1939. توفي في نيويورك يوم 20 ماي 1952.

فهرس الأعلام الواردة في الأطروحة

صفحة	اللغة الأجنبية	تاريخ الميلاد والوفاة	اللغة العربية
12	Cicérone	106 ق.م – 43 ق.م	سيشرون
24	lautsy	531 – 604	لاوتسي
25	Buda	480 – 560	بودا
24	Confucius	479 – 551	كونفوشيوس
30	Protagoras	420 – 490	بروتاغوراس
16	Socrate	399 – 469	سقراط
16	Platon	347 – 427	أفلاطون
16	Diogène	323 – 412	ديوجين
26	euclidean	265-300	إقليدس
16	Aristote	322 – 384	أرسطو
16	Epicure	270 – 341	أبيقور
26	plotinus	205 م – 275 م	أفلوطين
35	Augustine	354 م – 430 م	أوغسطين
38	Ibn Miskawayh	932 م – 1030 م	إبن مسكوية
38	Ibn Sina	980 م – 1037 م	إبن سينا
75	AlGhazaliz	1058 م – 1111 م	الغزالي
99	Thomas Aquinas	1225 – 1274	توماس الإكويني
67	Nicolas Copernicus	1473 – 1543	نيكولاس كوبرنيكس

40	Martin Luther	1546 – 1483	مارتن لوتر
41	Zwingli Ulrich	1531 – 1484	هولدرينخ زونجلي
41	Calvin	1564 – 1509	كلفن
16	Francis Bacon	1626 – 1561	فرنسيس بيكون
170	Thomas Hobbes	1679 – 1588	توماس هوبز
49	John cuminos	1670 – 1592	جون كومينوس
67	Descartes rené	1650 – 1596	رينه ديكارت
19	Blaise Pascal	1662 – 1623	بليز باسكال
42	John Locke	1704 – 1632	جون لوك
66	Leibniz	1716 – 1646	لايبنتز
48	George Barkly	1753 – 1685	جورج باركلي
42	Voltaire	1778 – 1694	فولتير
84	David Hume	1776 – 1711	ديفيد هيوم
2	jean jacques rousseau	1778 – 1712	جان جاك روسو
19	Adam sémite	1790 – 1723	أدم سميت
59	Basedous Johan Bernard	1790 – 1723	بازدوف يوهان برنارد
16	Emmanuel Kant	1804 – 1724	إيمانويل كانط
17	Lalande	1807 – 1732	لالاند
173	thomas Jefferson	1826 – 1743	توماس جيفرسون
2	Johann Pestalozzi	1827 – 1746	جوهان بستالوزي
78	Jeremy Bentham	1832 – 1748	جيرمي بنتام

64	Johann Fichte	1814 – 1762	جوهان فيخته
43	Schiller mâcher	1834 – 1768	شلاير ماخر
66	Friedrich Hegel	1831 – 1770	فريدريك هيغل
97	James Mill	1836 – 1773	جيمس ميل
72	Malthus	1834 – 1776	مالتوس
66	Friedrich Herbart	1841 – 1776	فريدريك هربارت
68	Frobel	1852 – 1782	فروبل
2	Maria Montessori	1852 – 1782	ماريا مونتسوري
141	Arthur Schopenhauer	1860 – 1788	أرتور شوبنهاور
185	Auguste conte	1857 – 1798	أوغست كونت
98	Victor Hugo	1885 – 1802	فيكتور هيجو
71	Charles robert Darwin	1882 – 1809	تشارلز روبرت داروين
14	pierre la rousse	1875 – 1817	بيير لاروس
136	karl Marx	1883 – 1818	كارل ماركس
136	Friedrich Engels	1895 – 1820	فريدريك إنجلز
43	Herbert Spencer	1903 – 1820	هربرت سبنسر
147	Edward Tylor	1917 – 1832	ادوارد تايلور
60	Wilhelm Dilthey	1911 – 1833	ويلهلم دلتاي
160	Charles sandres Pearce	1914 – 1839	تشارلز ساندرس بيرس
36	Otto Wilman	1920 – 1839	أوتو ويلمان
17	William James	1910 – 1842	وليم جيمس
70	Friedrich Netch	1900 – 1844	فريدريك نيتشه

14	Freud Sigmund	1939 – 1856	سيجموند فرويد
11	Emile Durkheim	1917 – 1858	إيميل دوركايم
2	John Dewey	1952 – 1859	جون ديوي
80	Alfred Whitehead	1947 – 1861	ألفرد وايتهد
17	Maurice blondel	1949 – 1861	موريس بلوندل
178	James Hayden Tufts	1942 – 1862	جيمس هايدن توفتس
92	George Herbert Mead	1931 – 1863	جورج هربرت ميد
147	George Santayana	1952 – 1863	جورج سانتيانا
78	F. k. s Schiller	1937 – 1864	سكوت شيلر
2	Friedrich Froebel	1952 – 1870	فريدريك فروبل
71	Edouard claparede	1940 – 1873	ادوارد كلاباريد
174	Watson John	1958 – 1878	جون واطسن
16	Karel Jaspers	1969 – 1883	كارل ياسبرز
40	George Sarton	1956 – 1884	جورج سارتون
123	Jean Piaget	1980 – 1896	جان بياجيه
142	Hans Georg Gadamer	2002 – 1900	هانس جورج غادامير
193	Alva Myrdal	1986 – 1902	ألفا ميردال
172	Clyde Kluckohn	1960 – 1905	كلويد كلكهون
99	Jean Paul Sartre	1980 – 1905	جون بول سارتر
196	Ivan Illich	2002 – 1927	إيفان إيليتش
17	Leszek Kolakowski	2009 – 1927	لشك كولاكفسكي
16	John hick	2012 – 1922	جون هيك

ثبوت المصطلحات الواردة في الأطروحة

اللغة الإنجليزية	اللغة الفرنسية	اللغة العربية
Education	Education	التربية
School	Ecole	المدرسة
Religion	Religion	الدين
Schoold	Enfant	الطفل
Culture	Culture	الثقافة
Society	social	المجتمع
Art	Art	الفن
Reading	lecture	القراءة
Learning	Apprentissage	التعلم
Civilization	Civilisation	الحضارة
Politics	Politique	السياسة
religions	religions	الأديان
Religious	Religieuse	التدين
Social Psychology	psychologie sociale	علم النفس الاجتماعي
Philosophic Method	Philosophie Méthode	المنهج الفلسفي

Experience	Expérience	الخبرة
Democracy	démocratie	الديمقراطية
Nature	Nature	الطبيعة
Futurism	futurisme	مستقبلية
Pragmatism	Pragmatisme	البراغماتية
Operationalism	Opérationalisme	العملية
Functionalism	Fonctionnalisme	الوظيفية
Language	Langage	لغة
Moral	Morale	أخلاقي
Utilitarian school	Utilitaire école	المدرسة النفعية
Works	action	عمل
Thought	Pensée	فكر
freedom	Liberté	الحرية
subject	sujet	الذات
individual	individu	فرد
Growth	croissance	النمو
Mind	intellect	العقل

faith	foi	إيمان
Belief	Croyance	إعتقاد
Life	vie	الحياة
Edication traditionalism	Education traditionnelle	التربية التقليدية
Edication naturalism	Education naturelle	التربية الطبيعية
Edication pragmatism	Education Pragmatisme	التربية البراغماتية
Edication religion	Education religieuse	التربية الدينية
Moral education	Education congénitale	التربية الخلقية
Edication progressivism	éducation progressive	التربية التقدمية
Individualism and colectivism	Individualisme et collectivisme	فردية وجماعية
Teacher and Educator	Enseignant et éducateur	المعلم والمربي
Project method	Méthode du projet	طريقة المشروع
Methods of instruction	Méthodes d'éducation	طرق التعليم

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر

مقدمة.....أ/ط

الفصل الأول: التربية الدينية بين الماهية و الكرونولوجيا و المرجعية

توطئة.....11

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.....12

مفهوم التربية.....13

مفهوم الدين.....15

مفهوم فلسفة الدين.....18

مفهوم الإيمان.....20

مفهوم البراغماتية.....22

مفهوم المجتمع.....24

مفهوم المدرسة.....26

المبحث الثاني: كرونولوجيا التربية الدينية في الفكر الفلسفي.....29

توطئة.....29

تاريخية التربية الدينية عبر العصور.....30

المبحث الثالث: المرجعية الفلسفية الإجتماعية الأنجلوساكسونية.....50

توطئة.....50

المرجعية الفلسفية الإجتماعية لجوي ديوي.....51

المرجعية التربوية الإنجليزية والألمانية.....65

الفصل الثاني: الميتافيزيقا والتربية الدينية في الفلسفة البراغماتية

المبحث الأول: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما قبل جون ديوي.....83

توطئة.....83

الميتافيزيقا والتربية الدينية عند بيرس.....85

الميتافيزيقا والتربية الدينية عند وليم جيمس.....92

الميتافيزيقا والتربية الدينية عند ديوي.....105

الإيمان الإنساني عند ديوي.....115

المبحث الثاني: الأسس والمنطلقات التربوية الديوية بين الواقع والمستقبل.....126

توطئة.....126

التربية الدينية الديوية.....127

التربية الخلقية والمدرسة الديوية.....131

علاقة الديمقراطية بالتربية.....138

التربية الدينية خبرة إجتماعية.....148

- 155.....التربية الدينية و المدرسة الديوية.....
- 170.....المبحث الثالث: الميتافيزيقا والتربية الدينية ما بعد جون ديوي
- 170.....توطئة.....
- 171.....مسألة الميتافيزيقا عند ريتشارد رورتي.....
- 177.....الفلسفة البراغماتية الجديدة عند رورتي.....
- الفصل الثالث: إستقبال جون ديوي في الوطن العربي دراسة نقدية**
- 189.....توطئة.....
- 190.....المبحث الأول: نقد نظرية جون ديوي في التربية.....
- 190.....التجربة الجمالية بديلا للتربية الدينية.....
- 198.....رؤية نقدية للتربية الدينية عند ديوي.....
- 209.....المبحث الثاني: مكانة نظرية جون ديوي في أمريكا الثقافة - المؤسسات.....
- 209.....توطئة.....
- 210.....المجتمع كرمز للتربية الدينية.....
- 217.....الثقافة مظهر للتربية الدينية.....
- 225.....المدرسة مؤسسة إجتماعية ثقافية.....
- 227.....مدرسة شيكاغو.....
- 230.....المبحث الثالث: إسقاط العالم العربي ونظرية ديوي التلقي والأفق.....

230.....	توطئة
231.....	إستقبال العالم العربي للنظرية التربوية الديوية
238.....	أثر التربية الديوية على التربية العربية وأفانها
245.....	نقد وتقويم التربية الديوية والتربية العربية
252	خاتمة
257.....	قائمة المصادر والمراجع
275.....	الفهارس
276.....	السيرة الذاتية
279.....	فهرس الأعلام
283.....	ثبوت المصطلحات
286.....	فهرس المحتويات
290.....	ملخص

ملخص الأطروحة

ملخص: يصنف المربي الأمريكي جون ديوي John Dewey ضمن كبار فلاسفة التربية الذين أنجبتهم الإنسانية عبر تاريخها الطويل، وذلك تقديراً لإنتاجه الفكري والتربوي الغزير الذي وضعه في خدمة أمته الأمريكية خاصة والمجتمع الإنساني بصفة عامة. يعتقد جون ديوي أن التربية هي الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الاجتماعي فكل إصلاح لا يعتمد إلا على قوة القانون، فهو إصلاح عابر لا قيمة له والمدرسة هي أولاً مؤسسة إجتماعية، وأن التربية من حيث إنها عملية إجتماعية فالمدرسة هي صورة الحياة الجماعية وهي عملية للحياة وليست إعداد للحياة المستقبلية.

تدور التربية الدينية حول هذه الفكرة من أن المدرسة لون من الحياة الإجتماعية، يجب أن تكون حياة الجماعة هي السبيل إلى إثارة الطفل ورقابته في عمله. فالحياة الإجتماعية للطفل ترتبط بجميع تدريبه أو نموه، فهي التي تقدم لجميع جهود الطفل وغاياته وحدتها اللاشعورية، حيث يتم التوفيق في المدرسة المثالية بين المثل العليا الفردية والإجتماعية، وواجب الجماعة الذي تؤديه للتربية الدينية هو إذن واجبها الأخلاقي الأعظم، يمكن للقانون أن ينظم المجتمع، أما بالتربية فيستطيع المجتمع أن يصوغ أغراضه الخاصة به وأن ينظم وسائله وموارده.

يرى ديوي أن تحريف الدين يؤدي إلى خداع يصبح العالم مماثلاً لرغباتنا الشخصية، وعند توفر هذا الإحساس نؤجل الفناء ونعيش فيما هو عالمي، فحياة المجتمع التي نعيش فيها ونحقق فيها وجودنا هي الرمز المناسب لهذه العلاقة والأفعال التي ندرك بها علاقاتنا التي تربطنا بالآخرين هي طقوسها وشعائرها الوحيدة.

كلمات مفتاحية: التربية الدينية، الفرد، الطفل، الجماعة، المدرسة، الأخلاق، الحياة المجتمع.

Abstract:

The American educator John Dewey is classified among the greatest philosophers of education that humanity has ever known for his knowledge. A long his life, he enriched the world of education with a great number of thoughts. A number of books dedicated to this domain which he put in service of the american society and for the international community.

John Dewey believes that education is the fundamentals method of social progress and reform. All reforms which rest simply upon the enactment of law are transitory and futile, the school is primarily a social institution, education being a social process, the school is simply that form of community life. Is education the refore is a peocess of living and a preparation for future living.

The Religious Education centres upon this conception of the schools as a mode of social life the child should be stimulated and controlled in his work thru the life of the community. The social life of the childs is the basis of concentration or correlation, in all his training or growth.

The is gives the unconscions unity and the background of all his efforts and of all his attainments. In the idiel school we have the reconciliation of the individualistic, and the institutional ideals the community duty to education is the refore, its paramount moral duty. By law society can regulate, but thru education society can formulate, its own pourposes, can organize its own means and resources.

Dewey sees the distortion of religion Leads to deceiving the world becomes similar to our personal desires, when this sensation is available we postpone the courtyard and live in what is universal. The life of the society in which we live and realize our existence is the proper symbol for the relationship And the actions in which we recognize our relationships that are related to others It is its ritual and its only rituals.

Keywords: Religious education, Child, individual, community, school, ethics, life, Society.

Résumé:

L'éducateur américain John Dewey est classé parmi les plus grands philosophes de l'éducation que l'humanité ait connus pour ses connaissances et ses réflexions. Tout au long de sa vie, il a enrichi le monde de l'éducation avec un grand nombre de livres consacrés à ce domaine qu'il a mis au service de la société américaine et de la communauté internationale.

John Dewey estime que l'éducation est la méthode fondamentale du progrès et de la réforme sociale. Toutes les réformes qui reposent simplement sur la promulgation de la loi sont transitoires et vaines, l'école est avant tout une institution sociale, l'éducation étant un avantage social, l'école représente cette forme de vie communautaire. L'éducation constitue donc un processus de vie et non l'une préparation à la vie future.

L'éducation religieuse est centrée sur cette conception de l'école en tant que mode de vie sociale dans lequel l'enfant devrait être stimulé et contrôlé dans son travail par le biais de la vie de la communauté. La vie sociale de l'enfant est la base de la concentration ou de la corrélation, dans toute sa formation ou sa croissance.

Cela donne aux inconscients l'unité et le fond de tous ses efforts et de tous ses efforts. Dans l'école idéal, nous avons la réconciliation de l'individualisme et, selon les idéaux institutionnels, le devoir de la communauté envers l'éducation est son devoir moral primordial. Selon la loi, la société peut réglementer, mais à travers l'éducation, la société peut formuler ses propres moyens et organiser ses propres moyens et ressources.

Dewey voit que la distorsion de la religion conduit à tromper le monde devient semblable à nos désirs personnels, quand cette sensation est disponible, nous remettons la cour à plus tard et vivons dans ce qui est universel. La vie de la société dans laquelle nous vivons et réalisons notre existence est le symbole approprié de la relation Et des actions dans lesquelles nous reconnaissons nos relations qui sont liées aux autres C'est son rituel et ses seuls rituels.

Mots-clés: l'éducation religieuse, l'enfant, l'individu, la communauté, l'école, l'éthique, la vie, la société.